

# بغافہ دولہ الاسلام

۳۱ - ۴۰

محمود شاکر

المکتب الاسلامی

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب ٣٧٧١ / ١١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - بريقاً : اسلامياً

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَقْدَمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ  
مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ وَبَعْدُ:

فَإِنَّ الدَّوْلَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ قَامَتْ عَلَى كَوَاهِلِ أَوْلِيكَ الرِّجَالِ مِنْ  
صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ ارْتَضَوْا اللَّهَ  
رَبًّا، وَمُحَمَّدًا نَبِيًّا، وَالْإِسْلَامَ دِينًا، وَأَمَنُوا إِيْمَانًا رَاسِيخًا لَا تُزْعِزُهُ  
الْجِبَالُ الرَّاسِيَّاتُ وَلَا تُحَرِّكُهُ الْعَوَاصِفُ الْهَائِجَاتُ. لَقَدْ تَرَكُوا كُلَّ  
مَظَاهِيرِ الدُّنْيَا مِنْ جَاوٍ، وَمَنْصِبٍ، وَمَرْكَزٍ، وَشَهْوَةٍ فِي سَبِيلِ  
عَقِيدَتِهِمْ وَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَدَاسُوا عَلَى كُلِّ  
الْوَشَائِجِ وَالْأَوَاصِرِ وَالرَّوَابِطِ الَّتِي كَانَتْ مَعْرُوفَةً يَوْمَ ذَاكَ سِوَى  
رَابِطَةِ الْعَقِيدَةِ، وَوَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ فَوْقَ رَابِطَةِ الدِّمِّ وَالنَّسَبِ

وَالْقَرَابَةَ وَالْمَصْلَحَةَ وَالْجَوَارِ وَحَمَلُوا رَابِطَةَ الْعَقِيدَةِ وَخَذَهَا  
وَكَانُوا إِخْوَةً فِيهَا وَلَيْسَ سِوَاهَا شَيْءٌ. وَاسْتَهَانُوا بِكُلِّ مَا فِي دُنْيَاهُمْ  
مِنْ ظُلْمِ الطُّغَاةِ، وَبَطْشِ الْجَبَابِرَةِ وَاسْتِكْبَارِ الْمُسْتَبِدِّينَ أَمَامَ وَعْدِ  
اللَّهِ وَوَعِيدِهِ.

لَقَدْ حَمَلُوا لِيَوَاءَ دَعْوَتِهِمْ وَأَنْطَلَقُوا بِفِكْرَتِهِمْ فِي كُلِّ جِهَةٍ لَا  
يُبَالُونَ بِمَا يَجِدُونَ أَمَامَهُمْ مِنْ عَقَبَاتٍ، وَلَا مَا يَعْتَرِضُهُمْ مِنْ  
صُعُوبَاتٍ، وَلَا مَا يَلْقَوْنَ مِنْ مَوَانِعَ تَقِفُ فِي وَجْهِهِمْ.

لَقَدْ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَكَانَتْ لَهُمُ الْحَيَاةُ، وَطَلَبُوا  
الْمَوْتَ فَكَانَ لَهُمُ النَّصْرُ، وَكَانُوا مِنْ بُنَاةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي أَقَامَهَا رَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَاشُوا فِي ظِلِّهَا سَعْدَاءَ، وَنَعِمُوا  
بِخَيْرِهَا، وَجَنَوْا مِمَّا قَدَّمَتْهُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ  
وَالْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالْحُرِّيَّةِ، وَمَنْ قَضَى نَحْبَهُ مِنْهُمْ ظَفِيرَ  
بِالشَّهَادَةِ، وَنَالَ الْجَنَّةَ فَسَبَقَ إِخْوَانَهُ إِلَيْهَا.

حَمَلُوا ذَلِكَ إِلَى الْعَالَمِ فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ عَاشَ فِي هَنَاءٍ وَمَنْ  
رَفَضَ وَأَصْرَعَ عَلَى كُفْرِهِ بَقِيَ بَائِسًا تَعِيسًا يَتَخَبَّطُ فِي الْأَوْهَامِ وَيَحْيَا  
شَعْبَهُ فِي الظُّلْمِ، لَا يَعْرِفُ الرَّاحَةَ وَلَمْ يَذُقْ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ  
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَيَتَبَرَّأُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْآخَرِ. ﴿فَإِنْ  
يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.

وَلْتَرَى نَمَازِجَ مِنْ بُنَاةِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ سَمَوْا فَوْقَ الدُّنْيَا  
وَمَتَاعِهَا وَزُخْرُفِهَا وَنَظَرُوا إِلَيْهَا مِنْ أَعْلَى فَوَجَدُوهَا حُطَامًا وَرَأَوْا  
أَنْفُسَهُمْ فِي السَّعَادَةِ يَرْفُلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.



بُـنَاة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

۳۱

مُصَوَّبُ بْنُ عُمَيْرٍ  
رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُ





هُوَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ  
 بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ، يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، فِي الْجَدِّ الْخَامِسِ.

### قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ

عَبْدُ مَنَافٍ	عَبْدُ الدَّارِ
هَاشِمٌ	عَبْدُ مَنَافٍ
عَبْدُ الْمُطَّلِبِ	هَاشِمٌ
عَبْدُ اللَّهِ	عُمَيْرٌ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	مُصْعَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَلَدَ مُصْعَبُ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَالثَّلَاثِينَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ  
 مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا.  
 نَشَأَ مُصْعَبُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي أُسْرَةٍ وَرِثَ الْمَجْدَ وَالْمَرْكَزَ

لَيْسَ فِي قُرَيْشٍ فَحَسْبُ وَإِنَّمَا بَيْنَ الْعَرَبِ عَامَةٌ، إِذْ كَانَتْ بِيَدِهَا -  
 فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ- السَّقَايَةُ<sup>(١)</sup>، وَالْحِجَابَةُ<sup>(٢)</sup>، وَالرَّفَادَةُ<sup>(٣)</sup>، وَاللَّوَاءُ<sup>(٤)</sup>  
 إِضَافَةً إِلَى دَارِ النَّدْوَةِ<sup>(٥)</sup>، وَذَلِكَ أَنَّ قُصَيَّ بْنَ كِلَابٍ لَمَّا كَبُرَ وَرَقَّ  
 عَظْمُهُ، وَكَانَ عَبْدُ الدَّارِ بَكْرُهُ، وَكَانَ عَبْدُ مَنَافٍ قَدْ شَرَفَ فِي  
 زَمَانِ أَبِيهِ وَذَهَبَ كُلُّ مَذْهَبٍ، قَالَ قُصَيُّ لِعَبْدِ الدَّارِ:  
 أَمَا وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لِأَلْحِقَنَّكَ بِالْقَوْمِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ شَرُّوا  
 عَلَيْكَ: لَا يَدْخُلُ رَجُلٌ مِنْهُمْ الْكَعْبَةَ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ تَفْتَحُهَا لَهُ،  
 وَلَا يَعْقِدُ لِقُرَيْشٍ لِيَوَاءٍ لِحَرْبِهَا إِلَّا أَنْتَ بِيَدِكَ، وَلَا يَشْرَبُ أَحَدٌ  
 بِمَكَّةَ إِلَّا سِقَايَتَكَ، وَلَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْسِمِ طَعَامًا إِلَّا مِنْ  
 طَعَامِكَ، وَلَا تَقْطَعُ قُرَيْشُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِهَا إِلَّا فِي دَارِكَ. فَأَعْطَاهُ  
 دَارَهُ (دَارَ النَّدْوَةِ) الَّتِي لَا تَقْضِي قُرَيْشُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِهَا إِلَّا فِيهَا،  
 وَأَعْطَاهُ الْحِجَابَةَ وَاللَّوَاءَ وَالسَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ.

وَكَانَتْ الرَّفَادَةُ خُرْجًا تُخْرِجُهُ قُرَيْشُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ مِنْ أُمُورِهَا

(١) السقاية: يعني سقاية زمزم، وكانوا يصنعون بها شراباً في الموسم للحاج الذي يوافي مكة، ويمزجونه تارة بعسل، وتارة بلبن، وتارة بنبيد، يتطوعون بذلك من عند أنفسهم.

(٢) الحجابة: أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحد إلا بإذنه.

(٣) الرفادة: إطعام الحجيج في الموسم.

(٤) اللواء: اللواء الذي يحمل في الحرب، ويحمله الذي يتقدم القوم، ويكون ممن عرفوا بالشجاعة والصبر والثبات.

(٥) دار الندوة: الدار التي يلتقي فيها القوم للمشورة والرأي.

إِلَى قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، فَيَصْنَعُ بِهِ طَعَامًا لِلْحَاجِّ، فَيَأْكُلُهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَعَةٌ وَلَا زَادٌ. وَذَلِكَ أَنَّ قُصَيًّا فَرَضَهُ عَلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَمَرَهُمْ بِهِ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ جِيرَانُ اللَّهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَهْلُ الْحَرَمِ، وَإِنَّ الْحَاجَّ ضَيْفُ اللَّهِ وَزَوَّارُ بَيْتِهِ، وَهُمْ أَحَقُّ الضَّيْفِ بِالْكَرَامَةِ، فَاجْعَلُوا لَهُمْ طَعَامًا وَشَرَابًا أَيَّامَ الْحَجِّ، حَتَّى يَصْدُرُوا عَنْكُمْ». فَفَعَلُوا. فَكَانُوا يُخْرِجُونَ لِذَلِكَ كُلَّ عَامٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ خَرْجًا فَيَدْفَعُونَهُ إِلَيْهِ، فَيَصْنَعُهُ طَعَامًا لِلنَّاسِ أَيَّامَ مِنَى. فَجَرَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى قَوْمِهِ حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامُ، ثُمَّ جَرَى فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يَصْنَعُهُ مَنْ بِيَدِهِ أَمْرُ الْأَمَاكِينِ الْمُقَدَّسَةِ كُلِّ عَامٍ بِمِنَى لِلنَّاسِ حَتَّى يَنْقُضِيَ الْحَجُّ. وَكَانَ قُصَيٌّ لَا يُخَالَفُ، وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ شَيْءٌ صَنَعَهُ.

وَبَعْدَ أَنْ هَلَكَ قُصَيٌّ، وَقَامَ عَبْدُ الدَّارِ بِمَا عَهْدَ إِلَيْهِ أَبُوهُ، وَقَامَ أَوْلَادُهُ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ إِنَّ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ: عَبْدَ شَمْسٍ وَهَاشِمًا وَالْمُطَلِّبَ وَتَوَفَّلَا أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مَا بِأَيْدِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ مِمَّا كَانَ قُصَيٌّ جَعَلَ إِلَى عَبْدِ الدَّارِ مِنَ الْحِجَابَةِ وَاللَّوَاءِ وَالسَّقَايَةِ وَالرَّقَادَةِ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُمْ لِشَرَفِهِمْ عَلَيْهِمْ وَفَضْلِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ. فَتَفَرَّقَتْ عِنْدَ ذَلِكَ قُرَيْشٌ، فَكَانَتْ طَائِفَةٌ مَعَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى رَأْيِهِمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنْ

بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مَعَ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَرُونَ أَنَّ لَا يَنْزَعُ مِنْهُمْ مَا كَانَ قَصِيٍّ جَعَلَ إِلَيْهِمْ. وَكَادَتْ الْحَرْبُ تَقَعُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، ثُمَّ تَدَاعَوْا إِلَى الصُّلْحِ عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي عَبْدِ مَنْافٍ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ<sup>(١)</sup>، وَأَنْ تَكُونَ الْحِجَابَةُ وَاللَّوَاءُ وَالنَّدْوَةُ لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ كَمَا كَانَتْ. فَفَعَلُوا وَرَضِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِذَلِكَ وَتَحَاجَزَ النَّاسُ عَنِ الْحَرْبِ.

---

(١) تسلم عبد شمس السقاية والرفادة إذ كان أكبر أولاد عبد مناف، ثم تولاهما عنه أخوه هاشم وذلك لأن عبد شمس كان رجلاً سفاراً قلماً يقيم في مكة، وكان مقلداً ذا ولد، وكان هاشم موسراً، ويستعين بقريش على إطعام الحاج، وأصابته وأصاب قومه أزمة اقتصادية شديدة، وكره أن يكلف قريشاً أمر الرفادة، فسافر إلى الشام بجميع ماله فاشترى به جميعه كعكاً، ثم أتى الموسم، فهشم ذلك الكعك كله، ودقه وصنع منه للحاج طعاماً يشبه الثريد. ثم آل أمر السقاية والرفادة إلى المطلب بن عبد مناف، وآلت بعده إلى ابن أخيه عبد المطلب، ثم آلت السقاية إلى العباس أحدث أبناء عبد المطلب سناً، وبقيت بيده حتى جاء الإسلام فأقره رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليها.

أما الحجابة فبقيت بيد بني عبد الدار حتى فتح مكة، فدفع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المفتاح إلى عمه العباس، فنزلت الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا﴾ فأخذ الرسول الكريم المفتاح من العباس وأعطاه إلى عثمان بن طلحة الذي أسلم بعد الفتح.

وأما دار الندوة فبقيت بيد بني عبد الدار حتى اشتراها معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، من عكرمة بن عامر بن هاشم وجعلها داراً للإمارة. وأما اللواء فقد أبطله الإسلام.

## أُسْرَةُ مُصْعَبٍ

أُمُّ مُصْعَبٍ هِيَ خُنَاسُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ الْمُضَرِّ بْنِ وَهَبٍ مِنْ  
بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَتْ ذَاتَ مَالٍ مَوْفُورٍ وَثَرَاءٍ مَعْرُوفٍ، تَكْسُو  
ابْنَهَا مُصْعَبًا أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ وَأَرْقَهُ، فَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ  
مَكَّةَ، يَلْبَسُ الْحَضْرَمِيُّ مِنَ النَّعَالِ، فَهُوَ أَكْثَرُ فُتَيَانِ مَكَّةَ شَبَابًا  
وَجَمَالًا وَسَبِيًّا<sup>(١)</sup>. وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ كَثِيرًا. وَعِنْدَمَا يَذْكُرُهُ رَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحْسَنَ لِمَةً<sup>(٢)</sup>  
وَلَا أَرْقَ حُلَّةً وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ.

وَكَانَ لِمُصْعَبٍ أَخٌ شَقِيقٌ يُكْنَى أَبَا عَزِيزٍ وَاسْمُهُ زُرَّارَةُ بْنُ  
عُمَيْرٍ، وَتَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ، وَشَهِدَ بَدْرًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَوَقَعَ يَوْمَئِذٍ  
أَسِيرًا<sup>(٣)</sup>.

(١) السبب: شعر مقدمة الرأس التي هي الناصية.

(٢) اللِّمَّة: دون الجمة وهي التي يلم شعرها بالمنكين.

(٣) فَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْأَسَارَى حِينَ أَقْبَلَ بِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ،  
فَيَقُولُ أَبُو عَزِيزٍ: مَرَّبِي أَخِي مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْسُرُنِي،  
فَقَالَ: شَدَّ يَدَيْكَ بِهِ، فَإِنْ أَمَهُ ذَاتَ مَتَاعٍ، لَعَلَّهَا أَنْ تَقْتَدِيهِ مِنْكَ. قَالَ أَبُو  
عَزِيزٍ: وَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ، فَكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا  
غَدَاءَهُمْ وَعِشَاءَهُمْ خَصَّوْنِي بِالْخَبْزِ، وَأَكَلُوا التَّمْرَ لَوْصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِإِيَّاهُمْ بَنَاءً، مَا تَقَعَ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كَسْرَةٌ مِنَ الْخَبْزِ إِلَّا  
نَفَحْنِي بِهَا، قَالَ: فَأَسْتَحِي فَأُرْدهُمْ عَلَى أَحَدِهِمْ فَيُرْدهَا عَلَيَّ مَا يَمْسُهَا.  
وَسَأَلَتْ أُمَّهُ عَنْ أَكْبَرَ فِدَاءٍ كَانَ فَقِيلَ لَهَا: أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ. فَأَرْسَلَتْ ذَلِكَ  
وَافْتَدَتْ ابْنَهَا أَبَا عَزِيزٍ.

وَلَهُ أَخٌ آخَرُ لِأَبِيهِ هُوَ أَبُو الرُّومِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَكَانَ قَدِيمَ الْإِسْلَامِ،  
وَهَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ، وَانْتَقَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ  
مُهَاجِرًا بَعْدَ بَدْرٍ، وَشَهِدَ أُحُدًا، وَأُمُّهُ رُومِيَّةٌ، وَتُوفِّيَ وَلَيْسَ لَهُ  
عَقْبٌ.

وَلَهُ أُخْتُ شَقِيقَةٌ هِيَ هِنْدُ بِنْتُ عُمَيْرٍ تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ  
طَلْحَةَ أَحَدُ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ شَيْئَةً الذِّي آلتَ  
إِلَيْهِ حِجَابَةُ الْبَيْتِ.

تَزَوَّجَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ حَمَّةَ بِنْتُ جَحْشٍ، ابْنَةَ عَمِّهِ رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُمِّمَةً بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهِيَ  
أُخْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ، كَانَتْ حَمَّةٌ، رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهَا، مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَلَمْ تُنْجِبْ، فَتَرَكَهَا وَتَزَوَّجَهَا  
مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، فَأَنْجَبَتْ لَهُ بِنْتًا اسْمُهَا زَيْنَبُ بِنْتُ مُصْعَبٍ،  
تَزَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيَّ.  
وَبَعْدَ أَنْ اسْتَشْهَدَ مُصْعَبُ فِي أُحُدٍ تَزَوَّجَتْ حَمَّةٌ مِنْ طَلْحَةَ بْنِ  
عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ مُحَمَّدًا (السَّجَّادَ)  
وَعُمَرَانَ.

### إِسْلَامُ مُصْعَبٍ

بَلَغَ مُصْعَبًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَدْعُو إِلَى

الإِسْلَامَ فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ، وَدَخَلَ دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، فَسَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَدَّقَهُ، وَأَسْلَمَ، وَكَتَمَ إِسْلَامَهُ عَنْ أَهْلِهِ إِذْ كَانَتْ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ لَا تَزَالُ فِي دَوْرِ الْمَرْحَلَةِ السَّرِّيَّةِ، وَعَافَتْ نَفْسُهُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ نَعِيمٍ فَتَرَكَهُ، وَاتَّجَهَ بِحَوَاسِهِ كُلِّهَا وَجَوَارِحِهِ جَمِيعِهَا إِلَى مَا آمَنَ بِهِ. وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِرّاً خَوْفاً مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ.

رَأَى عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ أَحَدَ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ مُصْعَباً يُصَلِّي فَأَخْبَرَ أُمُّهُ وَقَوْمُهُ فَحَبَسُوهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُبَالِ بِالسَّجْنِ وَرُبَّمَا زَادَهُ ذَلِكَ تَمَسُّكاً بِمَا آمَنَ بِهِ، وَعَدَّ ذَلِكَ الْحَبْسَ خُلُوةً يَتَأَمَّلُ فِيهَا مَا سَمِعَ، وَيَحْفَظُ مَا تَلَقَّى، وَيُفَكِّرُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ مِنَ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ الْبَيِّنِ وَالنُّورِ الْوَاضِحِ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا عَلَيْهِ قَوْمُهُ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ حَتَّى كَانَتْ الْهَجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ.

## الْهَجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ

عَانَى مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الْكَثِيرَ فِي الْحَبْسِ، وَهُوَ الْفَتَى الَّذِي عَاشَ مُرْفَهَا لَمْ يَتَعَوَّدْ عَلَى الْخُسُونَةِ وَشَطَفِ الْعَيْشِ، وَلَمْ يَتَعَوَّدِ الْإِهَانَةَ وَالْقَسْوَةَ فِي الْكَلَامِ غَيْرَ أَنَّهُ تَحَمَّلَ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ وَاسْتَسْهَلَ الصَّعْبَ وَتَمَرَّسَ عَلَى تَذُوقِ الْمُرِّ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ خَشِيَ

أَنْ يُفْتَنَ فَمَا أَنْ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى  
 أَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ كَيْ يَتَخَلَّصُوا مِمَّا يُعَانُونَ مِنَ الْبَلَاءِ  
 حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ بَيْنَمَا يَعِيشُ هُوَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، بِعَافِيَةِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ، وَلِمَكَانَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ  
 قُرَيْشٍ، وَهُوَ يَخْرُصُ عَلَيْهِ، وَيَعْمَلُ عَلَى حِمَايَتِهِ، فَمَا  
 أَنْ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى  
 الْهَجْرَةِ حَتَّى تَفَلَّتْ مُضْعَبٌ مِنْ حَبْسِهِ وَأَنْخَرَطَ فِي قَافِلَةِ  
 الْمُهَاجِرِينَ الْأُولَى. وَكَانَ فِي الْحَبَشَةِ مَلِكٌ رَحِيمٌ لَا يُظْلَمُ  
 عِنْدَهُ أَحَدٌ، فَهُنَاكَ يُمَكِّنُ أَنْ يُقِيمَ الْمُسْلِمُونَ عِبَادَتَهُمْ دُونَ  
 خَوْفٍ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَكُونُوا قَدْ نَجَوْا مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ  
 الْإِهَانَةِ، وَفَرُّوا بِدِينِهِمْ خَشْيَةَ الْفِتْنَةِ، وَيَقْتَرِبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ  
 فِي الْغُرْبَةِ، وَيَشْعُرُونَ بِالْأُخُوَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَيُمَارِسُونَ وَأَقْعَهَا  
 وَيَعِيشُونَ مَعَانِيهَا فَتَحْيَا فِي نَفْسِهِمْ، وَتَتَرَسَّخُ فِي أَفْئِدَتِهِمْ، وَرُبَّمَا  
 كَانَ فِي الْهَجْرَةِ إِثَارَةٌ لِعَاطِفَةِ الْبُنُوَّةِ وَالْقَرَابَةِ فَيُخَفَّفُ ذَلِكَ مِنْ ضَغْطِ  
 الْجَاهِلِيِّينَ عَلَى ذَوِيهِمْ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الَّذِينَ بَقُوا فِي دِيَارِهِمْ،  
 وَيُثِيرُ حَنِينَ وَشُجُونَ الَّذِينَ هَاجَرُوا أَبْنَاؤَهُمْ فَيَتَمَنُّونَ عَوْدَتَهُمْ، وَإِذَا  
 عَادُوا أَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ بِهِمْ، بَلْ وَرُبَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْعَاطِفَةُ  
 سَبَبًا فِي تَقَرُّبِ الْجَاهِلِيِّينَ نَحْوَ الْإِسْلَامِ أَوْ تَلْبِينِ قُلُوبِهِمْ .

وَصَلَتْ الْقَافِلَةُ الْمُسْلِمَةُ الْأُولَى الْمُهَاجِرَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى



الْحَبَشَةِ، وَعَاشَتْ هُنَاكَ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بَعِيدَةً عَن ظُلْمِ ذَوِي الْقُرْبَى، مُقِيمَةً لِعِبَادَاتِهَا، غَيْرَ أَنَّ حَيَاتَهَا فِي مُجْتَمَعٍ غَرِيبٍ كَانَتْ يُقْلِقُهَا وَخَاصَّةً أَنَّ عَدَدَهَا مَحْدُودٌ لَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثَةِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا وَلَيْسَ مَعَ بَعْضِهِمْ أَهْلُهُ بَلْ قَلَّةٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَاجَرَتْ نِسَاؤُهُمْ مَعَهُمْ، هَذَا إِضَافَةٌ إِلَى نَظَرَاتِ الرِّبَّةِ مِنْ بَعْضِ أُولَئِكَ الْمُتَعَصِّبِينَ لِنَصْرَانِيَّتِهِمْ دُونَ مَعْرِفَةِ بَيِّنِ هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ وَمِنْ غَيْرِ رَغْبَةٍ فِي الْمَعْرِفَةِ. وَيَزِيدُ فِي الْغُرْبَةِ عَدَمُ الْعِلْمِ بِلُغَةِ الْأَحْبَاشِ، وَيَجِبُ أَلَّا تَنْسَى شَوْقَهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَغَبَتَهُمْ فِي صُحْبَتِهِ وَالتَّلَقِّي مِنْهُ وَالْإِفَادَةَ مِنْ تَوْجِيهَاتِهِ، وَأَخَذَ مَا يَأْتِي بِهِ الْوَحْيُ، لِذَا ظَهَرَتْ عِنْدَ بَعْضِهِمْ رَغْبَةٌ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى مَرَابِعِهِمُ الْأُولَى فِي مَكَّةَ. وَسَرَتْ شَائِعَةٌ أَنَّ أَهْلَ أُمِّ الْقُرَى قَدْ وَافَقُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَفُّوا عَنْ أَذَاهُمْ، وَمَالُوا إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَنْ اتَّشَرَ الْخَبْرُ حَتَّى رَجَعَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى مَكَّةَ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ مُهَاجِرًا كَانَتْ مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ بَنِيهِمْ.

## الْعَوْدَةُ إِلَى مَكَّةَ

عِنْدَمَا وَصَلَ الْعَائِدُونَ إِلَى مَكَّةَ عَرَفُوا أَنَّ كُلَّ مَا أُشِيعَ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا إِذْ لَا تَزَالُ قُرَيْشٌ فِي طُغْيَانِهَا وَجَبْرُوتِهَا، وَلَمْ

يَزَلْ سَادَتُهَا فِي غَيْبِهِمْ وَعُتُوهُمْ ، وَلَمْ يَزَلْ كُبْرَاؤُهَا فِي ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ الْعَائِدِينَ إِلَى بَلَدِهِمْ مِنْ دُخُولِهَا إِلَّا سِرًّا أَوْ بِجَوَارٍ ، وَقَدْ دَخَلَ مُصْنَعُ بِجَوَارِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَقِيلَ بِجَوَارِ أَخِيهِ أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ .

رَجَعَ مُصْنَعُ مِنَ الْحَبَشَةِ مُتَغَيِّرَ الْحَالِ ، قَدْ خَشِنَتْ يَدَاهُ بَعْدَ نُعُومَةٍ ، وَأُذْمِيتَ قَدَمَاهُ بَعْدَ عِزٍّ ، وَشَحِبَ وَجْهُهُ بَعْدَ نَضَارَةٍ ، وَهَزَلَ جِسْمُهُ بَعْدَ نَعِيمٍ ، وَرَثَتْ ثِيَابُهُ مَعَ الزَّمَنِ فَرَثَتْ أُمُّهُ لِحَالِهِ ، وَكَفَّتْ عَنْهُ مِنَ الْعَذْلِ .

وَأَكْثَرَ مُصْنَعُ مِنَ اللَّقَاءِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ يَتَعَلَّمُ وَيُطَبِّقُ مَا يَتَلَقَّى وَيَجْتَهِدُ حَتَّى غَدَا أَنْمُودَجًا لِصَحَابَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ .

وَمَرَّتْ سَنَوَاتٌ سِتٌّ عَلَى مُصْنَعٍ فِي مَكَّةَ مُنْذُ عَادَ مِنَ الْحَبَشَةِ عَاشَ فِيهَا كُلَّ مَا مَرَّ عَلَى الدَّعْوَةِ مِنْ مِحْنٍ ، وَشَاهَدَ كُلَّ مَا نَالَهُ إِخْوَانُهُ مِنْ عَذَابٍ ، لِذَا كَانَتِ الدَّعْوَةُ تَعِيشُ مَعَهُ فِي كُلِّ جَوَارِحِهِ وَتَبْدُو عَلَيْهِ فِي كُلِّ تَصَرُّفَاتِهِ .

### فِي الْمَدِينَةِ

بَعْدَ أَنْ زَادَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ وَثَبَّتُوا أَمَامَ الْمِحْنِ

الْقَاسِيَةِ وَوَقَفُوا فِي وَجْهِ الرِّيحِ الْعَاتِيَةِ وَأَصْبَحُوا نَوَاةً يُمكنُ  
الاعْتِمَادُ عَلَيْهَا لِإِقَامَةِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَبْحَثُ عَنِ الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ لِتَأْسِيسِ تِلْكَ  
الدَّوْلَةِ فَاتَّجَهَ إِلَى الطَّائِفِ، فَلَمْ يَشَأِ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ قَاعِدَةُ  
الدَّوْلَةِ، وَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَدًّا غَيْرَ  
طَيِّبٍ، وَكَانَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي الْمَوْسِمِ عَسَى أَنْ  
تَتَبَنَّى إِحْدَاهَا الْعَمَلَ لِلْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُرِدِ اللَّهُ ذَلِكَ، فَكَانَ قَوْمُهُ  
يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي لَمْ تُشْرَحْ صُدُورُ رُؤُسَائِهَا  
لِلْإِسْلَامِ آنَ ذَاكَ.

وَفِي الْعَامِ الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الْبِعْثَةِ التَّقَى رَسُولُ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْفِرُ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَثْنَاءَ  
الْمَوْسِمِ بِالْعَقَبَةِ فَتَلَّ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَسَمِعُوا مِنْهُ، وَاسْتَجَابُوا  
لَهُ، وَقَبِلُوا دَعْوَتَهُ، وَبَايَعُوهُ عَلَى الْعَمَلِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ اثْنِي  
عَشَرَ رَجُلًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَرَجَعُوا إِلَى مَدِينَتِهِمْ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ  
فَشا الْإِسْلَامُ فِي دُورِ الْأَنْصَارِ، فَأَرْسَلُوا رَجُلًا إِلَى رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَتَبُوا إِلَيْهِ كِتَابًا: ابْعَثْ إِلَيْنَا  
رَجُلًا يُفَقِّهُنَا فِي الدِّينِ وَيُقَرِّئُنَا الْقُرْآنَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ

المدينة نَزَلَ عَلَى اسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، وَكَانَ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فِي دُورِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيُقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ فَيَسْلِمُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ حَتَّى ظَهَرَ الْإِسْلَامُ وَفَشَا فِي دُورِ الْأَنْصَارِ كُلِّهَا وَالْعَوَالِي إِلَّا دُوراً مِنْ أَوْسِ اللَّهِ، وَهِيَ: خُطْمَةُ وَوَائِلُ وَوَاقِفُ. وَكَانَ مُصْنَعُ يَقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ وَيُعَلِّمُهُمْ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَأْذِنُهُ أَنْ يُجْمَعَ بِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُ وَكَتَبَ إِلَيْهِ: انْظُرْ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي يَجْهَرُ فِيهِ الْيَهُودُ لِسَبِّهِمْ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ فَارْذَلِفْ إِلَى اللَّهِ فِيهِ بِرَكَعَتَيْنِ وَاخْطُبْ فِيهِمْ. فَجَمَعَ بِهِمْ مُصْنَعُ بْنُ عُمَيْرٍ فِي دَارِ سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، وَمَا ذَبَحَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا شاةً، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ فِي الْإِسْلَامِ جُمُوعَةً.

وَكَانَ حَلِيمًا هَادِئًا فِي دَعْوَةِ الْقَوْمِ حَكِيمًا فِي سُلُوكِهِ وَتَصَرُّفِهِ، فَخَرَجَ بِهِ يَوْمًا اسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يُرِيدُ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ وَكِلَاهُمَا مِنَ الْأَوْسِ. فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، فَجَلَسَا، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رَجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ، يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأَسِيدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا

لَكَ، أَنْطَلِقُ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا،  
لِيُسَفِّهَا ضِعْفَانَا، فَأَزْجُرُهُمَا وَأَنْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا،  
فَإِنَّهُ لَوْلَا أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ مِنِّي حَيْثُ عَلِمْتُ، كَفَيْتَكَ ذَلِكَ، هُوَ  
ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَمًا، فَأَخَذَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ  
حَرْبَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ قَالَ  
لِمُصْعَبٍ إِنْ جَلَسَ فَكَلَّمَهُ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، فَقَالَ: مَا  
جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضِعْفَانَا؟ أَعْتَزَلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا  
بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوْ تَجْلِسُ فَتَسْمَعَ فَإِنْ  
رَضِيتَ أَمْرًا قَبْلَتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ:  
أَنْصَفْتُ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ  
بِالْإِسْلَامِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَقَالَ فِي نَفْسَيْهِمَا: وَاللَّهِ لَقَدْ  
عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ  
قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ كَيْ  
تَدْخُلُوا فِي هَذَا الْاَلْدَيْنِ؟ قَالَ لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَطَهَّرُ وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ  
الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا  
إِنْ أَتَبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِي. وَسَارَ سِلُّهُ إِلَيْكُمَا  
الآنَ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَأَنْصَرَفَ إِلَى سَعْدِ  
وَقَوْمِي، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ  
مُقْبِلًا، قَالَ: أَحْلِفْ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِغَيْرِ

الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي ،  
 قَالَ لَهُ سَعْدٌ : مَا فَعَلْتَ ؟ قَالَ : كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ ، فَوَاللَّهِ مَا  
 رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا ، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا ، فَقَالَا : نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ ، وَقَدْ  
 حَدَّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ لِيَقْتُلُوهُ  
 وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ ، لِيُخْفِرُوكَ . قَالَ :  
 فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبَادِرًا تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ ،  
 فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا ،  
 ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا ، فَلَمَّا رَأَاهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنِّينَ عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ  
 أَسِيدًا إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا ،  
 ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ : يَا أَبَا أَمَامَةَ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي  
 وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي ، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا  
 نَكْرَهُ ، وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ : أَيُّ  
 مُصْعَبٍ ! جَاءَكَ وَاللَّهُ سَيِّدٌ ، مِنْ وَرَائِهِ قَوْمُهُ ، وَإِنْ يَتَّبِعَكَ  
 لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ أَثْنَان . فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ : أَوْ تَقْعُدُ  
 فَتَسْمَعُ ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبْلَتَهُ . وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا  
 عَنْكَ مَا تَكْرَهُ ؟ قَالَ سَعْدٌ : أَنْصَفْتَ ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ ،  
 فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، قَالَا : فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي  
 وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسْهُلِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا :  
 كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِنْ أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ ؟ قَالَا :

تَغْتَسِلُ فَيَتَطَهَّرُ وَيُطَهِّرُ ثَوْبَكَ ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، ثُمَّ رَكَعَ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ ، فَأَقْبَلَ عَامِداً إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ .

فَلَمَّا رَأَاهُ قَوْمُهُ مُقْبِلاً قَالُوا : نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي مِنْكُمْ ؟ قَالُوا : سَيِّدَنَا ، وَأَوْصَلَنَا وَأَفْضَلَنَا رَأياً ، وَأَيَّمَنَا نَقِيَّةً ، قَالَ : فَإِنَّ ، كَلَامَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . فَمَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا أَمْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمٌ وَمُسْلِمَةٌ .

وَبَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُنْقَلَتْ مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ إِلَى بَيْتِهِ الَّذِي أَصْبَحَ الْمَرْكَزَ الْإِسْلَامِيَّ فِي الْمَدِينَةِ وَقَدْ بَدَأَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وَهُمَا سَيِّدَا الْأَوْسِ يَوْمَئِذٍ ، يَكْسِرَانِ أَصْنَامَ قَبِيلَتَيْهِمَا .

وَخَرَجَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ مِنَ الْمَدِينَةِ مَعَ السَّبْعِينَ الَّذِينَ وَافَوْا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ حَاجِّ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، وَرَافَقَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ ، فَقَدِمَ مَكَّةَ فَجَاءَ مَنْزِلَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوَّلًا وَلَمْ يَقْرُبْ مَنْزِلَهُ، فَجَعَلَ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْأَنْصَارِ وَسُرْعَتِهِمْ إِلَى  
الْإِسْلَامِ. فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِكُلِّ مَا  
أَخْبَرَهُ.

### مُصْعَبٌ مَعَ أُمِّهِ

وَبَلَغَ أُمُّ مُصْعَبٍ أَنَّ ابْنَهَا قَدْ قَدِمَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ: يَا عَاقُ  
أَتَقْدُمُ بَلَدًا أَنَا فِيهِ لَا تَبْدَأُ بِي؟ فَاسْتَعْلَى بِإِيمَانِهِ وَتَذَكَّرَ حَبَّهُ  
لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا حَتَّى مِنْ نَفْسِهِ فَأَجَابَ أُمُّهُ: مَا كُنْتُ لِابْنِي بِأَحَدٍ  
قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَى  
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا أَخْبَرَهُ ذَهَبَ  
إِلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ: إِنَّكَ لَعَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاةِ بَعْدُ! قَالَ:  
أَنَا عَلَى دِينِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ  
الْإِسْلَامُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَلِرَسُولِهِ، قَالَتْ: مَا شَكَرْتَ  
مَا رَزَقْتُكَ مَرَّةً بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَرَّةً بِيَثْرِبَ، فَقَالَ: أَقْرُبُ بِدِينِي  
إِنْ تَفْتِنُونِي. فَأَرَادَتْ حَبْسَهُ فَقَالَ: لَيْنَ أَنْتِ حَبَسْتَنِي لِأَحْرَصَنَ  
عَلَى قَتْلِ مَنْ يَتَعَرَّضُ لِي، قَالَتْ: فَادْهَبْ لِشَأْنِكَ. وَجَعَلَتْ



تَبْكِي، فَقَالَ مُصْعَبُ: يَا أُمُّهُ إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ عَلَيْكَ شَفِيقٌ  
فَاشْهَدِي أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَتْ:  
وَالثَّوَابُ لِي لَا أَذْخُلُ فِي دِينِكَ فَيُزَيَّرَ بِرَأْيِي وَيُضَعَّفُ عَقْلِي  
وَلَكِنِّي أَدْعُكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَأَقِيمُ عَلَى دِينِي. فَغَادَرَ  
مُصْعَبُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أُمُّهُ وَهُوَ خَائِفٌ عَلَيْهَا مِنَ النَّارِ،  
مُتَضَايِقٌ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ وَمُعَادَاةِ الْإِسْلَامِ،  
وَانْتَقَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَقَامَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
بِمَكَّةَ بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَصَفَرَ وَقَدِمَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا لِإِهْلَالِ شَهْرِ رَجَبٍ  
الْأَوَّلِ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَثْنَتَيْ  
عَشْرَةَ لَيْلَةً.

وَعِنْدَمَا آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ  
الْمُسْلِمِينَ آخَى بَيْنَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي  
وَقَاصٍ، وَيُقَالُ: بَيْنَ مُصْعَبٍ وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ،  
وَيُقَالُ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَكْوَانَ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ.

## فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى بَدْرٍ بَعْدَ أَنْ  
اِئْتَدَبَ الْمُسْلِمِينَ لِلْخُرُوجِ إِلَى عِيرِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ  
عُمَيْرٍ فِي طَلِيعَةِ الْمُنْطَلِقِينَ وَيَحْمِلُ لِوَاءَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَّا رَايَةُ الْمُهَاجِرِينَ فَكَانَتْ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي  
طَالِبٍ، وَرَايَةُ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَكَانَتْ مَشِيتَةُ اللَّهِ  
أَنْ يَكُونَ اللَّقَاءُ مَعَ جَيْشِ قُرَيْشٍ، وَأَنْ تَنْجُو الْعِيرُ، وَكَانَتْ  
مَعْرَكَةُ بَدْرٍ فُرْقَانًا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ اِنتَصَرَفِيهَا الْحَقُّ وَأَهْلُهُ وَانْدَحَرَ  
الْبَاطِلُ وَأَصْحَابُهُ. وَخَلَفَ الْمُشْرِكُونَ سَبْعِينَ قِتِيلًا مِنْهُمْ فِي  
سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ، كَمَا تَرَكُوا مِثْلَهُمْ مِنَ الْأَسْرَى وَقَعُوا بِأَيْدِ  
الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى شَقِيقُ مُصْعَبٍ، وَهُوَ أَبُو  
عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ الَّذِي أَخَذَ لِوَاءَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ اسْرِ النَّضْرِ بْنِ  
الْحَارِثِ الَّذِي كَانَ بِيَدِهِ اللَّوَاءُ مِنْ قَبْلُ.

لَقَدْ أَسِيرَ أَبُو عَزِيزٍ مِنْ قَبْلِ أَبِي الْيَسْرِ أَحَدِ رِجَالِ الْأَنْصَارِ،  
وَيُرْوَى أَبُو عَزِيزٍ قِصَّةَ اسْرِهِ بَعْدَ إِسْلَامِهِ فَيَقُولُ: مَرَّ بِي أَخِي  
مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فَقَالَ مُصْعَبُ  
لِلْأَنْصَارِيِّ: شُدَّ يَدَيْكَ بِهِ؛ فَإِنَّ أُمَّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ لَعَلَّهَا تَفْدِيهِ  
مِنْكَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَخِي، هَذِهِ وَصَائِكَ بِي؟ فَقَالَ مُصْعَبُ:

إِنَّهُ أَخِي دُونَكَ<sup>(١)</sup> !!

## فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالمُسْلِمِينَ إِلَى أُحُدٍ، وَسَلَّمَ اللُّوَاءَ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَتَقَدَّمَ المُسْلِمُونَ، وَكَانَ لَهُمُ النَّصْرُ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ، ثُمَّ ذَارَتْ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَةُ فَانْهَزَمُوا لِمُخَالَفَتِهِمْ أَوْامِرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَمَحِيصًا لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَابْتِلَاءً، وَمَعْرِفَةً لِلصَّابِرِينَ، وَقَاتَلَ مُصْعَبٌ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ،

---

(١) فالقربة والمودة في الإسلام لا تقومان على صلة الجنس أو الدم أو أية صلة مادية وإنما تقومان على العقيدة يقول تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ . . .﴾ المجادلة الآية ٢٢.

والحب قائم بين المسلمين، ومن الإيمان وجوب محبة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». متفق عليه.

وروى عبدالله بن هشام قال: كنا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر» رواه البخاري.

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُمُّ عُمَارَةَ تُسَيِّئَةُ بِنْتُ كَعْبٍ الَّتِي قَالَتْ «خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَأَنَا أَنْظَرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَمَعِيَ سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ، وَالِدَوَّلَةُ وَالرَّيْحُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحِزْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُمْتُ أَبَاشِرُ الْقِتَالِ، وَأَذْبُ عَنْهُ بِالسَّيْفِ، وَأَرْمِي عَنِ الْقَوْسِ، حَتَّى خَلَصْتُ الْجِرَاحُ إِلَيَّ! فَلَمَّا وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقْبَلَ ابْنُ قَمِيثَةَ يَقُولُ: ذُلُّنِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَا نَجَوْتَ إِنْ نَجَا، فَأَعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَأَنَاسُ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ، وَلَكِنْ فَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرَبَاتٍ، وَلَكِنْ عَدُوُّ اللَّهِ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعَانِ»<sup>(١)</sup>. وَقَتَلَ ابْنُ قَمِيثَةَ - قَبْحَهُ اللَّهُ - مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ. وَرَوِي أَنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ حَمَلَ اللِّوَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمَّا جَالَ الْمُسْلِمُونَ ثَبَتَ بِهِ مُصْعَبُ فَأَقْبَلَ ابْنُ قَمِيثَةَ، وَهُوَ فَارِسٌ، فَضَرَبَ يَدَهُ الْيُمْنَى فَقَطَعَهَا وَمُصْعَبُ يَقُولُ: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، وَأَخَذَ

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٨٧.

اللَّوَاءَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى، وَحَنَّا عَلَيْهِ، فَضَرَبَ يَدَهُ الْيُسْرَى  
فَقَطَعَهَا، فَحَنَّا عَلَى اللَّوَاءِ وَضَمَّهُ بَعْضُ دِيهِ إِلَى صَدْرِهِ وَهُوَ  
يَقُولُ: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ. ثُمَّ  
حَمَلَ عَلَيْهِ الثَّالِثَةَ بِالرُّمْحِ فَأَنْفَذَهُ وَأَنْدَقَ الرُّمْحُ وَوَقَعَ مُصْعَبٌ  
وَسَقَطَ اللَّوَاءُ، وَابْتَدَرَهُ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ: سُوَيْبُ بْنُ  
سَعْدٍ بْنُ حَرْمَلَةَ وَأَبُو الرُّومِ بْنُ عُمَيْرٍ، فَأَخَذَهُ أَبُو الرُّومِ بْنُ  
عُمَيْرٍ فَلَمْ يَزَلْ فِي يَدِهِ حَتَّى دَخَلَ بِهِ الْمَدِينَةَ حِينَ انْصَرَفَ  
الْمُسْلِمُونَ<sup>(١)</sup>.

قَتَلَ ابْنُ قَمِيثَةَ - قَبَحَهُ اللَّهُ - مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، وَهُوَ يَظُنُّ  
أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ  
فَقَالَ: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا. فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أُعْطِيَ رَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّوَاءَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ،  
وَقَاتَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرِجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ:  
أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ أُحُدٍ  
مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ اللَّوَاءَ فَقُتِلَ مُصْعَبٌ فَأَخَذَهُ مَلِكٌ فِي صُورَةٍ

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء الثالث.

(٢) سيرة ابن هشام الجزء الثالث.

مُصْنَعِبٍ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لَهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ: تَقَدَّمْ يَا مُصْنَعِبُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فَقَالَ: لَسْتُ بِمُصْنَعِبٍ: فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ مَلِكٌ أُيْدَ بِهِ<sup>(١)</sup>.

وَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى مُصْنَعِبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَهُوَ مُنْجَعِفٌ عَلَى وَجْهِهِ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّكُمْ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ زُورُوا هُمْ وَأَتَوْهُمْ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلَّمُ عَلَيْهِمْ مُسَلِّمٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا رَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ خُبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ فَمِمَّا مَضَى وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْنَعِبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ شَيْءٌ يَكْفُنُ فِيهِ إِلَّا نَمِرَةٌ،

(١) الطبقات الكبرى .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

(٣) الطبقات الكبرى .

فَكُنَّا إِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رَأْسِهِ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا وَضَعْنَاهَا  
عَلَى رِجْلَيْهِ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، اجْعَلُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ  
الْإِذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَتَيْتَ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا<sup>(١)</sup>.

كَانَ مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقِيقَ الْبَشَرَةِ حَسَنَ اللَّمَّةِ  
لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ، اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى رَأْسِ  
اِثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ  
يَزِيدُ شَيْئًا، فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
وَهُوَ فِي بُرْدَةٍ مَقْتُولٍ فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُكَ بِمَكَّةَ وَمَا بِهَا أَحَدٌ أَرْقُ  
حُلَةً وَلَا أَحْسَنُ لِمَةً مِنْكَ، ثُمَّ أَتَتْ شَعِثُ الرَّأْسِ فِي بُرْدَةٍ، ثُمَّ  
أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْبَرَ فَنَزَلَ فِي قَبْرِهِ أَخُوهُ أَبُو الرُّومِ بْنُ عُمَيْرٍ،  
وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَسُوَيْبُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ حَرْمَلَةَ.

ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَاجِعًا إِلَى  
الْمَدِينَةِ، فَلَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَلَمَّا لَقِيَتْ النَّاسَ نُعِيَ  
إِلَيْهَا أَخُوها عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ،  
ثُمَّ نُعِيَ لَهَا خَالَهَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَاسْتَرْجَعَتْ  
وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا زَوْجُهَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ،

(١) المصدر نفسه.

فَصَاحَتْ وَلَوْلَتْ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لِمِمَّاكَانِ!

كَانَ مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَفْضَلِ الرِّجَالِ أَخْلَاقًا  
تَأْدَبَ بِآدَابِ الْإِسْلَامِ وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ أَهْلِهِ، يَقُولُ عَامِرُ بْنُ  
رَبِيعَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ لِي خَدْنًا  
وَصَاحِبًا مُنْذُ يَوْمِ أَسْلَمَ إِلَى أَنْ قُتِلَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، بِأَحَدٍ خَرَجَ  
مَعَنَا إِلَى الْهَجْرَتَيْنِ جَمِيعًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ رَفِيقِي مِنْ  
بَيْنِ الْقَوْمِ فَلَمْ أَرِ رَجُلًا قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ خُلُقًا وَلَا أَقْلَّ خِلَافًا  
مِنْهُ.

وَكَانَ مُصْعَبُ مُنْعَمًا جَدًّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَبَاعَ النَّعِيمَ كُلَّهُ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ وَعَاشَ عَلَى الْكَفَافِ. أَقْبَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ذَاتَ  
يَوْمٍ وَالنَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ  
قِطْعَةُ نَمْرَةٍ قَدْ وَصَلَهَا بِإِهَابٍ قَدْ رَدَّنَهُ ثُمَّ وَصَلَهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا رَأَاهُ  
أَصْحَابُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَكَسُوا رُؤُوسَهُمْ  
رَحْمَةً لَهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يُغَيِّرُونَ عَنْهُ، فَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ  
لَيَقْلَبُ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا، يَعْنِي مُصْعَبًا، وَمَا بِمَكَّةَ



فَتَى مِنْ قُرَيْشٍ أَنْعَمَ عِنْدَ أَبَوَيْهِ نَعِيمًا مِنْهُ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ ذَلِكَ  
الرُّعْبَةِ فِي الْخَيْرِ فِي حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.



الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَعَلَى آلِهِ  
وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْدُ:

فَإِنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ شَاعِرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، كَانَ لَهُ دَوْرُهُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَوَاءً  
أَكَانَ ذَلِكَ بِسَيْفِهِ أَمْ بِلِسَانِهِ، إِذْ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا سِوَى بَدْرِ  
وَتَبُوكَ، وَعَاشَ بِجَوَارِحِهِ كُلَّهَا مَعَ الدَّعْوَةِ حَيْثُ كَانَ يَذْكُرُ  
الْحَرْبَ فِي شِعْرِهِ وَيَقُولُ نَفْعَلُ وَنَفْعَلُ وَيَتَهَدَّدُ الْكُفَّارَ، وَيَمْدَحُ  
رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَرِثِي شُهَدَاءَ  
الْمُسْلِمِينَ. وَإِذَا كَانَ قَدْ بَرَزَ فِي شِعْرِهِ وَجْهَادِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ  
كَذَلِكَ فِي بَيَعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَأَخَذَ أَكْثَرَ أَصْحَابِ السَّيْرِ  
أَحْدَاثَهَا عَنْهُ، وَكَانَ مِنَ الْمُخْلَفِينَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَابَ اللَّهُ  
عَنْهُمْ فَوَرَدَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَكْثَرَ الَّذِي  
حَفِظَ اسْمَهُ وَخَلَّدَ ذِكْرَهُ.

وَعَاشَ طَوِيلًا ، وَأُنْجِبَ الْأَوْلَادَ الَّذِينَ رَوَوْا عَنْهُ ، إِذْ كُفَّ  
بَصَرُهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ فَكَانَ وَلَدُهُ يَقُوذُهُ وَيَسْمَعُ مِنْهُ أَحْدَاثَ أَيَّامِهِ  
وَمَا جَرَى مَعَهُ ، فَكَانَ ابْنُهُ السَّجِلُّ الَّذِي حَفِظَ الْكَثِيرَ مِنْ سِيرَةِ  
ذَلِكَ الصَّحَابِيِّ وَأَخْبَارِهِ .

فَارْجُوا أَنْ أَوْفَّقَ فِي إِعْطَاءِ صُورَةٍ صَادِقَةٍ عَنْ حَيَاةِ  
كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

### أُسْرَتُهُ

هُوَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ أَبِي كَعْبٍ عَمْرٍو بْنِ الْقَيْنِ بْنِ  
كَعْبِ بْنِ سَوَادٍ بْنِ غَنَمٍ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ ،  
الْخَزْرَجِيُّ .

وَبَنُو سَلَمَةَ أَحَدُ بَطْنِ الْخَزْرَجِ الْمَعْرُوفِينَ .

وُلِدَ كَعْبٌ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، فَهُوَ  
أَصْغَرُ مَنْ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِسِتِّ وَعِشْرِينَ  
سَنَةً ، وَأَسْلَمَ وَعُمُرُهُ سِتُّ وَعِشْرُونَ سَنَةً .

وُلِدَ كَعْبٌ فِي أُسْرَةٍ عُرِفَتْ بِالشَّجَاعَةِ وَاشْتَهَرَتْ بِالشَّعْرِ ، إِذْ  
كَانَ أَبُوهُ مَالِكُ شَاعِرًا فَارِسًا شَجَاعًا ، أَبْدَى كَثِيرًا مِنْ فُنُونِ  
الْفُرُوسِيَّةِ فِي حَرْبِ «بُعَاثَ» الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ سُكَّانِ يَثْرِبَ مِنْ

الأوسِ وَالْخَزْرَجِ قُبِيلَ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ  
مَالِكٌ ذَا سَعَةٍ وَيَسَارٍ.

نَشَأَ كَعْبٌ وَحِيداً لِأَبِيهِ فَكَانَ مُرْفَهاً مُنْعَماً، تَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ  
وَالْكِتَابَةَ وَهُمَا أَمْرٌ نَادِرٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَمَا عَرَفَ الْحِسَابَ،  
وَفُطِرَ عَلَى الشُّعْرِ.

وَكَانَتْ أُمُّهُ لَيْلَى بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ أَيْضاً،  
لَهَا مَكَانَتُهَا فِي عَشِيرَتِهَا وَلَهَا مَرْكُزُهَا بَيْنَ بَنِي سَلَمَةَ.

تَزَوَّجَ كَعْبٌ إِحْدَى بَنَاتِ بَنِي سَلَمَةَ وَهِيَ عُمَيْرَةُ أُمُّ مَعْبِدٍ  
بِنْتُ جُبَيْرِ بْنِ صَخْرِ فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ، الَّذِي كَانَ قَائِداً أَبِيهِ  
عِنْدَمَا كَفَّ بَصْرُهُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَفَضَالَةَ،  
وَوَهْباً، وَمَعْبِداً مِنَ الذُّكُورِ، وَخَوْلَةَ، وَسُعَادَ مِنَ الْإِنَاثِ.  
وَقَدْ أَسْلَمَتْ عُمَيْرَةُ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، وَرَوَتْ بَعْضَ حَدِيثِهِ.

وَتَزَوَّجَ كَعْبٌ أَيْضاً (خَيْرَةَ)، وَقَدْ رَوَتْ بَعْضَ حَدِيثِ  
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَتَزَوَّجَ فَنَاءَةً مِنَ الْيَمَنِ  
تُدْعَى «صَفِيَّةً» وَوَلَدَتْ لَهُ «كَبْشَةَ». وَتَزَوَّجَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ،  
وَرَوَى ابْنُ الْأَثِيرِ لَهَا حَدِيثاً فِي إِنْشَادِ الشُّعْرِ فِي الْمَسْجِدِ.

وَكَاثَتْ لَهُ عِدَّةُ أُمَّهَاتٍ لَأَوْلَادِهِ . أَنْجَبَتْ لَهُ إِخْدَاهُنَّ وَلَدًا سُمِّيَ  
«عَبْدَ الرَّحْمَنِ» .

كَانَ كَعْبٌ يُكْنَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِأَبِي بَشِيرٍ ، فَكَنَاهُ رَسُولُ  
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، (أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) بِاسْمِ ابْنِهِ  
الْكَبِيرِ .

## إِسْلَامُ كَعْبٍ

عَاشَ كَعْبٌ فِي يَثْرِبَ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً قَبْلَ إِسْلَامِهِ حَيَاةَ  
نَعِيمٍ وَرَفَاقٍ ، وَلَمَّا شَبَّ بَدَأَ يَنْظِمُ الشُّعْرَ ، وَمُعْظَمُهُ فِي  
الْفَخْرِ . إِذْ كَانَ يَرَى كَمَا يَرَى أَهْلُ يَثْرِبَ مِنَ الْأَوْسِ  
وَالْخَزَرَجِ أَنَّهُمْ مِنَ الْحَيِّ الْيَمَانِيِّ مِنَ الْأَزْدِ ، وَقَدْ هَاجَرُوا  
مِنْ مَوَاطِنِهِمُ الْأَوَّلِ عِنْدَ خَرَابِ سَدِّ مَأْرِبَ فَتَوَزَّعُوا فِي  
الْبِلَادِ وَمِنْهُمْ الْغَسَّاسِيَّةُ فِي الشَّامِ ، وَالْمَنَاذِرَةُ فِي الْعِرَاقِ ،  
وَالْأَزْدُ فِي عُمَانَ ، كَمَا يَرَى هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَزْدِ مِنَ الْأَوْسِ  
وَالْخَزَرَجِ أَنَّ الْغَسَّاسِيَّةَ أَكْثَرُ قُرْبَى لَهُمْ مِنَ الْمَنَاذِرَةِ لِذَا كَانَ  
مَذْحُكُهُمْ لَلِغَسَّانِ أَكْثَرُ بَلْ يَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ فِرْعَا مِنْهُمْ ، فَتَرَى  
كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ فِي هَذَا :

وَعَسَّانُ أَصْلِي وَهُمْ مَعْقِلِي  
فَنِعْمَ الْأُرُومَةُ وَالْمَعْقِلُ

بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

۳۲

شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

لَعْنَةُ بَنِي مُسَالِمٍ  
رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُ





فَهَذَا جَانِبٌ مِنْ جَوَانِبِ الشَّعْرِ الَّذِي انْصَرَفَ إِلَيْهِ كَعَبٌ،  
 كَمَا أَنَّ هُنَاكَ جَانِبًا آخَرَ، وَهُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ  
 وَفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ إِذْ يَبْدُو أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِهَا وَهُوَ فِي حَدَاثَةِ  
 سِنِّهِ وَرِيعَانِ شَبَابِهِ فَيَقُولُ:

وَأَعْضُوا عَنِ الْفَحْشَاءِ، لَا تَعْرِضُوا لَهَا  
 وَلَا تَطْلُبُوا حَرْبَ الْعَشِيرَةِ بِالْقَلْبِ  
 وَلَا تَقْبِضُوا أَعْرَاضَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ  
 وَلَا تَلْمِسُوهَا فِي الْمَجَالِسِ وَالرُّكْبِ

وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ لِهَذَا الْحَيِّ مَا أَرَادَ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْعِزِّ التَّقَى  
 حَاجِبِيهِمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي  
 الْمَوْسِمِ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ، وَاسْمِعُوا مِنْهُ الْقُرْآنَ، وَآمَنُوا بِهِ،  
 وَصَدَّقُوهُ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ الْعَقْبَةِ الْأُولَى، وَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى  
 مَدِينَتِهِمْ بَلَّغُوا يَدْعُونَ، وَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَبْعَثَ لَهُمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ أُمُورَ  
 دِينِهِمْ، وَيُقَرِّئُهُمُ الْقُرْآنَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ،  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَانَ يُسَمَّى الْمُقَرَّيَّ، فَأَخَذَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ،  
 وَيُسَلِّمُ النَّاسَ، فَكَانَ كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ  
 الَّذِينَ أَسْلَمُوا فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، وَكَانَ إِسْلَامُهُ مِنَ الْأَرْبَعِينَ

الْأَوَائِلِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَنْصَارِ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ: كُنْتُ قَائِدَ أَبِي،  
كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، حِينَ ذَهَبَ بَصْرَهُ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ بِهِ إِلَى  
الْجُمُعَةِ فَسَمِعَ الْأَذَانَ بِهَا صَلَّى عَلَى أَبِي أَمَامَةً، أَسْعَدُ بْنُ  
زُرَّارَةَ. قَالَ: فَمَكَثَ حِينًا عَلَى ذَلِكَ لَا يَسْمَعُ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ  
إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ. قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ إِنَّ  
هَذَا بِي لَعَجْزٌ، أَلَا أَسْأَلُهُ مَا لَهُ إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ  
صَلَّى عَلَى أَبِي أَمَامَةً أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ؟ قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهِ فِي  
يَوْمِ جُمُعَةٍ كَمَا كُنْتُ أَخْرُجُ، فَلَمَّا سَمِعَ الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ صَلَّى  
عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ مَالِكِ إِذَا سَمِعْتَ  
الْأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ صَلَّيْتَ عَلَى أَبِي أَمَامَةً؟ قَالَ: فَقَالَ: أَيُّ بَنِي،  
كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ بِنَا بِالْمَدِينَةِ فِي هَزْمِ النَّبِيِّ، مِنْ حَرَّةِ بَنِي  
بَيَاضَةَ، يُقَالُ لَهُ: نَقِيعُ الْخَضِصَاتِ، قَالَ: قُلْتُ: وَكَمْ أَنْتُمْ  
يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ.

وَمَا أَنْ اعْتَقَ كَعْبُ الْإِسْلَامَ حَتَّى خَلَعَ عَنْهُ كُلَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ  
مِنْ جَاهِلِيَّةٍ، وَاتَّجَهَ بِكُلِّيَّتِهِ نَحْوَ دِينِهِ، وَاجْتَهَدَ مَا أَمَكَّنَهُ  
الْاجْتِهَادُ فَكَانَ كَأَنَّمَا وَلَدَ مِنْ جَدِيدٍ.

## فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَى وَعَوْدَةِ الْأَنْصَارِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَانْتِشَارِ  
الْإِسْلَامِ هُنَاكَ، وَقُدُومِ مُصْنَبِ بْنِ عُمَيْرٍ إِلَيْهِمْ، وَنُزُولِهِ  
عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، وَنَشَاطِهِ فِي الدَّعْوَةِ فَشَا الْإِسْلَامُ فِي  
دُورِ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا حَانَ الْمَوْسِمُ رَجَعَ مُصْنَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَى  
مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى  
الْمَوْسِمِ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ، حَتَّى قَدِمُوا  
مَكَّةَ، فَوَاعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعَقَبَةَ،  
مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مَا أَرَادَ مِنْ  
كَرَامَتِهِ، وَالتَّصَرُّفِ لِنَبِيِّهِ، وَإِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَإِذْلالِ  
الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ شُهَدَاءِ الْعَقَبَةِ  
فَيَقُولُ عَنْ ذَلِكَ: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ  
صَلَّيْنَا وَفَقَّهْنَا، وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، سَيِّدُنَا وَكَبِيرُنَا، فَلَمَّا  
وَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا، وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ الْبَرَاءُ لَنَا: يَا هَؤُلَاءِ،  
إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيَا، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَتَوَافِقُونِنِي عَلَيْهِ أَمْ لَا؟  
قُلْنَا: وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ: قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ لَا أَدْعُ هَذِهِ الْبَيْتَةَ مِنِّي  
بَظَهَرٍ، يَعْنِي الْكَعْبَةَ، وَأَنْ أَصْلِي إِلَيْهَا. فَقُلْنَا: وَاللَّهِ مَا بَلَّغْنَا

أَنْ نَبَيِّنَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُصَلِّي إِلَّا إِلَى الشَّامِ، وَمَا  
نُرِيدُ أَنْ نُخَالِفَهُ، فَقَالَ: إِنِّي لَمُصَلٍّ إِلَيْهَا، فَقُلْنَا لَهُ: لَكِنَّا لَا  
نَفْعَلُ. فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ، وَصَلَّيْ  
إِلَى الْكُعْبَةِ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ، وَقَدْ كُنَّا عَيْنًا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ،  
وَأَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى ذَلِكَ. فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ لِي: يَا ابْنَ  
أَخِي، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
حَتَّى نَسْأَلَهُ عَمَّا صَنَعْتَ فِي سَفَرِي هَذَا، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَعَ  
فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ خِلَافِكُمْ إِيَّايَ فِيهِ. فَخَرَجْنَا  
نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ،  
وَلَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَلَقِينَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ  
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفَانِيهِ؟  
فَقُلْنَا: لَا. قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ؟  
قُلْنَا: نَعَمْ - وَقَدْ كُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ، كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدُمُ عَلَيْنَا  
تَاجِرًا - قَالَ: فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ  
الْعَبَّاسِ. فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ، وَرَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسٌ مَعَهُ، فَسَلَّمْنَا ثُمَّ جَلَسْنَا  
إِلَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلْعَبَّاسِ:  
هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟ قَالَ: نَعَمْ، هَذَا  
الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، سَيِّدُ قَوْمِهِ؛ وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ. فَوَاللَّهِ

مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشَّاعِرُ؟  
 قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي  
 خَرَجْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، وَقَدْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، فَرَأَيْتُ أَنْ  
 لَا أَجْعَلَ هَذِهِ الْبَيْتَةَ مِنِّي يَظْهَرُ، فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا، وَقَدْ خَالَفَنِي  
 أَصْحَابِي فِي ذَلِكَ، حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَمَاذَا  
 تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قَدْ كُنْتَ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا.  
 فَرَجَعَ الْبَرَاءُ إِلَى قِبْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
 فَصَلَّى مَعَنَا إِلَى الشَّامِ. وَأَهْلُهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ  
 حَتَّى مَاتَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا قَالُوا، نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ.

كَمَا حَدَّثَ كَعْبٌ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ،  
 وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ  
 أَيَّامِ الشَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي  
 وَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهَا، وَمَعَنَا  
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ، سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا،  
 وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، أَخَذَنَا مَعَنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ  
 قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَرْنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ  
 سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا  
 أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَظَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْنَاهُ لِلْإِسْلَامِ،

وَأَخْبَرَنَاهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِيَّانَا الْعَقَبَةَ. فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيًّا.

فَإِنَّمَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَتَسَلَّلُ تَسَلَّلَ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا: نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، أُمُّ عُمَارَةَ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَابِي، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلَمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ.

فَاجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمِئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ<sup>(١)</sup>، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ. فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ - قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِثْمًا يُسْمَوْنَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ، خَزَرَجَهَا وَأَوْسِيَهَا -: إِنَّ

---

(١) كان هذا ظاهر العباس، رضي الله عنه، والواقع أنه كان مسلماً وعيناً لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، على أهل مكة، ولا يعرف هذا أحد، لذا لا يمكن أن يقول إلا هذا فلو قال غير ذلك لبطلت المهمة المناطة به.

مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا ، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأَيْنَا فِيهِ ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَهُ فِي بَلَدِهِ ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبِي إِلَّا الْأَنْحِيَاذَ إِلَيْكُمْ ، وَاللَّهُ حَقُّ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَأَقُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحْمَلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَمِنْ الْآنَ فَدَعُوهُ ، فَإِنَّهُ فِي عِزَّةٍ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ ، فَقُلْنَا لَهُ : قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَخَذَ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ .

فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَلَا الْقُرْآنَ ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ ، وَرَعَّبَ فِي الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ : أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ . فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا ، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ أَزْرَنَا ، فَبَايَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَنَحْنُ وَاللَّهُ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ ، وَأَهْلُ الْحَلْفَةِ ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ . فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ ، وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا ، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْيَهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى

قَوْمِكُمْ وَتَدْعُنَا؟ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: بَلِ الدِّمُ الدِّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأَسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيًّا، لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ، فَأَخْرِجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيًّا، تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزَرَجِ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْسِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلنُّقَبَاءِ: أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلَاءَ، كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - قَالُوا: نَعَمْ.

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ، هَلْ تَذَرُونَ عَلَامَ ثُبَايَعُونَ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: ثُبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا نُهِكْتَ أَمْوَالُكُمْ مُصِيبَةً، وَأَشْرَافُكُمْ قَتْلًا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمِنْ الْآنَ، فَهُوَ وَاللَّهُ إِنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَأَفُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ عَلَى نَهْكَ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَخُذُوهُ، فَهُوَ وَاللَّهُ، خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ؛ فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفِينَا



بِذَلِكَ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ. قَالُوا: ابْسُطْ يَدَكَ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ.

فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتِ سَمِيعَتِهِ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجَبَابِجِ<sup>(١)</sup> هَلْ لَكُمْ فِي مُدَمَّمٍ وَالصُّبَّاءِ مَعَهُ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا أَزَبُ الْعَقَبَةِ<sup>(٢)</sup>، هَذَا ابْنُ أَزَيْبٍ، أَتَسْمَعُ أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَفْرَعَنَّ لَكَ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ارْضَوْا إِلَى رِحَالِكُمْ. فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: وَاللَّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ: إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنْى غَدًا بِأَسْيَافِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ تُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ. فَرَجَعْنَا إِلَى مَضَاجِعِنَا فَنِمْنَا عَلَيْهَا حَتَّى أَصْبَحْنَا.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا عَدَتْ عَلَيْنَا جِلَّةُ قُرَيْشٍ حَتَّى جَاءُونَا فِي مَنَازِلِنَا، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، وَتُبَايَعُونَهُ

---

(١) الجبابج: منازل منى.

(٢) أزب: اسم شيطان العقبة.

عَلَى حَرْبِنَا، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضُ إِلَيْنَا، أَنْ  
تَنْشِبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، مِنْكُمْ. فَأَتَبَعَتْ مِنْ هُنَاكَ مِنْ  
مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ، وَمَا  
عَلِمْنَاهُ - وَقَدْ صَدَقُوا لَمْ يَعْلَمُوهُ - وَبَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ .  
ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ، وَفِيهِمْ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ بِنِ الْمُغِيرَةِ  
الْمَخْزُومِيِّ، وَعَلَيْهِ نَعْلَانٌ لَهُ جَدِيدَانِ. فَقُلْتُ لَهُ كَلِمَةً: يَا أَبَا  
جَابِرٍ، أَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَّخِذَ، وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، مِثْلَ  
نَعْلِي هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ؟ فَسَمِعَهَا الْحَارِثُ، فَخَلَعَهُمَا مِنْ  
رِجْلَيْهِ ثُمَّ رَمَى بِهِمَا إِلَيَّ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَنْتَعِلَنَّهُمَا. قَالَ أَبُو  
جَابِرٍ: مَهْ: أَحْفَظْتَ وَاللَّهِ الْفَتَى، فَارْدُدْ إِلَيْهِ نَعْلَيْهِ. قُلْتُ:  
وَاللَّهِ لَا أَرُدَّهُمَا، فَأَلَّ وَاللَّهِ صَالِحٌ، لَعِنْ صَدَقَ الْفَالُ لَأَسْلِبَنَّهُ.

وَنَفَرَ النَّاسُ مِنْ مِنَى، فَتَنَطَّسَ<sup>(١)</sup> الْقَوْمُ الْخَبَرَ، فَوَجَدُوهُ قَدْ  
كَانَ، وَخَرَجُوا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ، فَأَذْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ  
بِأَذَاخِرٍ، وَالْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو، أَخَابِنِي سَاعِدَةَ بْنَ كَعْبٍ بِنِ  
الْخَزْرَجِ، وَكِلَاهُمَا كَانَ نَفِيًّا. فَأَمَّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ الْقَوْمُ،  
وَأَمَّا سَعْدٌ فَأَخَذُوهُ، فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِنَسْغِ رِجْلَيْهِ ثُمَّ  
أَقْبَلُوا بِهِ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَكَّةَ يَضْرِبُونَهُ وَيَجْدِبُونَهُ بِجَمْتِهِ، وَكَانَ

(١) تنطس القوم الخبر: أكثروا البحث عنه.

ذَا شَعَرَ كَثِيرٌ<sup>(١)</sup>.

وَوَصَلَ الْحَاجُّ الْيَثْرِبِيُّ إِلَى مَدِينَتِهِمْ، وَمَا هِيَ إِلَّا أَشْهُرُ  
حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَدِينَةِ  
بَعْدَ أَنْ سَبَقَهُ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إِلَيْهَا.

وَيَفْخَرُ بَبَيْعَةِ الْعَقَبَةِ، وَيَتَهَدَّدُ زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ أَبِيَّ بْنَ خَلْفٍ  
وَأَبَا سُفْيَانَ، وَيَنْبِي عَلَى ثِقَبَاءِ الْأَنْصَارِ وَيَذْكُرُ فَضَائِلَهُمْ  
فَيَقُولُ:

أُبْلِغْ أَبِيًّا<sup>(٢)</sup> أَنَّهُ فَإِنْ رَأَيْتَهُ  
وَحَانَ غَدَاةُ الشَّعْبِ، وَالْحَيْنُ وَاقِعُ  
أَبَى اللَّهِ مَا مَثَلَ نَفْسِكَ، إِنَّهُ  
بِمِرْصَادِ أَمْرِ النَّاسِ رَاءٍ وَسَامِعُ  
وَأُبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ<sup>(٣)</sup> أَنَّ قَدْ بَدَأَ لَنَا  
بِأَحْمَدَ نُورٌ مِنْ هُدَى اللَّهِ سَاطِعُ

---

(١) ثم أفلت القوم سعداً بعد أن أجاره بعضهم وهما: جبير بن مطعم بن عدي، والحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس. انظر سيرة ابن هشام.

(٢) أبي بن خلف الجمحي.

(٣) أبو سفيان صخر بن حرب الأموي.

فَلَا تَرْغَبَنَّ فِي حَشْدِ أَمْرِ تُرِيدُهُ  
 وَأَلْبَسْ وَجَمْعَ كُلِّ مَا أَنْتَ جَامِعٌ  
 أَبَاهُ الْبَرَاءُ<sup>(١)</sup>، وَابْنُ عَمْرٍو<sup>(٢)</sup>، كِلَاهُمَا  
 وَأَسْعَدُ<sup>(٣)</sup> يَأْبَاهُ عَلَيْكَ، وَرَافِعُ<sup>(٤)</sup>  
 وَسَعْدُ<sup>(٥)</sup> أَبَاهُ السَّاعِدِيُّ، وَمُنْذِرُ<sup>(٦)</sup>  
 لِأَنْفِكَ، إِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ، جَادِعُ  
 وَمَا ابْنُ رَبِيعٍ<sup>(٧)</sup>، إِنْ تَنَاوَلْتَ عَهْدَهُ  
 بِمُسْلِمِهِ، لَا يَطْمَعَنَّ ثُمَّ طَامِعُ  
 وَأَيْضًا فَلَا يُعْطِيكَهُ ابْنُ رَوَاحَةَ<sup>(٨)</sup>  
 وَإِخْفَارُهُ مِنْ دُونِهِ السُّمُّ نَاقِعُ  
 وَفَاءٌ بِهِ، وَالْقَوْفِيُّ ابْنُ صَامِتٍ<sup>(٩)</sup>  
 بِمَنْدُوحَةٍ عَمَّا تُحَاوِلُ يَافِعُ

- 
- (١) البراء بن معرور.  
 (٢) أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام  
 (٣) أسعد بن زراراة.  
 (٤) رافع بن مالك.  
 (٥) سعد بن عبادة.  
 (٦) المنذر بن عمرو.  
 (٧) سعد بن الربيع.  
 (٨) عبد الله بن رواحة.  
 (٩) عبادة بن الصامت.

أَبُو هَيْثَمٍ<sup>(١)</sup>، أَيْضًا وَفِي بِمِثْلِهَا  
وَفَاءٌ بِمَا أُعْطِيَ مِنَ الْعَهْدِ، خَانِعُ  
وَمَا ابْنُ حُضَيْرٍ<sup>(٢)</sup>، إِنْ أَرَدْتَ بِمَطْمَعٍ  
فَهَلْ أَنْتَ عَنْ أَحْمُقَةَ الْغَيِّ نَارِعُ  
وَسَعْدٌ<sup>(٣)</sup>، أَخُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَإِنَّهُ  
ضَرَوْحٌ لِمَا حَاوَلْتَ لِلْأَمْرِ مَانِعُ  
أَوَّلَاكَ نُجُومٌ، لَا يُغْبِكُ مِنْهُمْ  
عَلَيْكَ بِنَحْسٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَالِعُ

وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعْتَزُّ بِشَهَادَتِهِ  
الْعَقَبَةَ. فَكَانَ يَقُولُ: وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا  
أَحْبَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرُ أَدْرُ فِي النَّاسِ  
مِنْهَا<sup>(٤)</sup>.

(١) أبو الهيثم بن التيهان .

(٢) أسيد بن الحضير .

(٣) سعد بن خيشمة .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

## مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَنَزَلَ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ خَالِدِ بْنِ زَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَازَمَ كَعْبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ يَمْدَحُهُ، وَيَفْخَرُ بِتَصَدِيقِهِ لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ، وَيَتَهَدَّدُ الْكُفَّارَ، وَيَرُدُّ عَلَى شُعْرَائِهِمْ، وَيَهْجُوهُمْ.

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: كَانَ شُعْرَاءُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ. أَمَّا كَعْبٌ، فَكَانَ يَذْكُرُ الْحَرْبَ، يَقُولُ: فَعَلْنَا وَنَفَعَلُ وَيَتَهَدَّدُ الْمُشْرِكِينَ. وَأَمَّا حَسَّانُ فَكَانَ يَذْكُرُ عُيُوبَهُمْ وَأَيَّامَهُمْ، وَأَمَّا ابْنُ رَوَاحَةَ، فَكَانَ يُعِيرُهُمْ بِالْكَفْرِ<sup>(١)</sup>.

عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: «وَمَا نَسِيَ رَبُّكَ لَكَ - وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا - بَيِّنًا قُلْتُهُ» قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «أَنْشِدَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ»، فَقَالَ:

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٢٥.

زَعَمَتْ سَخِينَةٌ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا  
وَلْيُغْلِبَنَّ مُغَالِبٌ الْغَلَابُ<sup>(١)</sup>

فَنَرَاهُ مَثَلًا يُنْكِرُ عَلَى قُرَيْشٍ مَعْصِيَتَهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ نُورَ النَّبُوءَةِ لَوَاضِحٌ، وَأَنَّهُ يَفْذِي  
رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ فَيَقُولُ:

عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ، أَفْ لِدِينِكُمْ  
وَأَمَرِكُمْ السَّيِّئُ كَانَ غَاوِيَا  
فَأِنِّي وَإِنْ عَنَفْتُمُونِي، لَقَائِلُ  
فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا  
أَطَعْنَاهُ، لَمْ نَعْدِلْهُ بِغَيْرِهِ  
شِهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا  
وَيَتَكَلَّمُ عَنْ صِفَاتِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
فَيَقُولُ:

فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ، ثُمَّ يَتَّبِعُهُ  
نُورٌ مُضِيٌّ، لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ

---

(١) السخينة: طعام من دقيق وسمن، كانت قريش تكثر من أكله فللقبها به.  
أورده صاحب كنز العمال ونسبه لابن منده، وابن عساكر. (عن سير  
أعلام النبلاء).

الْحَقُّ مَنْطِقُهُ، وَالْعَدْلُ سِيرَتُهُ  
 فَمَنْ يُجِبُهُ إِلَيْهِ، يَنْجُ مِنْ تَبَبِ  
 نَجْدِ الْمُقَدَّمِ، مَاضِي الِهَمِّ، مُعْتَزِمِ  
 حَيْنِ الْقُلُوبِ عَلَى رَجْفٍ مِنَ الرُّعْبِ  
 يَمْضِي، وَيَذْمُرُنَا عَنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ  
 كَأَنَّهُ الْبَذْرُ، لَمْ يُطْبَعْ عَلَى الْكَذِبِ  
 بَدَأَ لَنَا، فَأَتْبَعْنَاهُ نُصَدِّقُهُ  
 وَكَذَّبُوهُ، فَكُنَّا أَسْعَدَ الْعَرَبِ  
 وَيَقُولُ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْضًا:  
 فَإِنْ يَكُ مُوسَى كَلَّمَ اللَّهَ جَهْرَةً  
 عَلَى جَبَلِ الطُّورِ الْمُنِيفِ الْمُعْظَمِ  
 فَقَدْ كَلَّمَ اللَّهَ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا  
 عَلَى الْمَوْضِعِ الْأَعْلَى الرَّفِيعِ الْمُسَوِّمِ  
 وَإِنْ تَكُ نَمْلُ الْبَرِّ بِالْوَهْمِ كَلَّمْتَ  
 سُلَيْمَانَ ذَا الْمُلْكِ الَّذِي لَيْسَ بِالْعَمِيِّ  
 فَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ أَحْمَدُ سَبَّحَتْ  
 صِغَارُ الْحَصَى فِي كَفِّهِ بِالتَّرْتُّمِ



## المُواخَاةُ

بَعْدَ أَنْ وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى  
 الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا آخَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لَا فَرْقَ بَيْنَ مُهَاجِرِهِمْ  
 وَأَنْصَارِهِمْ كَيْ يَكُونُوا كُتْلَةً وَاحِدَةً أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ سَوَاءً أَكَانُوا  
 يَهُودًا دَاخِلِ الْمَدِينَةِ أَمْ قُرَيْشًا فِي مَكَّةَ أَمْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ أَيْنَمَا  
 كَانُوا، وَلَمْ تَكُنْ مُوَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ كَمَا فَهَمَ  
 بَعْضُهُمْ - خَطَأً - مِنَ النَّصُوصِ أَوْ كَمَا تَوَهَّمَ بَعْضُهُمْ حَتَّى  
 غَدَا هَذَا شَائِعًا بَيْنَ النَّاسِ، فَتَجِدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ آخَى بَيْنَهُ - وَهُوَ سَيِّدُ الْبَشَرِ - وَبَيْنَ ابْنِ  
 عَمِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرٌ، وَبَيْنَ عَمِّهِ حَمْزَةَ  
 ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ مَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرٌ،  
 وَبَيْنَ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ وَعَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيُّ وَكِلَاهُمَا مُهَاجِرٌ،  
 وَبَيْنَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَجَعْفَرُ غَائِبٌ،  
 وَبَيْنَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَكِلَاهُمَا  
 مُهَاجِرٌ.

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فَقَالَ: آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ بَيْنَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنَا ابْنُ الزَّنَادِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ،

عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ الزُّبَيْرِ وَبَيْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ. وَيَتَدَوُّ أَنَّ رِوَايَةَ ابْنِ إِسْحَاقَ هِيَ الصَّحِيحَةُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -.

### مَعَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ

لَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِعِيرِ أَبِي سُفْيَانَ مُقْبِلَةً مِنَ الشَّامِ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا، وَقَالَ: «هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ، فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يُثْقِلُكُمْوهَا». فَاثْتَدَبَ النَّاسُ، فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَثَقُلَ بَعْضُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَلْقَى حَرْبًا. وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ لَمْ يَخْرُجُوا، فَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا. غَيْرَ أَنَّهُ فَخَرَ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِينَ فَيَقُولُ:

لَعَمْرُ أَبِيكُمَا يَا بَنِي لُؤَيٍّ  
عَلَى زَهْوٍ لَدَيْكُمُ وَائْتِخَاءٍ  
لَمَّا حَامَتِ فَوَارِسُكُمْ بَدْرٍ  
وَلَا صَبَرُوا بِهِ عِنْدَ اللَّقَاءِ  
وَرَدَّنَاهُ بِنُورِ اللَّهِ، يَجْلُو  
دُجَى الظُّلُمَاءِ عَنَّا وَالْغَطَاءِ

رَسُولُ اللَّهِ يَقْدُمُنَا بِأَمْرِ  
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَحْكَمَ بِالْقَضَاءِ  
 فَمَا ظَفِرَتْ فَوَارِسُكُمْ يَبْدُرُ  
 وَمَا رَجَعُوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاءِ  
 فَلَا تَعْجَلْ أَبَا سَفْيَانَ، وَارْقُبْ  
 جِيَادَ الْخَيْلِ تَطْلُعُ مِنْ كَدَاءِ  
 بَصَرِ اللَّهِ رُوحُ الْقُدُسِ فِيهَا  
 وَمَيْكَالُ فَيَا طَيْبَ الْمَلَأِ

غَيْرَ أَنَّ قُرَيْشًا بَدَأَتْ تَسْتَعِدُّ لِنِزَالِ الْمُسْلِمِينَ مَرَّةً أُخْرَى، وَقَامَ  
 شُعْرَاؤُهَا وَمَنْ أَيْدَهُمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْآخَرِينَ يَتَوَعَّدُونَ الْأَنْصَارَ  
 وَيَتَهَدَّدُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ لَا بُدَّ لِشُعْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ  
 يَرُدُّوا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ سِلَاحُهُمْ تَذَكِيرُ قُرَيْشٍ بِمَعْرَكَةِ بَدْرٍ،  
 وَصَرَاعَى رُؤُوسِهِمْ فِي مِيدَانِهَا، وَأَنَّ عَذَابًا أَشَدَّ يَنْتَظِرُهُمْ، هُوَ  
 عَذَابُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمَّا نُسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ، وَلِبَغْيِهِمْ وَظُلْمِهِمْ  
 وَمُحَارَبَتِهِمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَأَنَّ اللَّهَ بِيَدِهِ مَلَكَوَتُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ النَّصْرَ بِيَدِهِ، يَنْصُرُ مَنْ  
 يَشَاءُ، ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا قُوَّةٌ تُحِيطُ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُحْمِيهِ، وَتَرَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ مَثَلًا يَقُولُ فِي الرَّدِّ  
 عَلَى ضِرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ:

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَاللَّهُ قَادِرٌ  
 عَلَى مَا أَرَادَ، لَيْسَ لِلَّهِ قَاهِرٌ  
 قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ تُلَاقِيَ مَعْشَرًا  
 بَغَوًا، وَسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرٌ  
 وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مَنْ يَلِيهِمْ  
 مِنَ النَّاسِ، حَتَّى جَمَعَهُمْ مُتَكَاثِرٌ  
 وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تُحَاوِلُ غَيْرَنَا  
 بِأَجْمَعِهَا كَغَبٍّ جَمِيعًا، وَعَامِرٌ  
 وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ، وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ  
 لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ، وَنَاصِرٌ  
 وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ تَحْتَ لَوَائِهِ  
 يَمْشُونَ فِي الْمَآذِي<sup>(١)</sup>، وَالنَّقْعُ ثَائِرٌ  
 فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ، وَكُلُّ مُجَاهِدٍ  
 لِأَصْحَابِهِ، مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرٌ  
 شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَأَرْبُّ غَيْرُهُ  
 وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرٌ  
 وَقَدْ عُرِّبَتْ بَيْضُ خِفَافٍ كَأَنَّهَا  
 مَقَابِيسُ<sup>(٢)</sup>، يُزْهِيهَا لِعَيْنَيْكَ شَاهِرٌ

(١) الدروع اللينة.

(٢) مقابيس: شعل من النار.

بِهِنْ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَتَبَلَّدُوا  
 وَكَانَ يُلَاقِي الْحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرٌ  
 فَكَبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيحاً لَوَجْهِهِ  
 وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرْنَهُ، وَهُوَ عَائِرُ  
 وَشِيَّةُ وَالتَّيْمِيُّ غَادَرْنَ فِي الْوَعَى  
 وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا بِذِي الْعَرْشِ كَافِرُ  
 فَأَمَسُوا وَقُودَ النَّارِ فِي مُسْتَقَرِّهَا  
 وَكُلُّ كُفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرُ  
 تَلْطَى عَلَيْهِمْ، وَهِيَ قَدْ شَبَّ حَمِيهَا  
 بِزُبُرِ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرُ  
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ: أَقْبِلُوا  
 فَوَلُّوا، وَقَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ سَاجِرُ  
 لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكُوا بِهِ  
 وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَى اللَّهُ زَاجِرُ

### مَعَ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ

لَمَّا تَكَامَلَتْ جُمُوعُ قُرَيْشٍ وَحُشِدُوا هَاتِفَتِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ،  
 وَعَسَكَرَتْ إِلَى الشَّامِلِ مِنْهَا قَرِيباً مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ، وَخَرَجَ  
 الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ انْجَبَ رَأْيُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فِي الْبِدَايَةِ إِلَى التَّحْصُنِ فِي الْمَدِينَةِ.

رَتَّبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُقَاتِلِينَ،  
وَوَزَعَهُمْ عَلَى أَمَاكِينِهِمْ، وَابْتَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ، وَكَانَ النَّصْرُ فِيهَا  
لِلْمُسْلِمِينَ، غَيْرَ أَنَّ نَشْوَةَ النَّصْرِ قَدْ جَعَلَتْ بَعْضُهُمْ يَتْرَكُونَ  
مَوَاقِعَهُمْ مُحَالِفِينَ أَوْامِرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
فَاخْتَلَّ النَّظَامُ، وَانْقَلَبَ النَّصْرُ إِلَى تَرَاجُعٍ فَقَدْ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ  
شُهَدَاءَ كِرَامًا مِنْهُمْ أَسَدُ اللَّهِ الْحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَمُّ  
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ،  
وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَغَيْرُهُمْ، وَأَكْبَرُ مِنْ  
ذَلِكَ شُجَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُسِرَتْ  
رُبَاعِيَّتُهُ، وَدَخَلَتْ حَلَقَتَا الْمَغْفَرِ فِي وَجْتِهِ الشَّرِيفَةِ، وَكَانَ  
ذَلِكَ دَرَسًا لِلْمُسْلِمِينَ كَيْ يَتَجَنَّبُوا مُخَالَفَةَ أَوْامِرِ رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ  
مِنْهُمْ شُهَدَاءَ، وَلِيُمَحِّصَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ.

وَشَهِدَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَدًا، وَأَبْلَى الْبَلَاءَ  
الْحَسَنَ، وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، حَتَّى جُرِحَ سَبْعَةَ عَشَرَ جُرْحًا،  
وَقَدْ جُلَّ مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَهُوَ ضَعِيفٌ يَقُولُ كَعْبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا  
انْكَشَفْنَا يَوْمَ أُحُدٍ، كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَشَّرْتُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ حَيًّا سَوِيًّا، وَأَنَا فِي الشُّعْبِ.

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَعْبًا بِلَا مِيَّةٍ - وَكَانَتْ صَفْرَاءَ - فَلَبِسَهَا كَعْبٌ، وَقَاتَلَ يَوْمَئِذٍ بِشَجَاعَةٍ فَائِقَةٍ، حَتَّى ارْتُثَ، فَجَاءَ بِهِ الزُّبَيْرُ يَقُودُهُ.

فَخَرَّ الْمَشْرِكُونَ بِنتِيجَةِ مَعْرَكَةِ أَحَدٍ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُذَكِّرُونَهُمْ بِبَذْرِ، وَيُذَكِّرُونَهُمْ بِهَرَبِهِمْ فِي بَدَايَةِ الْمَعْرَكَةِ، وَيُذَكِّرُونَهُمْ بِقَتْلِ سَادَاتِهِمْ يَوْمَ بَذْرِ، وَقَتْلِهِمْ حَمَلَةَ لُؤَاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ صُرِعُوا فِي بَذْرِ وَفِي أَحَدٍ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فَقَدْ رَأَى الْمُسْلِمُونَ شُهَدَاءَهُمْ فِي أَحَدٍ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْحَمْزَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَكَانَ كَعْبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَتَوَلَّى هَذَا كُلَّهُ بِشِعْرِهِ فَنَرَاهُ يَقُولُ.

أَبْلَغُ قُرَيْشًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ  
وَالصَّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَقْبُولُ  
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمْ  
أَهْلَ اللُّؤَاءِ، فَفَيْمَ يَكْثُرُ الْقَيْلُ؟  
وَيَوْمَ بَذْرِ لَقِينَاكُمْ، لَنَا مَدَدُ،  
فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مَيْكَالُ وَجَبْرِيلُ.  
إِنْ تَقْتُلُونَا، فَدَيْنُ الْحَقِّ فِطْرَتُنَا  
وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ

وَلَقَدْ رَأَى كَعْبٌ شُهَدَاءَ أَحَدِ عَامَّةٍ ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ مَا قَالَهُ  
فِي الْحَمْزَةِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِذْ تَأَثَّرَ عَلَى فَقْدِهِ تَأَثُّراً كَبِيراً فَيَقُولُ :

طَرَقْتُ هُمُومِكَ ، فَالْرُقَادُ مُسَهَّدٌ  
وَجَزِغْتَ أَنْ سُلِّخَ الشَّبَابُ الْأَعْيَدُ  
وَلَقَدْ هِدِذْتَ لِفَقْدِ حَمْزَةٍ هِدَّةٌ  
ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرَعُدُ  
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ  
لَرَأَيْتَ رَأْسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ  
قَرَمٌ تَمَكَّنَ فِي دُؤَابَةِ هَاشِمٍ  
حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّودُدُ  
وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مُجَدَّلاً  
يَوْمَ الْكَرِيمَةِ ، وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ  
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ  
ذُو لَيْدَةٍ شَتْنُ الْبَرَاثِنِ ، أَرْبِدُ  
عَمُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيهِ  
وَرَدَ الْحِمَامُ ، فَطَابَ ذَلِكَ الْمَوْرِدُ  
وَأَتَى الْمَلِيَّةَ مُعَلِّماً فِي أَسْرَةٍ  
نَصَرُوا النَّبِيَّ ، وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهَدُ



وَيَقُولُ أَيْضًا:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا  
وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ  
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا:  
أَحْمَزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ؟  
أَصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا  
هُنَاكَ، وَقَدْ أَصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ  
أَبَا يَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ  
وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ  
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جَنَانِ  
مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ

### مَعَ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ

عَمِلْتُ قُرَيْشٌ عَلَى جَمْعِ الْأَعْرَابِ وَتَحْزِيرِ الْأَحْزَابِ  
وَالسَّيْرِ جَمِيعًا نَحْوَ الْمَدِينَةِ لِإِفْتِحَامِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ،  
وَاسْتِثْصَالِ شَوْكَتِهِمْ، وَقَدْ تَحَالَفَتْ مَعَ غَطَفَانَ، وَأَسَدِ،  
وَفَزَارَةَ، وَبَنِي مُرَّةَ، وَأَشْجَعَ، وَيَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ سِرًّا لِلْعَمَلِ  
عَلَى الْقَضَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَسَارَ الْأَحْزَابُ وَتَجَمَّعُوا فِي  
مَجْمَعِ الْأَسْيَالِ فِي شَمَالِ الْمَدِينَةِ إِلَى الْغَرْبِ قَلِيلًا، وَاتَّفَقُوا

عَلَى أَنْ يَقَوْمَ بَنُو قُرَيْظَةَ مِنْ دَاخِلِ الْمَدِينَةِ بِنَقْضِ عُهُودِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْغَدْرِ بِالْمُسْلِمِينَ. وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

وَحَفَرَ الْمُسْلِمُونَ الْخَنْدَقَ فَعَسَكَتِ الْأَحْزَابُ إِلَى الشَّمَالِ مِنْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى الْجَنُوبِ مِنْهُ، وَطَالَ الْأَمْرُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَتَّى تَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ فَأَنْسَحَبَ الْأَعْرَابُ، ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ يَرَوْهَا فَاضْطَرُّوا لِإِثْرِهَا إِلَى الْأَنْسِحَابِ وَالرُّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ صَاغِرِينَ، وَتَفَرَّدَ الْمُسْلِمُونَ بِبَنِي قُرَيْظَةَ، فَكَانَتْ عُقُوبَتُهُمْ الْقَتْلُ نَتِيجَةَ خِيَانَتِهِمْ وَغَدْرِهِمْ وَنَقْضِهِمُ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ. فَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ شُعْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْآخَرِينَ أَمْثَالِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَغَيْرِهِمْ يَرُدُّونَ عَلَى شُعْرَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَيَفْخَرُونَ بِعَقِيدَتِهِمْ، وَبِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِصَبْرِهِمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَبِنَصْرِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرُجُوعِ الْكَافِرِينَ بِالْخِزْيِ وَالْعَارِ.

وَمِمَّا يَقُولُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ:

وَسَائِلُهُ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا  
 وَلَوْ شَهِدَتْ أَرْثَنَا صَابِرِينَا  
 صَبْرُنَا لَا نَرَى لِلَّهِ عِذْلًا  
 عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا  
 وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ  
 بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا  
 نُقَاتِلُ مَعْشَرَ ظَلَمُوا وَعَقُوا  
 وَكَأَنَّا بِالْعِدَاوَةِ مُرْصِدِينَا  
 لِنَتَّصِرَ أَحْمَدًا وَاللَّهُ حَتَّى  
 نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا  
 وَيَعْلَمُ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا  
 وَأَحْزَابُ أَتَوْا مُتَحْزِبِينَا  
 بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ  
 وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ  
 كَمَا قَدْ رَدَّكُمْ فَلَا شَرِيدًا  
 بَغِظَكُمْ خَزَايَا خَائِبِينَ  
 بِرِيحٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ  
 فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّهِينَ<sup>(١)</sup>

(١) متكهمينا: كانهم عمي لا يبصرون.

وَيَقُولُ يَوْمَئِذٍ :  
وَيُعِثُّنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ  
مِنْهُ وَصِدْقِ الصَّبْرِ سَاعَةَ نَلْتَقِي  
وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ  
وَإِذَا دَعَا لِكَرْهَاتِهِ لَمْ نُسَبِّحْ  
وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا  
وَمَتَى نَرِ الْحَوَامَاتِ فِيهَا نُعْنِقُ<sup>(١)</sup>  
مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ  
فِينَا مُطَاعُ الْأَمْرِ حَقٌّ مُصَدَّقٌ  
فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا  
وَيُصَيِّبُنَا مِنْ نَيْلٍ ذَاكَ بِمِرْفَقٍ  
إِنَّ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ مُحَمَّدًا  
كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُتَّقِي

### مَعَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ

تَحَصَّنَ الْيَهُودُ فِي حُصُونِهِمْ خَوْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ خَرَجَ  
مَرْحَبُ الْيَهُودِيِّ مِنَ الْحِصْنِ ، قَدْ جَمَعَ سِلَاحَهُ ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ :

(١) نعق : نسرع .

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرُ أَتِي مَرْحَبُ  
شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلُ مُجَرَّبُ  
أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ  
إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلْتُ تُحَرَّبُ  
إِنَّ حِمَايَ لِلْحِمَى لَا يُقَرَّبُ  
وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ قَائِلًا:

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرُ أَتِي كَعْبُ  
مُفَرِّجُ الْغَمِّ جَرِيءُ صُلْبُ  
إِذَا شَبَّتِ الْحَرْبُ تَلَّتْهَا الْحَرْبُ  
مَعِيَ حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ  
نَطَوُّكُمْ حَتَّى يَزِلَّ الصَّعْبُ  
نُعْطِي الْجَزَاءَ أَوْ يَفِيءَ النَّهْبُ  
بِكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتْبُ  
كَمَا يُرَوَى شِعْرُهُ هَذَا عَلَى هَذَا النَّحْوِ.

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرُ أَتِي كَعْبُ  
وَأَنْتَنِي مَتَى تُشَبُّ الْحَرْبُ  
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ جَرِيءُ صُلْبُ  
مَعِيَ حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ

بِكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتَبُ  
نَدُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّعْبُ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لِهَذَا؟ قَالَ  
مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ الْمَوْتُورُ  
الثَّائِرُ، قُتِلَ أَخِي بِالْأُمْسِ، فَقَالَ: فَقُمْ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ أَعِنَهُ  
عَلَيْهِ، فَقَتَلَهُ ابْنُ مَسْلَمَةَ.

### مَعَ غَزْوَةِ تَبُوكَ

وَشَهِدَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا بَعْدَ  
بَذْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَخَلَّفَ عَنْ  
تَبُوكَ، وَيُرْوَى هُوَ نَفْسُهُ قِصَّةَ تَخَلُّفِهِ فَيَقُولُ: مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ  
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ، غَيْرَ  
أَنِّي كُنْتُ قَدْ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ بَذْرِ، وَكَانَتْ غَزْوَةٌ لَمْ  
يُعَاتِبِ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّمَا خَرَجَ يُرِيدُ عَمِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى  
جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ  
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعَقَبَةَ، وَجِئْنَا تَوَاقِفًا  
عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَذْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ  
غَزْوَةُ بَذْرِ هِيَ أَذْكَرُ فِي النَّاسِ مِنْهَا. قَالَ: وَكَانَ مِنْ خَبْرِي

حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللَّهُ مَا اجْتَمَعَتْ لِي رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى اجْتَمَعَتَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةَ إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى لِلنَّاسِ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ أَهْبَتُهُ، وَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَنْ تَبَعَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَثِيرٌ، لَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يَعْنِي بِذَلِكَ الدِّيَّانَ، يَقُولُ: لَا يَجْمَعُهُمْ دِيَّانٌ مَكْتُوبٌ.

قَالَ كَعْبٌ: فَقُلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّهُ سَيَخْفَى لَهُ ذَلِكَ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَأُحْبِتِ الظَّلَالُ، فَالنَّاسُ إِلَيْهَا صُعُرٌ<sup>(١)</sup>، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَجَهَّزَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَجَعَلْتُ أُغْدُو لِأَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ حَاجَةً، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي، أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى

(١) صُعُرٌ: مائلون.

شَمَّرَ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَادِيًا، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ: أَتَجْهِّزُ بَعْدَهُ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُ بِهِمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُّوا لِاتِّجَهِزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا، وَتَفَرَّطَ<sup>(١)</sup> الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أُرْتَجِلَ، فَأَذِرْكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ أَفْعَلْ، وَجَعَلْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَطُفْتُ فِيهِمْ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ فِي النَّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ. فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ يَتَبُوكُ: مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَالنَّظْرُ فِي عِطْفِيهِ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ! وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا بَلَغْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ

(١) تَفَرَّطَ: فَاتَ أَوَانَهُ.

(٢) مَغْمُوصًا عَلَيْهِ: مَطْعُونًا عَلَيْهِ.



تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَنِي<sup>(١)</sup>، فَجَعَلْتُ أَنْذَكُرَ الْكَذِبَ  
وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرَجُ مِنْ سَخَطَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، غَدًا، وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي؛  
فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَظَلَّ  
قَادِمًا زَاخَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَا أَنْجُو مِنْهُ إِلَّا  
بِالصُّلُقِ، فَأَجْمَعْتُ أَنْ أَصْدُقَهُ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَدِينَةَ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ  
بِالْمَسْجِدِ، فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ  
ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَجَعَلُوا يَخْلِفُونَ لَهُ وَيَعْتَذِرُونَ،  
وَكَانُوا بِضَعَةِ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَيَقْبَلُ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَانِيَتَهُمْ وَأَيْمَانَهُمْ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، وَيَكِيلُ  
سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى جِئْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَتَبَسَّمَ  
تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ لِي: تَعَالَهُ، فَجِئْتُ أُمَشِي، حَتَّى  
جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ ابْتِغْتَ  
ظَهْرَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ  
غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرَجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ،  
وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ  
حَدِيثًا كَذِبًا لَتَرْضَيْنَّ عَنِّي، وَلَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ،

(١) بنى: حزني.

وَلَكِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثًا صِدْقًا تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو عُقْبَايَ مِنَ  
 اللَّهِ فِيهِ، وَلَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَاللَّهُ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى  
 وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقْتَ فِيهِ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ  
 اللَّهُ فِيكَ. فَقُمْتُ، وَثَارَ مَعِيَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَاتَّبَعُونِي،  
 فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنِبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ  
 عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، قَدْ كَانَ كَأَيْفِكَ ذَنْبَكَ  
 اسْتَغْفَارُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكَ. فَوَاللَّهِ مَا  
 زَالُوا بِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَكْذَبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا أَحَدٌ  
 غَيْرِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَقَالَتِكَ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ  
 مَا قِيلَ لَكَ؛ قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ  
 الْعَمْرِيُّ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَهَلَالُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ  
 الْوَاقِسِيُّ؛ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، فِيهِمَا أَسْوَةٌ،  
 فَصَمْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ،  
 فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي نَفْسِي  
 وَالْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي كُنْتُ أَعْرِفُ، فَلَبِشْنَا عَلَى

ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَنَّا، وَقَعَدَا فِي  
 بُيُوتِهِمَا، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُم، فَكُنْتُ أَخْرُجُ  
 وَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي  
 أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمُ عَلَيْهِ  
 وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي، هَلْ حَرَكَ  
 شَفْتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَسَارِقُهُ  
 النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا انْفَتَحَتْ نَحْوُهُ  
 أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ،  
 مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي،  
 وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ  
 السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أُنَشِّدُكَ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُ أَنِّي  
 أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ. فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي،  
 فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ،  
 وَوَثَبْتُ فَتَسَوَّرْتُ الْحَائِطَ، ثُمَّ غَدَوْتُ إِلَى السُّوقِ، فَبَيْنَا أَنَا  
 أَمْشِي بِالسُّوقِ إِذَا نَبْطِي يُسْأَلُ عَنِّي مِنْ نَبْطِ الشَّامِ، مِنْ قَدِيمٍ  
 بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ  
 مَالِكٍ؟ فَجَعَلَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّى جَاءَنِي، فَدَفَعَ  
 إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكَتَبَ كِتَابًا فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ،  
 فَإِذَا فِيهِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ

يَجْعَلُكَ اللَّهُ بِدَارِ هُوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا تُوَاسِكَ». قَالَ: قُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذَا مِنَ الْبَلَاءِ أَيْضًا، قَدْ بَلَغَ بِي مَا وَقَعْتُ فِيهِ أَنْ طَمِعَ فِيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ. قَالَ: فَعَمِدْتُ بِهَا إِلَى تَنْوِيرِ فَسَجَرَتِهِ بِهَا. فَأَقَمْنَا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ. قَالَ: قُلْتُ: أَطْلُقُهَا أَمْ مَاذَا؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزَلْهَا وَلَا تَقْرُبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِي مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِمَرَأَتِي الْحَقِيقِي بِأَهْلِكَ، فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَا هُوَ قَاضٍ. قَالَ: وَجَاءَتِ امْرَأَةٌ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَائِعٌ لَا خَادِمَ لَهُ، أَفَتَكْرَهُ أَنْ أَخْدِمَهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرُبَنَّكَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، وَلَقَدْ تَخَوَّفْتُ عَلَى بَصَرِهِ. قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ لِمَرَأَتِكَ فَقَدْ أَذِنَ لِمَرَأَةٍ هِلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدِمَهُ؛ قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، مَا أَذْرِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِي فِي ذَلِكَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ. قَالَ: فَلَبِثْنَا

بَعْدَ ذَلِكَ عَشَرَ لَيَالٍ، فَكَمَلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً، مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا. ثُمَّ صَلَّيْتُ الصُّبْحَ، صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْنَا الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَقَدْ كُنْتُ ابْتَنَيْتُ خِيَمَةً فِي ظَهْرِ سَلْعٍ، فَكُنْتُ أَكُونُ فِيهَا، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى ظَهْرِ سَلْعٍ، يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ.

قَالَ: وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ نَحْوَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، حَتَّى أَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِشَارَةً، وَاللَّهُ لَا أَمْلِكُ يَوْمَئِذٍ غَيْرَهُمَا، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَتِيَمُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَلَقَّانِي النَّاسُ يُبَشِّرُونَنِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِيَتَهَنَكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَحَيَّانِي وَهَنَّانِي،

وَوَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ . قَالَ : فَكَانَ كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ لَا يَتَسَاهَا لِطَلْحَةَ .

قَالَ كَعَبُ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لِي ، وَوَجْهُهُ يَبْرِقُ مِنَ السُّرُورِ : أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ ، قَالَ : قُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا اسْتَبَشَرَ كَانَ وَجْهُهُ قِطْعَةً قَمَرٍ ، قَالَ : وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ . قَالَ : فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَنْخَلِجَ مِنْ مَالِي ، صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قَالَ : قُلْتُ : إِنِّي مُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرٍ . وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ نَجَّانِي بِالصَّدَقِ ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي إِلَى اللَّهِ أَلَّا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا حَيَّيْتُ ، وَاللَّهُ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِنَقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذَلِكَ أَفْضَلَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ ، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدَتْ مِنْ كَذِبَةٍ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى يَوْمِي هَذَا ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ  
قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ .  
وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا  
رَحَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا  
إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .

قَالَ كَعْبٌ : فَوَاللَّهِ مَا أَتَنَعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ نِعْمَةً قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي  
لِلْإِسْلَامِ . كَانَتْ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَوْمَئِذٍ ، أَنْ لَا أَكُونُ كَذَبْتُهُ ، فَأَهْلِكَ كَمَا  
هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ فِي الَّذِينَ  
كَذَبُوهُ حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ قَالَ : ﴿ سَيَخْلِفُونَ  
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ،  
إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَخْلِفُونَ لَكُمْ  
لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ . فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ  
الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) .

(١) سورة التوبة ١١٧ - ١١٩ .

(٢) سورة التوبة ٩٤ - ٩٦ .

قَالَ : وَكُنَّا خُلَفَا أَيْهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبَلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَعَذَرَهُمْ ، وَاسْتَفْقَرَهُمْ ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَمْرَنَا ، حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ مَا قَضَى ، فَبِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ﴾ .

وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ تَخْلِيفِنَا لِتَخْلُفِنَا عَنِ الْغَزْوَةِ ، وَلَكِنْ لِتَخْلِيفِهِ إِيَّانَا وَإِرْجَائِهِ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ <sup>(١)</sup> .

لَقَدْ أَخْطَأَ كَعْبٌ فِي تَخْلِيفِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَتَدِمَ عَلَى مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ ، وَاخْتَبَرَ فَصَبَرَ ، وَجُرَّبَ فَصَلَّقَ ، وَابْتَلِيَ بِإِغْرَاءَاتِ الرُّومِ ، فَاسْتَعْلَى بِإِيمَانِهِ ، وَجَعَلَ كُلَّ مَا فِي الدُّنْيَا تَحْتَ أَقْدَامِهِ ، وَأَحْرَقَ إِغْرَاءَاتِهِمْ فِي الثُّورِ ، وَصَبَرَ عَلَى مَا اخْتَبَرَ بِهِ فَاسْتَحَقَّ تَوْبَةَ اللَّهِ وَغُفْرَانَهُ .

بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَزَعَ الصَّحَابَةُ جَزَعًا شَدِيدًا حَتَّى طَاشَتْ أَخْلَامُ بَعْضِهِمْ مِنْ هَوْلِ وَقْعِ هَذَا

(١) سيرة ابن هشام .



الْحَادِثِ الْأَلِيمِ عَلَيْهِمْ وَصُغُوبَتِهِ عَلَى وَاقِعِهِمْ ، فَرَأَاهُ  
كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ فِي عَدَدٍ مِنَ الْقَصَائِدِ مِنْهَا :

يَا عَيْنُ فَابْكِي بِدَمْعٍ ذَرَى  
لِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَالْمُصْطَفَى  
وَبَكِّي الرَّسُولَ وَحُقَّ الْبُكَاءُ  
عَلَيْهِ لَدَى الْحَرْبِ عِنْدَ اللَّقَاءِ  
عَلَى خَيْرٍ مَنْ حَمَلَتْ نَاقَهُ  
وَأَتَقَى الْبَرِيَّةَ عِنْدَ التُّقَى  
عَلَى سَيِّدٍ مَاجِدٍ جَحْفَلٍ  
وَحَيْرِ الْأَنَامِ وَخَيْرِ اللَّهِهَا  
لَهُ حَسَبٌ فَوْقَ كُلِّ الْأَنَاءِ  
مِنْ هَاشِمٍ ذَلِكَ الْمُرْتَجَى  
نَخَصٌ بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِهِ  
وَكَانَ سِرَاجاً لَنَا فِي الدُّجَى  
وَكَانَ بَشِيراً لَنَا مُنْذِراً  
وَوُوراً لَنَا ضَوْؤُهُ قَدْ أَضَا  
فَأَنْقَذَنَا اللَّهُ فِي نُورِهِ  
وَنَجَّى بِرَحْمَتِهِ مِنْ لَظَا

وَيَقُولُ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى :

وَبَاكِئَةً حَرَاءَ تَحْزَنُ بِالْبُكَاءِ  
وَتَلْطِمُ مِنْهَا خَدَّهَا وَالْمُقَلَّدَا  
عَلَى هَالِكِ بَعْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
وَلَوْ عَلِمْتَ لَمْ تَبْكِ إِلَّا مُحَمَّدًا  
فُجِعْنَا بِخَيْرِ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا  
وَأَذْنَاهُ مِنْ رَبِّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدًا  
وَأَفْظَعِهِمْ فَقْدًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ  
وَأَعْظَمِهِمْ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ يَدَا  
لَقَدْ وَرِثْتَ أَخْلَاقَهُ الْمَجْدَ وَالْتَقَى  
فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَشِيدًا وَمُرْشِدًا  
كَمَا يَقُولُ :

أَلَا ائِنِّعَ النَّبِيَّ إِلَى الْعَالَمِينَ  
جَمِيعًا، وَلَا سَيِّمًا الْمُسْلِمِينَ  
أَلَا ائِنِّعَ النَّبِيَّ لِأَصْحَابِهِ  
وَأَصْحَابِ أَصْحَابِهِ التَّابِعِينَ  
أَلَا ائِنِّعَ النَّبِيَّ إِلَى مَنْ هَدَى  
إِلَى الْجَنِّ لَيْلَةً إِذْ يَسْمَعُونَا

لَفَقِدِ النَّبِيَّ إِمَامَ الْهُدَى  
وَفَقِدِ الْمَلَائِكَةَ الْمُتَزَلِّينَا

وَعَاشَ كَعْبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُمَا، كَأَيَّامِهِ السَّابِقَةِ يَتَفَاعَلُ مَعَ كُلِّ حَادِثَةٍ تَمُرُّ  
بِالْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَعِنْدَمَا قُتِلَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
تَأَلَّمَ أَلَمًا شَدِيدًا لِمَا حَلَّ بِالْخَلِيفَةِ، وَلَمَّا أَصَابَ الْمُجْتَمَعُ مِنْ  
تَغْيِيرٍ، وَإِذَا غَدَا الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ خَلِيفَتَهُمْ أَوْ يَسْكُتُونَ عَنْ  
مَصْرَعِهِ أَمَامَهُمْ فِتْلِكَ دَاهِيَةٌ مَا بَعْدَهَا مِنْ دَاهِيَةٍ فَرْنَا الْخَلِيفَةَ  
وَعَبَّرَ عَمَّا يَجُولُ فِي خَاطِرِهِ بِشِعْرِهِ فَيَقُولُ:

يَا لِلرَّجَالِ لِأَمْرِ هَاجَ لِي حَزَنًا  
لَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى الدَّمَنِ  
إِنِّي رَأَيْتُ قَتِيلَ الدَّارِ مُضْطَهَدًا  
عُثْمَانُ يُهْدَى إِلَى الْأَجْدَاثِ فِي كَفَنِ  
يَا قَاتِلَ اللَّهِ قَوْمًا كَانَ أَمْرُهُمْ  
قَتْلَ الْإِمَامِ الزَّكِيِّ الطَّيِّبِ الرِّدَنِ  
مَا قَاتَلُوهُ عَلَى ذَنْبٍ أَلَمَ بِهِ  
إِلَّا الَّذِي نَطَقُوا زُورًا، وَلَمْ يَكُنْ

قَدْ قَتَلُوهُ، وَأَصْحَابَ النَّبِيِّ مَعًا  
 لَوْلَا الَّذِي فَعَلُوا لَمْ تُبْلَ بِالْفِتَنِ  
 قَدْ قَتَلُوهُ نَقِيًّا غَيْرَ ذِي عَيْبٍ  
 صَلَّى إِلَهُ عَلَى وَجْهِ لَهُ، حَسَنٍ  
 قَدْ جَمَعَ الْجِلْمَ، وَالتَّقْوَى، لِمَعْصَمَةٍ  
 مَعَ الْخِلَافَةِ أَمْرًا كَانَ لَمْ يَشِينِ  
 هَذَا بِهِ، كَانَ رَأْيًا فِي قَرَابَتِهِ  
 لَمْ يَحْظْ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَخُنْ

وَتَكَرَّرُ قَصَائِدُهُ فِي رِثَائِهِ لِلْخَلِيفَةِ الشَّهِيدِ، وَرُبَّمَا كَانَ كُلَّمَا  
 تَذَكَّرَ هَوْلَ الْحَادِثِ وَخَطَرَهُ عَلَى الْمُجْتَمَعِ تَحَرَّكَتْ مَشَاعِيرُهُ  
 بِالشَّعْرِ يُصَوِّرُ مَا أَلَمَ بِهِ، وَيُحَذِّرُ مِنَ اسْتِمْرَارِ الْفِتْنَةِ، وَيَعْتَبُرُ  
 عَلَى الَّذِينَ لَمْ يَنْصُرُوا إِمَامَهُمْ.

وَكَانَتْ السَّنُّ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِكَعْبٍ فَزَادَتْ عَلَى السُّتَيْنِ،  
 فَاعْتَزَلَ مَا أَصَابَ الْأُمَّةَ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ. وَاسْتَشْهَدَ عَلِيٌّ،  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَزَادَتْ الْحَسْرَةُ. وَتَنَازَلَ الْحَسَنُ لِمُعَاوِيَةَ،  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَاسْتَقَرَّ الْوُضْعُ، غَيْرَ أَنَّ كَعْبًا قَدْ فَقَدَ بَصَرَهُ،  
 وَأَصْبَحَ يَقُودُهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَخْيَانًا ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ.  
 فَكَانَ يَرَوِي لَهُمَا مَا جَرَى مَعَهُ.

وَتُوفِّيَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ عَامَ خَمْسِينَ مَعَ  
خِلَافٍ فِي الرِّوَايَةِ، وَقَدْ تَجَاوَزَ السَّابِعَةَ وَالسَّبْعِينَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: كَانَ كَعْبٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ قَالَ: يَا  
رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الشُّعْرَاءِ، مَا أَنْزَلَ. قَالَ: «إِنَّ  
الْمُجَاهِدَ، مُجَاهِدٌ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّما  
تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ»<sup>(٢)</sup>.

رَوَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَدَدًا مِنَ الْأَحَادِيثِ تَبْلُغُ الثَّلَاثِينَ  
اتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى ثَلَاثَةٍ مِنْهَا، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ  
بِحَدِيثٍ، وَمُسْلِمٌ بِحَدِيثَيْنِ.

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه.



بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٢٢

خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ  
أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ





الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْدُ:

فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ مَا يُشْهَرُونَ بِحَادِثَةٍ وَاحِدَةٍ وَيُعْرِفُونَ  
بِهَا، وَتُرَدَّدُ الْأَلْسِنَةُ ذِكْرَهُمْ بِسَبَبِهَا، وَرُبَّمَا لَا يُعْرِفُ مِنْ  
حَيَاتِهِمْ إِلَّا هِيَ، وَلَا يُذَكِّرُونَ إِلَّا بِهَا، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مَا تَحْدُثُ  
عَنْهُمْ أَحَدٌ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي خُلِدَ اسْمُهُ بِضِيَايَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا إِلَيْهَا مِنْ مَكَّةَ،  
وَهَذِهِ الْحَادِثَةُ هِيَ الَّتِي رَفَعَتْهُ إِلَى مَصَافِّ كِبَارِ الصَّحَابَةِ،  
رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ. وَهِيَ الَّتِي جَعَلَتْ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا  
يَعْرِفُونَهُ وَيَذْكُرُونَهُ.

وَهُنَاكَ حَادِثَةٌ أُخْرَى لِأَبِي أَيُّوبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَا  
تُغْفَلُ، وَهِيَ جِهَادُهُ وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ مِنَ الْعُمْرِ رَغْبَةً فِي

الشَّهَادَةِ، وَاسْتِجَابَةَ لِقَوْلِ اللَّهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ وَقَدْ وَافَقَتْهُ مَنِئَتُهُ وَهُوَ فِي الْجِهَادِ عَلَى أَبْوَابِ الْقِسْطِ نِظْمِيَّةٍ فَدْفِنَ عِنْدَ أَسْوَارِهَا، فَكَانَ دَفْنُهُ هُنَاكَ حِمَاسَةً لِلْمُسْلِمِينَ فِي انْطِلَاقِهِمْ إِلَى الْجِهَادِ إِلَى تِلْكَ الْجِهَاتِ لِفَتْحِ الْقِسْطِ نِظْمِيَّةٍ حَتَّى كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ أَنْ يَفْتَحُوهَا.

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ نُوفَّقَ فِي إعْطَاءِ صُورَةٍ صَادِقَةٍ عَنْ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ، كَمَا نَسَأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَوْنَ فَهُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

### أَبُو أَيُّوبَ

هُوَ خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كَلْبٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بْنِ غَنَمٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّجَّارِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْخَزْرَجِ.

فَهُوَ مِنَ الْخَزْرَجِ أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ عَدَدًا إِذْ يَقْرُبُ عَدَدُهُمْ مِنْ ضِعْفِ إِخْوَانِهِمُ الْأَوْسِ الْبَطْنِ الثَّانِي مِنَ الْأَنْصَارِ.

وَهُوَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ الَّذِينَ يَعُدُّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْوَالَهُ لِأَنَّ أُمَّ جَدِّهِ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ مِنْهُمْ، وَهِيَ:

سَلَمَى بِنْتُ عَمْرِو بْنِ زَيْدِ بْنِ لَيْدِ النَّجَارِيَّةُ .

وُلِدَ فِي الْعَامِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ قَبْلَ هِجْرَةِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِسِتَّةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا .

وَأُمُّهُ زَهْرَاءُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ مَالِكِ الْخَزَرَجِيَّةُ أَيْضًا ، فَأَبُوهُ وَأُمُّهُ مِنَ الْخَزَرَجِ .

تَزَوَّجَ أَبُو أَيُّوبَ مِنْ بَنِي النَّجَارِ كَذَلِكَ ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ أُمُّ حَسَنِ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَارِ ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ وَلَدَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَقَدْ انْقَرَضَ وَلَدُهُ فَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ .

## إِسْلَامُ أَبِي أَيُّوبَ

بَعْدَ أَنْ رَجَعَ رِجَالُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى مِنَ الْمَوْسَمِ مَعَ حُجَّاجِ بَنِي قَوْمِهِمْ وَلَحِقَ بِهِمْ مُصَنَّبُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ لِيُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ ، وَنَزَلَ فِي دَارِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ .

وَفِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ اهْتَدَى أَبُو أَيُّوبَ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ  
وَأَسْلَمَ ، وَكَانَ فِي سِنِّ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْعُمْرِ . وَلَمْ  
يَلْبَثْ أَنْ حَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ ، وَرَجَعَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَى  
مَكَّةَ ، وَخَرَجَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى  
الْمَوْسِمِ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ ، حَتَّى قَدِمُوا  
مَكَّةَ ، وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ  
مِنْ حُجَّاجِ الْأَنْصَارِ .

وَأَعَدَّ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، الْعَقَبَةَ ، مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بَعْدَ مُضِيِّ ثُلُثِ  
الَّيْلِ الْأَوَّلِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ ، وَهِيَ  
بَيْعَةُ الْحَرْبِ ، إِذْ كَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى تُعْرَفُ بِبَيْعَةِ النِّسَاءِ .

وَعَادَ الْأَنْصَارُ بَعْدَ الْبَيْعَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ يَسْتَعِدُّونَ لِاسْتِقْبَالِ  
إِخْوَانِهِمْ فِي الْعَقِيدَةِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى  
الْمَدِينَةِ الَّتِي سَتَعُدُّو قَاعِدَةً الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

### ضِيَافَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، أَصْحَابَهُ الَّذِينَ مَعَهُ بِمَكَّةَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ ،

وَالْهَجْرَةَ إِلَيْهَا، وَاللُّحُوقَ بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمُنُونَ بِهَا. فَخَرَجُوا إِلَيْهَا جَمَاعَةً إِثْرَ جَمَاعَةٍ، وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ رَبُّهُ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالْهَجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

لَمْ يَبْقَ فِي مَكَّةَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمَنْ حُبَسَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ الْهَجْرَةَ، حَبَسَهُ ذُووهُ قُوَّةً وَاقْتِدَارًا، وَمَنْعُوهُ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِهِ، وَمَنْ فُتِنَ عَنْ دِينِهِ، فَتَنَهُ أَعْدَاؤُهُ فَلَمْ يُفَكِّرْ بِالْهَجْرَةِ.

وَجَاءَ الْإِذْنُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ رَبِّهِ بِالْهَجْرَةِ فَهَاجَرَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ. وَانْطَلَقَا تَلَحُّظَهُمَا رِعَايَةَ اللَّهِ، فَهُوَ مَعَهُمَا يَسْمَعُ وَيَرَى، وَيَخْفِقُ الْكَوْنُ لِحَرَكَتَيْهِمَا، وَيُرَاقِبُ سَيْرُهُمَا فَسَعَادَةُ أَبْنَائِهِ مَنُوطَةٌ بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَسِيرُ مُتَحَفِّيًا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَمَعَهُ صَاحِبُهُ.

وَبَعْدَ اخْتِفَائِهِمَا فِي الْغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ جَاءَ إِلَيْهِمَا الدَّلِيلُ وَسَارَ بِهِمَا حَتَّى وَصَلَ بِهِمَا إِلَى قِيَاءٍ فِي ضُحَى يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لَأَشْتَى عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ.

بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي قِبَاءِ أَرْبَعَةِ  
 أَيَّامٍ هِيَ: الْإِثْنَيْنُ، وَالثَلَاثَاءُ، وَالْأَرْبَعَاءُ، وَالْخَمِيسُ،  
 وَانْتَقَلَ مِنْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَخِلَالَ هَذِهِ  
 الْأَيَّامِ أَسَّسَ الْمَسْجِدَ فِي قِبَاءٍ. وَأَذْرَكَتُهُ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ وَهُوَ  
 فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، فَصَلَّاهَا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي  
 بَطْنِ وَادِي رَاثُونَاءَ، وَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا بِالْمَدِينَةِ.

وَتَابَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّيْرَ بَعْدَهَا،  
 وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى دَارِ بَطْنٍ مِنْ بَطُونِ الْأَنْصَارِ أَتَوْهُ رِجَالُهُ  
 فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. أَقِمْ عِنْدَنَا فِي الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ  
 وَالْمَنَعَةِ. فَيَقُولُ لَهُمْ: خَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، لِنَاقَتِهِ،  
 فَيَخْلُوهَا سَبِيلَهَا. . . حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ،  
 بَرَكْتَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مَرِيدٌ<sup>(١)</sup> لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ  
 مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَهُمَا: سَهْلٌ وَسَهْلُ ابْنِي عَمْرٍو، كَانَا فِي  
 حِجْرِ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ.

فَلَمَّا بَرَكْتَ لَمْ يَنْزِلْ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، بَعْدُ حَتَّى وَثَبَتْ وَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى  
 خَلْفِهَا، وَرَجَعَتْ إِلَى مَبْرَكِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَبَرَكْتَ فِيهِ، فَنَزَلَ

(١) المرید: ساحة يجفف فيها التمر.

عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ رَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِهِ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْمِرْبَدِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابْنَي عَمْرٍو، وَهُمَا يَتِيمَانِ لِي، وَسَأَرْضِيهِمَا مِنْهُ، فَاتَّخِذْهُ مَسْجِدًا. فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُبْنَى الْمَسْجِدُ فَوْقَ الْمِرْبَدِ.

بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ضَيْفًا فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى تَمَّ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ، وَالْحُجَرَاتِ، فَانْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ بَعْدَهَا إِلَى الْحُجَرَاتِ.

يَقُولُ أَبُو أَيُّوبَ: لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَيْتِي نَزَلَ فِي السُّفْلِ، وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي لَأَكْرَهُ وَأَعْظُمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ وَتَكُونَ تَحْتِي، فَظَهَرَ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلُوِّ، وَنَزِلْ نَحْنُ فَتَكُونُ فِي السُّفْلِ؛ فَقَالَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا

وَبِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ نَكُونَ فِي سَفْلِ الْبَيْتِ .

قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي سَفْلِهِ ، وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ ، فَلَقَدْ انْكَسَرَ حُبٌّ<sup>(١)</sup> لَنَا فِيهِ مَاءٌ ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقُطِيفَةٍ لَنَا ، مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا ، نَنْشَفُ بِهَا الْمَاءَ ، تَخَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيهِ .

قَالَ : وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعِشَاءَ ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتِغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَهَ ، حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةَ بَعْثَائِهِ ، وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ بَصَلًا أَوْ ثُومًا ، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ أَرِ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَرًا . قَالَ : فَجِئْتُهُ فِرْعَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِأَيْبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، رَدَدْتَ عِشَاءَكَ وَلَمْ أَرِ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ ، وَكُنْتُ إِذَا رَدَدْتُهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ ، نَبْتِغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَهَ ؛ قَالَ : إِنَّمَا وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَأَنَا رَجُلٌ أَنَا جِي ، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ . قَالَ : فَأَكَلْنَاهُ وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدُ .

---

(١) الحبّ: جرة الماء الكبيرة .



## مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِيَكُونُوا كَيْتَلَةً وَاحِدَةً أَمَامَ الْيَهُودِ فِي دَاخِلِ الْمَدِينَةِ وَأَمَامَ الْمُشْرِكِينَ وَأَعْدَاءِ الدَّعْوَةِ فِي خَارِجِ إِطَارِ الْمَدِينَةِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مُهَاجِرِينَ وَأَنْصَارٍ، أَوْ بَيْنَ أَوْسٍ وَخَزْرَجٍ، أَوْ بَيْنَ سَيِّدٍ وَمَوْلَى، أَوْ بَيْنَ رِجَالِ الْقَبَائِلِ وَخُلَفَائِهِمْ. وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَأَبُو أَيُّوبَ أَخَوَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَعَاشَ أَبُو أَيُّوبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي كُلِّ جَوَائِبِ الْحَيَاةِ، شَهِدَ مَعَهُ بَذْرًا، وَأَحْدَا، وَالْخُنْدَقَ وَالْغَزَوَاتِ جَمِيعَهَا، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْ مَعْرَكَةٍ، وَكَانَ دَائِمًا هَادِثًا صَامِتًا، لَا تَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يُحَدِّثُ أَمْرًا لَا يَرْضَى عَنْهُ رَسُولُهُ الْكَرِيمُ.

## مَعَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

بَقِيَ أَبُو أَيُّوبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا، كَمَا كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُبَايِعُ، وَيَسْمَعُ وَيُطِيعُ، وَيَنْصَحُ، وَيَنْطَلِقُ إِلَى الْجِهَادِ، وَمَا تَأَخَّرَ فِي سَنَةٍ عَنْ الْجِهَادِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً تَخَلَّفَ

إِذِ اسْتُعْمِلَ عَلَى الْجَيْشِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ نَدِمَ ، فَمَا أَنْ انْطَلَقَ  
الْجَيْشُ حَتَّى أَخَذَ يَتَلَهَّفُ إِلَى الْقِتَالِ وَيَقُولُ : مَا عَلَيَّ مِنْ  
اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ ، مَا عَلَيَّ مِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ ، مَا عَلَيَّ مِنْ  
اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ .

وَوَقَفَ بِجَانِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،  
وَشَهِدَ مَعَهُ يَوْمَ (حُرُورَاءَ) . ثُمَّ بَايَعَ الْحَسَنَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،  
وَكَانَ مَعَهُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ كَلِمَةُ الْأُمَّةِ ، وَصَالَحَ الْحَسَنُ  
مُعَاوِيَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، بَايَعَ أَبُو أَيُّوبَ مُعَاوِيَةَ وَوَفَدَ  
عَلَيْهِ .

وَفَدَّ أَبُو أَيُّوبَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
عَبَّاسٍ ، أَمِيرِ الْبَصْرَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَبَالَغَ ابْنُ عَبَّاسٍ  
فِي إِكْرَامِ أَبِي أَيُّوبَ ، وَقَالَ لَهُ : لَأَجْزِيَنَّكَ عَلَى إِنْزَالِكَ  
النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عِنْدَكَ ، فَوَصَلَهُ بِكُلِّ مَا فِي  
الْمَنْزِلِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا . وَيُرْوَى أَنَّهُ فَرَّغَ لَهُ الْبَيْتَ ،  
وَقَالَ : لَأَصْنَعَنَّ بِكَ كَمَا صَنَعْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، كَمْ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : عِشْرُونَ أَلْفًا ، فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ،  
وَعِشْرِينَ مَمْلُوكًا ، وَمَتَاعَ الْبَيْتِ .

## وَفَاتُهُ

عَادَ الْجِهَادَ بَعْدَ أَنْ تَوَحَّدَتْ كَلِمَةُ الْأُمَّةِ، وَتَجَمَّعَ أَبْنَاؤُهَا  
تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ، أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا.

وَعَادَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى الْجِهَادِ رَغْمَ تَقَدُّمِ سِنِّهِ وَهَرَمِ جَسَمِهِ.  
وَكَانَ عِنْدَمَا يُطْلَبُ مِنْهُ الرَّاحَةُ، فَقَدْ كَفَاهُ مَا غَزَاهُ مَعَ رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي أَيَّامِ الرَّاشِدِينَ يُجِيبُ:  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، وَلَا أَجِدُنِي إِلَّا  
خَفِيفًا أَوْ ثَقِيلًا.

وَانْطَلَقَ الْغَزْوُ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَكَانَتْ وَجْهَتُهُ  
الْقِسْطَنْطِينِيَّةَ عَنْ طَرِيقِ الْبَحْرِ، وَكَانَ عَلَى الْجَيْشِ يَزِيدُ بْنُ  
مُعَاوِيَةَ. وَانْتَضَمَ أَبُو أَيُّوبَ فِي الْغَزْوِ مَعَ مَنْ انْتَضَمَ مِنَ  
الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

وَحَاصَرَ الْمُسْلِمُونَ الْقِسْطَنْطِينِيَّةَ، وَمَرَضَ أَبُو أَيُّوبَ، وَجَاءَ  
يَزِيدُ أَمِيرُ الْجَيْشِ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ  
حَاجَتِي إِذَا أَنَا مِتُّ فَارْكَبْ بِي ثُمَّ سَعْ بِي فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مَا  
وَجَدْتَ مَسَاغًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا فَادْفُنِّي ثُمَّ ارْجِعْ. وَرَوِيَ  
أَنَّهُ قَالَ لَهُ: أَقْرَى النَّاسِ مِنِّي السَّلَامَ وَلَيَنْطَلِقُوا بِي فَلْيَعُدُّوا

مَا اسْتَطَاعُوا. فَحَدَّثَ يَزِيدُ النَّاسَ بِمَا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ،  
فَاسْتَسْلَمَ النَّاسُ فَأَنْطَلَقُوا بِجَنَازَتِهِ مَا اسْتَطَاعُوا. فَكَانَ قَبْرُهُ  
بِأَصْلِ حِصْنِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ بِأَرْضِ الرُّومِ.

لَقَدْ تُوَفِّي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يُفَكَّرُ بِالْجِهَادِ، فَيُرِيدُ أَنْ  
يَكُونَ قَبْرُهُ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ إِلَى الْعَدُوِّ كَأَنَّهُ فِي نِزَالٍ مَعَهُمْ،  
وَلِيَقْبَى الْمُسْلِمُونَ يَسْتَشْعِرُونَ الْقِتَالَ، وَأَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى  
التَّقَدُّمِ، فَقَبِرُ صَاحِبِهِمْ لَا يَزَالُ أَمَامَهُمْ، وَهَذَا مَا كَانَ  
يَحْدُثُ، فَقَدْ كَانَ مَدْعَاةً لِحِمَاسَةِ الْمُجَاهِدِينَ، وَأَنْطَلَقَهُمْ  
نَحْوَ أَهْدَافِهِمْ.

رَوَى أَبُو أَيُّوبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَادِيثَ كَثِيرَةً لِرَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَوَى مِنْهَا الْبُخَارِيُّ حَدِيثاً  
وَاحِداً، وَمُسْلِمٌ خَمْسَةَ أَحَادِيثَ، وَرَوَى مِنْهَا (بَقِيٌّ بْنُ  
مَخْلَدٍ) مِائَةً وَخَمْسِينَ حَدِيثاً.

حَدَّثَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ: جَابِرُ بْنُ سَمْرَةَ،  
وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَمُوسَى بْنُ  
طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ  
اللَّيْثِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ  
وآخَرُونَ.

سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤُ خَالَهُ»

رواه الترمذي والطبراني



## أُسْرَةُ سَعْدٍ

هُوَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ بْنِ أَهْنَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ  
زُهْرَةَ. وَبَنُو زُهْرَةَ أَحَدُ بَطُونِ قُرَيْشٍ الْمَعْرُوفَةُ بِنُبُلِهَا  
وَالْمَعْدُودَةُ.

وَأَبُو وَقَّاصٍ اسْمُهُ مَالِكٌ اشتهر بِكُنْيَتِهِ وَبِهَا عُرِفَ، كَمَا  
نُسِبَ إِلَيْهَا أَبْنَاؤُهُ.  
أُمُّهُ :

حَمْنَةُ بِنْتُ سُفْيَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ  
قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ. فَأَبُوهُ زُهْرِيُّ، وَأُمُّهُ أُمُويَّةُ عَبْشَمِيَّةُ.  
زَوْجَاتُهُ :

تَزَوَّجَ سَعْدٌ عِدَّةَ زَوْجَاتٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، إِذْ أُسْلِمَ  
صَغِيرًا، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ تَزَوَّجَ بَعْدُ، كَمَا كَانَتْ عِنْدَهُ عِدَّةُ أُمَّهَاتٍ  
أَوْلَادٍ.

١- تَزَوَّجَ ابْنَةُ شِهَابِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ،  
وَذَلِكَ فِي مَطْلَعِ شَبَابِهِ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّهِ فَهِيَ زُهْرِيَّةٌ مِثْلُهُ.

٢- وَتَزَوَّجَ مَأْوِيَةَ بِنْتَ قَيْسِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبِ بْنِ كِنْدَةَ.

٣- وَتَزَوَّجَ أُمَّ عَامِرٍ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ قَبِيلَةَ بَهْرَاءَ.

٤- وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ تُدْعَى زَبْدًا.

٥- وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي تَغْلِبِ بْنِ وَاثِلٍ تُسَمَّى سَلْمَى.

٦- وَتَزَوَّجَ خَوْلَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ مِنْ بَنِي تَغْلِبِ بْنِ  
وَاثِلٍ أَيْضًا.

٧- وَتَزَوَّجَ أُمَّ هِلَالٍ بِنْتَ رَبِيعٍ مِنْ مَذْحِجٍ.

٨- وَتَزَوَّجَ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ قَارِظٍ مِنْ كِنَانَةَ.

٩- وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تُدْعَى سَلْمَى بِنْتَ خَصْفَةَ، وَكَانَتْ زَوْجَ  
الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ قَبْلَهُ.

١٠- وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تُدْعَى طَيِّبَةً.

١١- وَتَزَوَّجَ أُمَّ حُجَيْرٍ.

أَوْلَادُهُ:

كَانَ لِسَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنَ الْوَلَدِ وَهُمْ:



- ١ - إِسْحَاقُ الْأَكْبَرُ: وَبِهِ يُكْنَى ، وَأُمُّهُ ابْنَةُ شِهَابِ الزُّهْرِيَّةِ .
- ٢ - عَمْرُ: وَهُوَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِ جَيْشِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الَّذِي خَرَجَ لَصَدِّ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ دُخُولِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَتْ فَاجِعَةً كَرْبَلَاءَ . وَقَدْ قَتَلَهُ الْمُخْتَارُ الثَّقَفِيُّ عِنْدَمَا سَيَّطَرَ عَلَى الْعِرَاقِ .
- ٣ - مُحَمَّدٌ: وَقُتِلَ فِي مَعْرَكَةِ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ ، قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ الثَّقَفِيُّ . وَأُمُّهُمَا مَاوِيَّةُ بِنْتُ قَيْسِ الْكِنْدِيَّةِ .
- ٤ - عَامِرُ .
- ٥ - إِسْحَاقُ الْأَصْغَرُ .
- ٦ - إِسْمَاعِيلُ . وَأُمُّهُمْ أُمُّ عَامِرِ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ بَهْرَاءَ .
- ٧ - إِبْرَاهِيمُ .
- ٨ - مُوسَى . وَأُمُّهُمَا زَبْدَةُ الْبَكْرِيَّةِ .
- ٩ - عَبْدُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ: وَأُمُّهُ سَلْمَى التَّغْلِبِيَّةُ .
- ١٠ - مُصْعَبُ: وَأُمُّهُ خَوْلَةُ التَّغْلِبِيَّةِ .
- ١١ - عَبْدُ اللَّهِ الْأَصْغَرُ .
- ١٢ - بُجَيْرُ: وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ . وَأُمُّهُمَا أُمُّ هِلَالٍ بِنْتُ رَبِيعِ الْمَذْحِجِيَّةِ .
- ١٣ - عُمَيْرُ الْأَكْبَرُ: وَقَدْ تُوْفِيَ قَبْلَ أَبِيهِ . وَأُمُّهُ أُمُّ حَكِيمِ الْكِنَانِيَّةِ .

١٤ - عُمَيْرُ الْأَصْغَرُ.

١٥ - عَمْرُو.

١٦ - عِمْرَانُ. وَأُمُّهُمْ سَلْمَى بِنْتُ خَصْفَةَ.

١٧ - صَالِحُ: وَأُمُّهُ طَيِّئَةُ.

١٨ - عُثْمَانُ: وَأُمُّهُ أُمُّ حُجَيْرٍ.

وَكَانَ لَهُ مِنَ الْبَنَاتِ ثَمَانِي عَشْرَةَ بِنْتًا أَيْضًا وَهُنَّ:

١ - أُمُّ الْحَكَمِ: وَأُمُّهَا ابْنَةُ شِهَابِ الزُّهْرِيَّةِ.

٢ - خَفْصَةُ.

٣ - أُمُّ الْقَاسِمِ.

٤ - أُمُّ كُلْثُومٍ. وَأُمُّهُنَّ مَأْوِيَّةُ بِنْتُ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ.

٥ - أُمُّ عِمْرَانَ: وَأُمُّهَا أُمُّ عَامِرٍ بِنْتُ عَمْرٍو مِنْ بَهْرَاءَ.

٦ - أُمُّ الْحَكَمِ الصُّغْرَى.

٧ - أُمُّ عَمْرٍو.

٨ - هِنْدُ.

٩ - أُمُّ الزُّبَيْرِ.

١٠ - أُمُّ مُوسَى. وَأُمُّهُنَّ زَبْدَةُ الْبَكْرِيَّةِ.

١١ - حَمِيدَةُ: وَأُمُّهَا أُمُّ هِلَالٍ بِنْتُ رَبِيعِ الْمَذْحِجِيَّةِ.

١٢ - حَمْنَةُ: وَأُمُّهَا أُمُّ حَكِيمِ الْكِنَانِيَّةِ.

١٣ - أُمُّ عَمْرٍو.

١٤ - أُمُّ أَيُّوبَ.

١٥ - أُمُّ إِسْحَاقَ. وَأُمُّهُنَّ سَلَمَى بِنْتُ خَصْفَةَ.

١٦ - رَمْلَةُ: وَأُمُّهَا أُمُّ حُجَيْرٍ.

١٧ - عُمَيْرَةُ: وَهِيَ الْعَمِيَاءُ. وَأُمُّهَا أُمُّ وَلَدٍ، وَتَزَوَّجَهَا

سُهَيْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

١٨ - عَائِشَةُ: وَأُمُّهَا أُمُّ وَلَدٍ.

إِخْوَتُهُ:

وَمِنْ إِخْوَتِهِ الْمَعْرُوفِينَ.

١ - عُمَيْرٌ: شَقِيقُ سَعْدٍ، وَأَصْغَرُ مِنْهُ بِسِتَّةَ عَشَرَ عَامًا، أَسْلَمَ قَبْلَ

الهِجْرَةِ، وَلَمْ يَتَجَاوَزِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ، وَهَاجَرَ مَعَ أَخِيهِ سَعْدٍ،

وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ

عَمْرٍو بْنِ مُعَاذٍ أَخِي سَعْدٍ بْنِ مُعَاذٍ. شَهِدَ عُمَيْرٌ بَدْرًا،

وَعِنْدَمَا اسْتَعْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

الْمُسْلِمِينَ أَخَذَ يَتَوَارَى فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ سَعْدٌ: مَا لَكَ يَا أَخِي؟

فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فَيَسْتَصْغِرَنِي فَيُرْدَنِي، وَأَنَا أَحِبُّ الْخُرُوجَ لَعَلَّ اللَّهَ

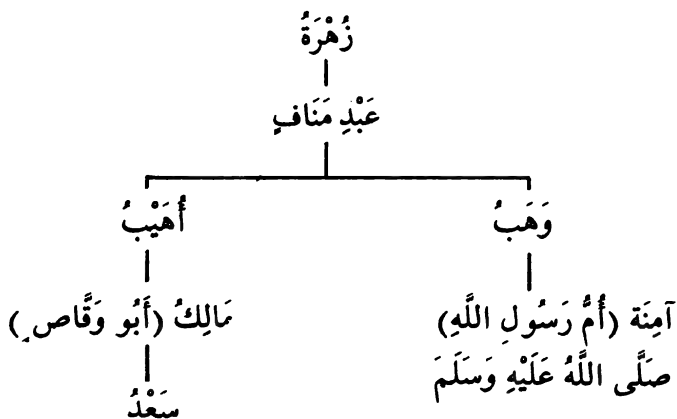
يَرْزُقُنِي الشَّهَادَةَ. فَعَرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، فَاسْتَصَغَرَهُ فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ ، فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ رَسُولُ  
 اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَكَانَ سَعْدٌ يَعْقِدُ لَهُ حِمَائِلَ سَيْفِهِ  
 مِنْ صِغَرِهِ . فَقَتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً ، قَتَلَهُ  
 عَمْرُو بْنُ عَبْدِوُدٍّ .

٢ - عُتْبَةُ : وَهُوَ أَسَنُّ مِنْ سَعْدٍ ، وَشَهِدَ الْمَعَارِكَ مَعَ  
 الْمُشْرِكِينَ ، وَرَمَى يَوْمَ أُحُدٍ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ ، فَكَسَرَ رُبَاعِيَّتَهُ الْيُمْنَى السُّفْلَى ، وَجَرَحَ شَفْتَهُ  
 السُّفْلَى ، وَحَرَصَ أَخُوهُ سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ عَلَى قَتْلِهِ .

وَعُرِفَ مِنْ أَبْنَاءِ عُتْبَةَ هَاشِمٌ ، وَقَدْ وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ،  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَهِدَ الْيَرْمُوكَ ، وَذَهَبَتْ عَيْنُهُ  
 يَوْمَئِذٍ ، وَشَهِدَ فَتُوحَ الشَّامِ ، وَكَانَ بِجَانِبِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي  
 طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يَحْمِلُ رَايَتَهُ يَوْمَ صِفِّينَ ،  
 فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ طَوِيلًا مَوْصُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ،  
 وَيُعْرَفُ بِـ (الْمِرْقَالِ) .

قَرَابَةُ سَعْدٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 إِنَّ أَمَةً أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ بَنِي  
 زُهْرَةَ قَوْمِ سَعْدٍ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّ أَبِي وَقَّاصٍ .  
 (مَالِكٌ) وَالِدِ سَعْدٍ .



### إِسْلَامُ سَعْدٍ

وُلِدَ سَعْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَوَالِي السَّنَةِ الثَّلَاثِينَ قَبْلَ  
الهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً تَقْرِيبًا. وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ الْبِعْثَةِ مَا يَقْرُبُ  
مِنْ سَبْعَةِ عَشَرَ عَامًا.

كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ،  
وَكَذَلِكَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْاِثْنَانِ  
فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَسْلَمَ أَبُو  
بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دَعَا أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَعَبْدَ

الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ،  
وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَتِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
جَمِيعًا، فَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّمَانِيَةُ الَّذِينَ سَبَقُوا النَّاسَ بِالْإِسْلَامِ،  
وَصَدَّقُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا جَاءَهُ مِنَ  
اللَّهِ.

وَيَبْدُو - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ سَعْدًا قَدْ أَجَابَ أَبَا بَكْرٍ فَوْرًا عَلَى  
حِينَ أَمَهَلَهُ الْآخَرُونَ حَتَّى الصَّبَاحِ، وَيُظْهَرُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ  
سَعْدٍ نَفْسِهِ: مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ  
مَكَثْتُ سَبْعَ لَيَالٍ وَإِنِّي لَثَلْتُ الْإِسْلَامَ<sup>(١)</sup>.

وَتَقُولُ عَائِشَةُ بِنْتُ سَعْدٍ: مَكَثَ أَبِي يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ وَإِنَّهُ  
لَثَلْتُ الْإِسْلَامَ.

وَيَبْدُو أَنَّ سَعْدًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَعُدُّ عَلِيًّا صَغِيرًا بَعْدَ  
إِذْ لَمْ يَتَلَخَّ الْحُلُمُ، وَيَعُدُّ زَيْدًا مَوْلَى، أَمَّا خَدِيجَةُ فَهِيَ امْرَأَةٌ  
فَلَمْ يَتَّقِ سِوَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ،  
وَسَعْدٍ نَفْسِهِ. وَكَانَ عُمُرُ سَعْدٍ يَوْمَ أَسْلَمَ مَا يَقْرُبُ مِنْ سَبْعَةِ عَشَرَ  
عَامًا، أَيْ فِي الْعَامِ الَّذِي بُعِثَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) أخرجه البخاري، وابن ماجه، والطبراني، وأبو نعيم، وابن سعد.

وَبَقِيَتِ الدَّعْوَةُ سِرًّا ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ، وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ  
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلُّوا خَرَجُوا إِلَى شِعَابِ  
 مَكَّةَ فَاسْتَحْفَفُوا بِصَلَاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، فَبَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي  
 وَقَّاصٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ إِذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ، فَنَاكَرُوهُمْ، وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ حَتَّى  
 قَاتَلُوهُمْ، فَأَخَذَتِ الْحَمَاسَةُ سَعْدًا، وَهُوَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ عَلَى  
 حَقٍّ، فَضْرَبَ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِلِحْيِ بَعِيرٍ فَشَجَّهُ، فَكَانَ أَوَّلَ  
 دَمٍ هَرِيقَ فِي الْإِسْلَامِ.

وَجَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالدَّعْوَةِ،  
 وَوَقَفَتْ قُرَيْشٌ فِي وَجْهِهِ، وَأَذَاقَتْ مَنْ أَسْلَمَ مَرَّ الْعَذَابِ،  
 فَمَاتَ مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ هَرَبًا بِدِينِهِ مَنْ  
 سَمَحَتْ لَهُ ظُرُوفُهُ بِالْهَجْرَةِ، وَمَنْ بَقِيَ قُوطِعَ وَحُوصِرَ مَعَ بَنِي  
 هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى جَهَدَ  
 الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ضَيْقِ الْحِصَارِ، حَتَّى أَتَتْهُمْ كَاتُوا يَأْكُلُونَ  
 الْخَبْطَ، وَوَرَقَ السَّمْرِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَصْنَعُ كَمَا تَصْنَعُ  
 الشَّاةُ، وَكَانَ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَرُوي أَنَّهُ قَالَ:  
 لَقَدْ جُعْتُ حَتَّى لَأَنِي وَطِثْتُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى شَيْءٍ رَطْبٍ،

فَوَضَعْتُهُ فِي فَمِي وَبَلَعْتُهُ، وَمَا أَذْرِي مَا هُوَ إِلَى الْآنَ . وَكَانُوا إِذَا قَدِمَتِ الْعِيرُ مَكَّةَ ، وَأَتَى أَحَدُهُمُ السُّوقَ لِيَشْتَرِيَ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ لِعِيَالِهِ ، يَقُومُ أَبُو لَهَبٍ عَدُوُّ اللَّهِ فَيَقُولُ : يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ ، غَالُوا عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ حَتَّى لَا يَذَرِكُوا مَعَكُمْ شَيْئًا ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالِي وَوَفَاءَ فِئْتِي ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا خَسَارَ عَلَيْكُمْ . فَيَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ فِي السَّلْعَةِ قِيمَتَهَا أَضْعَافًا ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُسْلِمُ إِلَى أَطْفَالِهِ ، وَهُمْ يَتَضَاعُونَ مِنَ الْجُوعِ ، وَلَيْسَ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ يُطْعِمُهُمْ بِهِ ، وَيَعْدُو التُّجَّارُ عَلَى أَبِي لَهَبٍ فَيَرْبِحُهُمْ فِيمَا اشْتَرَوْا مِنَ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ حَتَّى جَهَدَ الْمُسْلِمُونَ ، وَمَنْ مَعَهُمْ جُوعًا وَعُرْيًا .

وَرَوَى عَنْ سَعْدٍ أَنَّهُ قَالَ : نَزَلَتِ الْآيَةُ ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> نَزَلَتْ فِي سِتِّهِ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ <sup>(٢)</sup> .

وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيَّ ﴿ وَوَصَّيْنَا

(١) سورة الأنعام الآية ٥٢ .

(٢) أخرجه مسلم ، وابن ماجه ، والنسائي ، والحاكم ، وابن حبان ، والبيهقي .



الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا، وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ  
لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا، إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ  
تَعْمَلُونَ<sup>(١)</sup>. قَالَ: كُنْتُ بَرًّا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ قَالَتْ: يَا  
سَعْدُ، مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ أَخَذْتَ؟ لَتَدْعَنَ دِينَكَ هَذَا، أَوْ  
لَا أَكُلُ، وَلَا أَشْرَبُ، حَتَّى أَمُوتَ، فَتُعَيِّرَ بِي، فَيَقَالَ: يَا قَاتِلَ  
أُمِّ، قُلْتُ: لَا تَفْعَلِي يَا أُمُّ، إِنِّي لَا أَدْعُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ،  
فَمَكَثْتُ يَوْمًا لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ وَلَيْلَةً، فَأَصْبَحْتُ وَقَدْ  
جَهَدْتُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: يَا أُمُّ تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ  
لَكَ مِائَةُ نَفْسٍ، فَخَرَجْتَ نَفْسًا نَفْسًا، مَا تَرَكْتُ دِينِي. إِنْ  
شِئْتَ كُلِّي أَوْ لَا تَأْكُلِي. فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ أَكَلَتْ<sup>(٢)</sup>.

### هَجْرَةُ سَعْدٍ

وَكَانَتْ الْأَيَّامُ تَمُرُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ بِطَيْئَةٍ مُتَشَاوِلَةٍ  
هَكَذَا يَرَوْنَهَا لِمَا كَانُوا يُعَانُونَ مِنْ حَرْبِ نَفْسِيَّةٍ وَمِنْ حَرْبِ  
اِقْتِصَادِيَّةٍ وَمِنْ أَدَى فِي أَبْدَانِهِمْ، وَمِنْ ظُلْمِ ذَوِيهِمْ وَمَنْ كَانَ  
مِنْهُمْ فِي حِمَى أَوْ مَنَآئٍ مِنْ ذَلِكَ لِرُضْعِهِ الْاجْتِمَاعِيِّ أَوْ لِإِنَّهُ فِي  
جَوَارِ أَحَدِ السَّادَةِ كَانَ قَلْبُهُ يَتَفَطَّرُ عَلَى إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يَنَالُهُمْ

(١) سورة العنكبوت الآية ٨.

(٢) أخرجه الترمذي، وأبو داود، وأحمد وغيرهم.

الَّذِي فِي كُلِّ جَبِينٍ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَهُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَا لَا  
يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْفَعَهُ عَنْهُمْ، وَقُرَيْشٌ سَائِرَةٌ فِي غِيَّهَا مُتَمَادِيَةٌ  
فِي بَاطِلِهَا لَا تَعْرِفُ الرَّحْمَةَ، وَلَا تَمَسُّ الشَّفَقَةَ قَلْبَ رَجُلٍ مِنْ  
كِبَرَائِهَا، فَقُلُوبُهُمْ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً لَا تَفْهَمُ مَعْنَى  
الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا مِنْ خِلَالِ مَا تُفَكِّرُ فِيهِ وَمَا تَرَى فِيهِ مِنْ  
مَصْلَحَةٍ لَهَا.

وَجَاءَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فَلَيْنَ قُلُوبَ بَعْضِ أَهْلِ  
يَثْرِبَ فَدَانُوا بِالْإِسْلَامِ، وَصَدَّقُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، بِمَا جَاءَهُ مِنْ رَبِّهِ، وَفَتَحُوا قُلُوبَهُمْ وَصُدُّوهُمْ  
وَبُيُوتَهُمْ وَمَدِينَتَهُمْ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ بِالْإِيمَانِ مِنْ  
أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَخَذَ مُسْلِمُو مَكَّةَ يَنْتَقِلُونَ إِلَى يَثْرِبَ الَّتِي غَدَتْ مَدِينَةَ  
الْإِسْلَامِ، يَنْتَقِلُونَ جَمَاعَةً لِثَرَجَمَاعَةٍ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي مَكَّةَ إِلَّا  
مَنْ حُبِسَ أَوْ فُتِنَ، وَالتَقَى الْإِخْوَةُ مَعَ إِخْوَانِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ  
وَالْأُجَبَّةَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ.

وَهَاجَرَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَهَاجَرَ مَعَهُ أَخُوهُ الصَّغِيرُ  
عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَلَمْ يَتَجَاوِزِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْعُمْرِ،  
وَنَزَلَ فِي مَنْزِلٍ لِإِخِيهِمَا عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ كَانَ بَنَاهُ فِي بَنِي

عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ وَحَائِطُ لَهُ، وَكَانَ عُتْبَةُ أَصَابَ دَمًا بِمَكَّةَ فَهَرَبَ وَنَزَلَ فِي بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ وَذَلِكَ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثٍ. وَكَانَ ذَلِكَ خِطَّةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَمْرِ النَّزُولِ فِي دَارِ أُخِيهِمَا.

وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، كَمَا أَخَى بَيْنَ عُمَيْرِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَبَيْنَ عَمْرُو بْنِ مُعَاذٍ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخَى بَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَبَيْنَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ.

## مَعَ الْجِهَادِ

أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرْكَانَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ أَخَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَوَادَعَ الْيَهُودَ. وَأَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَعِدُّ لِلْقِتَالِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَتَّى وَلَوْ سَكَنَ الْمُسْلِمُونَ وَانْصَرَفُوا فَإِنَّ الْكُفْرَانَ يَقْبَلُ وَلَنْ يَسْكُتَ عَنِ الْحَقِّ بَلْ يَعْمَلُ لِدَحْضِهِ. وَكَانَ قَدْ أُذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْقِتَالِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ

يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْلَمَّتْ  
صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا  
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ  
مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا  
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١١﴾.

أَخَذَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ بِتَجْرِيدِ  
الغزواتِ وتسيير السرايا إلى الجهات التي ستكون مسرحاً  
للنزال لدراسة المنطقة ومعرفة مسالكها والاتصال بأصحابها  
لدعوتهم والاتفاق معهم أو لوقوفهم على الحياض على الأقل  
عندما يحدث اللقاء بين المسلمين وأعدائهم.

سَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى وَدَّانَ  
غَازِيَا، وَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ أُرْسِلَ سَرِيَّةً بِأَمْرَةِ  
عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَجَمِيعُ أَفْرَادِهَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ  
مِنْ بَيْنِهِمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالتَّقَتْ بِجَمْعٍ كَبِيرٍ مِنْ  
قُرَيْشٍ، وَلَكِنْ لَمْ يَحْدُثْ قِتَالٌ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ، غَيْرَ أَنَّ سَعْدًا  
قَدَرَمَى يَوْمئِذٍ بِسَهْمٍ، فَكَانَ أَوَّلَ سَهْمٍ رُمِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ.  
وَانْصَرَفَ الْقَوْمُ عَنِ الْقَوْمِ، وَلِلْمُسْلِمِينَ حَافِيَةٌ، وَيَقُولُ

(١) سورة الحج الآيتان ٤٠ و ٤١.

سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي هَذَا :

أَلَا هَلْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي  
حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي  
أَذُودُ بِهَا أَوَائِلُهُمْ ذِياداً  
بِكُلِّ حَزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلٍ  
فَمَا يَعْتَدُ رَامٍ فِي عَدُوِّ  
بِسَنَنِ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلِي  
وَذَلِكَ أَنَّ دِينَكَ دِينُ صِدْقٍ  
وَذُو حَقٍّ أَتَيْتَ بِهِ عَدْلٍ  
يُنَجِّي الْمُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيُجْزِي  
بِهِ الْكُفَّارُ عِنْدَ مَقَامِ مَهْلٍ  
فَمَهْلًا قَدْ غَوَيْتَ فَلَا تَعِيبَنِي  
غُيُوبُ الْحَيِّ وَيَحْكُ يَا بَنَ جَهْلٍ

وَكَانَ سَعْدُ أَيْضاً فِي عَدَادِ أَفْرَادِ السَّرِيَّةِ الَّتِي بَعَثَهَا رَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِإِمْرَةِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ  
إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِصْرِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ ثَلَاثِينَ  
رَاكِبًا، كُلُّهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَقَدْ انْطَلَقَتِ السَّرِيَّةُ لِمُوْاجَهَةِ  
أَبِي جَهْلٍ الَّذِي كَانَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةِ رَاكِبٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَلَمْ

يَقَعُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ قِتَالٌ إِذْ حَجَزَ بَيْنَهُمَا مَجْدِيُّ بْنُ عَمْرٍو  
الْجُهَنِيُّ.

وَكَانَ سَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي  
الْغَزَاةِ كُلِّهَا الَّتِي غَزَاهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ  
وَالسَّلَامِ، فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، فَظَهَرَتْ إِمكَانَاتُ سَعْدِ الْكَبِيرَةِ  
وَقُدْرَاتُهُ عَلَى الْقِتَالِ، وَهَذَا مَا خَوَّلَهُ أَنْ يُرْسِلَهُ رَسُولُ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى رَأْسِ سَرِيَّةٍ إِلَى الْخُرَّارِ، فَأَنْطَلَقَ  
إِلَى وَجْهَتِهِ وَرَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

وَسَارَ سَعْدٌ أَيْضًا فِي سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ الَّتِي بَعَثَهَا  
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى نَخْلَةٍ بَيْنَ مَكَّةَ  
وَالطَّائِفِ، غَيْرَ أَنَّ سَعْدًا وَعُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ قَدْ أَضَلَّا بَعِيرًا كَانَا  
يَعْتَقِبَانِهِ، فَتَخَلَّفَا عَنِ السَّرِيَّةِ فِي طَلَبِ الْبَعِيرِ. وَغَنِمَتْ هَذِهِ  
السَّرِيَّةُ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي أَحْدَاثِ السَّيْرِ - عِيرًا لِقُرَيْشٍ  
كَانَتْ تَحْمِلُ زَبِيحًا وَأَدَمًا وَأَسِيرَيْنِ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ  
غَنِمَهَا الْمُسْلِمُونَ.

## سَعْدٌ فِي مَعْرَكَةِ بَذْرِ الْكُبْرَى

انْتَهَتْ مَرْحَلَةُ دِرَاسَةِ الْأَرْضِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَيْهَا وَانْتَهَى مَعَهَا

الْاِتِّصَالُ بِالْقَبَائِلِ وَرِجَالِهَا الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي تِلْكَ النَّوَاجِي  
أَوْ انْتَهَتْ مَرَحَلَةُ الاسْتِعْدَادِ، فَكَانُوا بَعْدَهَا يُرِيدُونَ أَنْ يَجْرُوا  
قُرَيْشًا إِلَى مَعْرَكَةٍ يَنْتَصِفُوا فِيهَا مِنْهُمْ، ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ  
الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾. وَثُرِيدُ قُرَيْشٍ أَنْ  
تَقْضِيَ عَلَى التَّحْرُشَاتِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ أَوْ  
الاسْتِغْزَاذَاتِ وَتُحِبُّ أَنْ يَكُونَ الْقَضَاءُ بِضِرْبَةٍ قَاصِمَةٍ تُنْهِي  
الصَّرَاعَ وَتُنْهِى الْجَمَاعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ نِهَائِيًّا. وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرِ  
الْكُبْرَى الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ وَالَّتِي سَيَّرَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَيْهَا لِتَكُونَ  
الْتِمِيجَةُ الَّتِي كَانَتْ فَلَقَدْ طَالَ بَغْيُ قُرَيْشٍ وَزَادَ طُغْيَانُهَا  
وَتَمَادِيهَا فِي غِيَّهَا.

بَدَأَتْ مَرَحَلَةُ الْمَعَارِكِ الْكُبْرَى، الْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ نَشْرَ  
النُّورِ، وَبَسْطَ الْخَيْرِ، وَإِشَاعَةَ الْعَدْلِ، وَإِحْقَاقَ الْحَقِّ،  
وَقُرَيْشٌ وَمَنْ وَرَاءَهَا تَبْغِي بَقَاءِ سَيِّطَرَةِ الظُّلْمِ، وَتَحْكُمِ  
الظَّالِمِينَ، وَاسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ وَسَطَ دِيَاجِرِ الظَّلَامِ لِتَحْقِيقِ  
الشُّهُوَةِ وَإِطْلَاقِ عِنَانِ النَّفْسِ فِي الْغَطْرَسَةِ وَالتَّسْلُطِ عَلَى  
عِبَادِ اللَّهِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ مِنْ مَوَالِي وَضُعَفَاءٍ وَبَائِسِينَ.

وَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُسْلِمِينَ  
لِلْخُرُوجِ إِلَى قَافِلَةِ أَبِي سُفْيَانَ الْإِيَّةِ مِنَ الشَّامِ وَالَّتِي

يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتَهَا بَعْدَ أَنْ فَاتَتْهُمْ فِي ذَهَابِهَا. فَخَفَ بَعْضُ  
 الْمُسْلِمِينَ وَثَقَلَ بَعْضُهُمْ، وَمَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَثْقُلُوا لَوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَلْقَى حَرْبًا،  
 وَإِنَّمَا خَرَجَ لِلْعِيرِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذِهِ  
 عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ  
 يُنْفِلَكُمْوهَا».

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ السَّبْتِ  
 لِيَشْتِيَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَخَرَجَ سَعْدٌ وَأَخُوهُ عُمَيْرٌ  
 مَعَ مَنْ كَانَ قَدْ خَرَجَ. يَقُولُ سَعْدٌ: رَأَيْتُ أَخِي عُمَيْرُ بْنُ أَبِي  
 وَقَاصٍ قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
 لِلْخُرُوجِ إِلَى بَذْرِ يَتَوَارَى فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: إِنِّي  
 أَخَافُ أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
 فَيَسْتَصْغِرَنِي فَيُرْدِيَنِي، وَأَنَا أَحِبُّ الْخُرُوجَ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقَنِي  
 الشَّهَادَةَ، قَالَ: فَعَرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، فَاسْتَصْغَرَهُ فَقَالَ: ارْجِعْ، فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ رَسُولُ  
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ سَعْدٌ: فَكُنْتُ أَعْقِدُ لَهُ  
 حِمَائِلَ سَيْفِهِ مِنْ صِغَرِهِ فَقُتِلَ بِبَذْرِ، وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً،  
 قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ.



وَقَبْلَ أَنْ يَصِلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى  
بَذْرِ أَرْسَلَ ثَلَاثَةً مِنَ الشَّبَابِ الْأَشِدَّاءِ الشُّجْعَانِ إِلَى مَاءِ بَذْرِ  
يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ لَهُ عَلَيْهِ، أَرْسَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ،  
وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ مَعَ نَفَرٍ آخَرِينَ مِنَ  
الصُّحَابَةِ، فَوَجَدُوا عَبْدَيْنِ لِقُرَيْشٍ مَعَ إِبِلٍ يَسْتَقُونَ عَلَيْهَا  
الْمَاءَ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِمَا وَحَمَلُوهُمَا إِلَى مُعْسَكِرِ الْمُسْلِمِينَ،  
فَسَأَلُوهُمَا وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَائِمٌ يُصَلِّي.  
فَقَالَا: نَحْنُ سُقَاةُ قُرَيْشٍ، بَعَثْنَا نَسْقِيهِمْ مِنَ الْمَاءِ. فَكَرِهَ  
الْقَوْمُ خَبَرَهُمَا، وَرَجَوْا أَنْ يَكُونَا لِأَبِي سُفْيَانَ، فَضَرَبُوهُمَا،  
فَقَالَا: نَحْنُ لِأَبِي سُفْيَانَ فَتَرَكُوهُمَا. فَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ صَلَاتِهِ، قَالَ: إِذَا صَدَقَاكُمْ  
ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا وَاللَّهِ إِنَّهُمَا  
لِقُرَيْشٍ! أَخْبَرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ؟ قَالَا: هُمْ وَاللَّهِ وَرَاءَ هَذَا  
الْكَيْثِيبِ الَّذِي تَرَى بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى. فَقَالَ لَهُمَا: كَمْ الْقَوْمُ؟  
قَالَا: كَثِيرٌ.

قَالَ: مَا عِدَّتُهُمْ؟ قَالَا: لَا نَدْرِي.

قَالَ: كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَا: يَوْمًا تِسْعًا وَيَوْمًا  
عَشْرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْقَوْمُ بَيْنَ  
السُّنَعِمَاتِ وَالْأَلْفِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ ؟ . قَالَا :  
عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ . . .

فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هَذِهِ مَكَّةُ  
أَلَقْتُ إِلَيْكُمْ أَفْلَاحَ كَبِدِهَا .

وَدَارَتْ مَعْرَكَةٌ بَدْرٍ ، وَجَالَ الْبَاطِلُ فِيهَا جَوْلَتُهُ وَانْدَحَرَ  
صَاحِرًا مُتَرَاكِجًا ، وَدَالَتْ دَوْلَتُهُ ، وَانْتَصَرَ الْحَقُّ ، وَارْتَفَعَتْ  
رَأْيَتُهُ ، وَقَدَّمَ أَبْنَاءُ الْإِسْلَامِ فِيهَا أَنْوَاعًا مِنَ الشَّجَاعَةِ  
وَالْإِقْدَامِ ، وَمِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الَّذِي صَرَخَ  
حُذَيْفَةُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخْزُومِيِّ ، وَقَتَلَ ثُبَيْهَ بْنَ  
الْحَجَّاجِ بْنِ عَامِرِ السَّهْمِيِّ .

وَسَعْدُ فِي قِتَالِهِ هَادِيٌّ قَلِيلُ الْحَرَكَةِ قَلَّمَا يَرْتَفِعُ صَوْتُهُ وَإِذَا  
ارْتَفَعَ فَبِالتَّكْبِيرِ أَوْ لِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ . وَقَدْ عُرِفَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
بِالشَّجَاعَةِ وَالثَّبَاتِ ، وَمَهَارَتِهِ فِي الرِّمِيِّ ، وَكَانَتْ الْأَبْطَالُ  
تَخْشَاهُ وَتَخَافُ لِقَاءَهُ .

## فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ

عَادَ الْمُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ الثَّارَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّبِيلَ مِنْهُمْ  
وَالْقَضَاءَ عَلَيْهِمْ إِنْ تَمَكَّنُوا فَأَخْزَاهُمُ اللَّهُ وَلَمْ يَنَالُوا خَيْرًا .  
وَخَالَفَ الْمُسْلِمُونَ فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ دَرْسًا فَتَرَجَعُوا بَعْدَ نَصْرِ  
وَأَصِيبَ مِنْهُمْ مَنْ أَصِيبَ .

وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، دُونَ رَسُولِ  
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ سَعْدُ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنَاوِلُنِي  
النَّبِيلَ وَهُوَ يَقُولُ : اِرْمِ ، فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُنَاوِلُنِي  
السَّهْمَ مَا لَهُ نَصْلٌ ، فَيَقُولُ : اِرْمِ بِهِ .

وَيَقُولُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَا سَمِعْتُ  
رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقْدِي أَحَدًا بِأَبْوَيْهِ إِلَّا  
سَعْدًا ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ : اِرْمِ سَعْدَ فِذَاكَ أَبِي  
وَأُمِّي .

وَقَتَلَ سَعْدُ يَوْمَ أُحُدٍ حَامِلَ لَوَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَبَا سَعِيدٍ بْنَ أَبِي  
طَلْحَةَ ، كَمَا قَتَلَ عَدَدًا مِنَ الْكُفَّارِ يَوْمَ ذَاكَ .

وَعِنْدَمَا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ رَمَى عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ  
رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَسَرَ رُبَاعِيَّتَهُ الْيُمْنَى

السُّقْلَى، وَجَرَحَ شَفَتَهُ السُّقْلَى، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شِهَابِ  
الزُّهْرِيَّ شَجَّهُ فِي جَبْهَتِهِ، وَأَنَّ ابْنَ قَمِيْشَةَ جَرَحَ وَجَّتَهُ،  
فَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حَلَقِ الْمَغْفَرِ فِي وَجَّتِهِ، وَوَقَعَ رَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفْرِ الَّتِي عَمِلَهَا  
أَبُو عَامِرٍ لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. . . وَقَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَمَا عُسِلَ عَنْ وَجْهِهِ  
الدَّمُ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجْهَ نَبِيِّهِ».

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا حَرَصْتُ عَلَى  
قَتْلِ رَجُلٍ قَطُّ كَحِرْصِي عَلَى قَتْلِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ،  
وَإِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ لَسِيءَ الْخُلُقِ مُبْغِضًا فِي قَوْمِهِ، وَلَقَدْ  
كَفَانِي مِنْهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْتَدَّ  
غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجْهَ نَبِيِّهِ».

وَحَضَرَ سَعْدُ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، وَفِي صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ كَانَ مِنَ الشُّهُودِ الَّذِينَ شَهِدُوا  
عَلَى الصُّلْحِ، وَفِي فَتْحِ مَكَّةَ كَانَ يَحْمِلُ إِحْدَى رَايَاتِ  
الْمُهَاجِرِينَ الثَّلَاثِ.

وَقَدْ بَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْجَنَّةِ،  
وَتُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

## مَعَ الصَّدِيقِ

كَانَ سَعْدٌ بِجَانِبِ الصَّدِيقِ يُنْفِذُ رَأْيَهُ، وَيَدْعُمُهُ فِي  
الْمَوَاقِفِ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ، إِذْ كَانَتِ السِّيَاسَةُ الْعَامَّةُ أَنْ يَبْقَى  
كِبَارُ الصَّحَابَةِ فِي الْمَدِينَةِ حُمَاةَ لَهَا، وَسَنَدًا لِلْخَلِيفَةِ،  
وَلِيَكُونُوا قُدُوةً لِلنَّاشِئِينَ فِيهَا وَالْقَادِمِينَ إِلَيْهَا.

وَلَا يَخْرُجُ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةُ إِلَّا لِقِيَادَةِ الْجُيُوشِ فَقَدْ خَرَجَ  
أَبُو عُبَيْدَةَ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ،  
وَشُرْحُبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ إِلَى الشَّامِ أَمْرَاءَ وَخَرَجَ مَعَهُمْ مِنْ  
الصَّحَابَةِ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَمُعَاذُ بْنُ  
جَبَلٍ وَغَيْرُهُمْ. وَخَرَجَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى الْعِرَاقِ وَمَعَهُ عَدَدٌ  
أَيْضًا مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَلَكِنْ لَمْ تُنْفِذْ هَذِهِ السِّيَاسَةُ بِدَقَّةٍ أَيَّامَ الصَّدِيقِ لِأَنَّ  
الصَّحَابَةَ لَا يَزَالُونَ يُشَكِّلُونَ النِّسْبَةَ الْكَبِيرَةَ فِي أَعْدَادِ  
الْمُجَاهِدِينَ لِقُرْبِ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
وَلَمْ يَكُنْ كُلُّ أَتْنَائِهِمْ قَدْ بَلَغُوا بَعْدَ مَرَحَلَةِ الْجِهَادِ، كَمَا لَمْ تَكُنْ  
الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَدْ امْتَدَّتْ خَارِجَ حُدُودِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
لَيَرْفِدَهَا جُمُوعٌ جَدِيدَةٌ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ.

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَدْ بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ مَعَ مَنْ بَقِيَ

أَمْثَالِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَطَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا.

## مَعَ الْفَارُوقِ

تَوَسَّعَتِ الدَّوْلَةُ أَيَّامَ الْفَارُوقِ وَرَفَدَتْهَا عَنَاصِرُ جَدِيدَةٍ انْخَرَطَ أَبْنَاؤُهَا فِي صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ، وَوَفَدَتْ عَلَى الْمَدِينَةِ جُمُوعٌ غَرِيبَةٌ عَنْهَا وَهَذَا مَا اسْتَدْعَى الْعَمَلَ عَلَى تَنْفِيزِ سِيَاسَةِ إِبْقَاءِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ فِي قَاعِدَةِ الدَّوْلَةِ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى أَسَاتِذَةِ الْمَدْرَسَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي دَاخِلِ مَدِينَتِهِمْ لِتَلْقِينَ الْجِبِلِ النَّاشِئِ وَتَرْبِيَةِ الْعُنُصُرِ الْقَادِمِ عَلَى السُّلُوكِ الْإِسْلَامِيِّ بِأَخْذِهِ مِنْ أَخْذِهِ مِنْ تَبِعِهِ الْأَوَّلِ صَافِيًا عَذْبًا. غَيْرَ أَنَّ الْقِيَادَةَ الْعَامَّةَ لِلْجُيُوشِ تَحْتَاجُ إِلَى مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَدِينَةُ لِذَا فَقَدْ كَانَ الْخَلِيفَةُ الْفَارُوقُ يُعْطِي تِلْكَ الْقِيَادَةَ إِلَى أَوْلِيكَ الصَّحَابَةِ أَوْ إِلَى الَّذِينَ نَهَلُوا مِنْهُمْ وَتَمَيَّزُوا بِإِمْكَانَاتِهِمْ. كَمَا خَصَّ أَوْلِيكَ وَأَمْثَالَهُمْ بِإِدَارَةِ الْوِلَايَاتِ، فَقَدْ كَانَ لِلْسَّبْقِ فِي الْإِسْلَامِ وَشُهُودِ بَذَرٍ وَلِلْقُدْرَاتِ الْخَاصَّةِ مِيزَةً لِتُسَلِّمَ الْمَنَاصِبَ وَالْقِيَادَةَ وَالْإِدَارَةَ عِنْدَ الْفَارُوقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَعَنْ بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ.

لَمَّا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ نَبَأَ مَعْرَكَةِ الْجِسْرِ،  
وَمَقْتُلِ أَبِي عُبَيْدٍ، وَمَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا مِنْ مِخْنَةٍ،  
وَأَنْتِظَامِ شَمْلِ الْفُرْسِ، وَاجْتِمَاعِ أَمْرِهِمْ عَلَى يَزْدَجَرْدِ الَّذِي  
أَقَامُوهُ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ، وَنَقْضِ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِالْعِرَاقِ  
عُهُودَهُمْ، وَنَبْذِهِمُ الْمَوَاقِيقَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، وَإِذَاءِ  
الْمُسْلِمِينَ وَإِخْرَاجِ الْعُمَالِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ لِذَا أَخَذَ أَمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ يَحْثُ النَّاسَ وَيَحْرِضُهُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْعِرَاقِ .  
وَرَكِبَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ  
مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ فِي الْجُيُوشِ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَتَزَلَّ عَلَى  
مَاءٍ يُقَالُ لَهُ «صِرَارٌ» فَعَسَكَرَ بِهِ عَازِمًا عَلَى غَزْوِ الْعِرَاقِ  
بِنَفْسِهِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ،  
وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَسَادَاتِ الصَّحَابَةِ . ثُمَّ عَقَدَ  
مَجْلِسًا لِمَسْتَشَارَةِ الصَّحَابَةِ فِيمَا عَزَمَ عَلَيْهِ، وَتَوَدَّى : إِنَّ  
الصَّلَاةَ جَامِعَةً، وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيَّ عَلِيٌّ فَقَدِمَ مِنَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ  
اسْتَشَارَهُمْ فَوَافَقُوهُ جَمِيعًا عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الْعِرَاقِ إِلَّا  
عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ : إِنِّي أَخْشَى أَنْ كُسِرَتْ أَنْ  
يَضْعُفَ الْمُسْلِمُونَ فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ  
تَبْعَثَ رَجُلًا وَتَرْجِعَ أَنْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَرْفَأُ<sup>(١)</sup> عُمَرَ وَالنَّاسُ

(١) فارفا: فمال إلى .

عِنْدَ ذَلِكَ وَاسْتَصَوَّبُوا رَأْيَ ابْنِ عَوْفٍ . فَقَالَ عُمَرُ : فَمَنْ تَرَى أَنْ نَبْعَثَ إِلَى الْعِرَاقِ ؟ فَقَالَ : قَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : الْأَسَدُ فِي بَرَاثِنِهِ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الزُّهْرِيُّ .

فَاسْتَجَادَ قَوْلَهُ وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدٍ فَأَمَرَهُ عَلَى الْعِرَاقِ وَأَوْصَاهُ فَقَالَ : يَا سَعْدُ سَعْدُ بْنُ وَهَبٍ لَا يَغُرُّكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ قِيلَ : خَالَ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَاحِبُهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْحُو الْبُسْيَاءَ بِالْبُسْيَاءِ ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا بِطَاعَتِهِ ، فَالنَّاسُ شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ ، يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ ، وَيَذَرُكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ ، فَانْظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُنْذُ بُعِثَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فَارَقْنَا عَلَيْهِ فَالزَّمَهُ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ . هَذِهِ عِظَتِي إِيَّاكَ ، إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

وَلَمَّا أَرَادَ فِرَاقَهُ قَالَ لَهُ : إِنَّكَ سَتَقْدُمُ عَلَى أَمْرِ شَدِيدٍ ، فَالصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لَكَ خَشْيَةُ اللَّهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ ، وَإِنَّمَا طَاعَةٌ مَنْ أَطَاعَهُ بِبُغْضِ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَإِنَّمَا عِصْيَانُ مَنْ عَصَاهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ،



وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ لِإِشَاءٍ، مِنْهَا السِّرُّ وَمِنْهَا الْعَلَانِيَةُ؛  
فَأَمَّا الْعَلَانِيَةُ فَأَنَّ يَكُونَ حَامِدُهُ وَذَامُهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، وَأَمَّا  
السِّرُّ فَيُعْرَفُ بِظُهُورِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَبِمَحَبَّةِ  
النَّاسِ، وَمِنْ مَحَبَّةِ النَّاسِ . فَلَا تَزْهَدْ فِي التَّحَبُّبِ فَإِنَّ النَّبِيَّ  
قَدْ سَأَلُوا مَحَبَّتَهُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَبَهُ، وَإِذَا بَغَضَ  
عَبْدًا بَغْضَهُ فَاعْتَبِرْ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ .

سَارَ سَعْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نَحْوَ الْعِرَاقِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ،  
ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَلْفٌ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ،  
وَشَبِعَهُمْ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ صِرَارٍ إِلَى الْأَعْوَصِ (١)،  
وَقَامَ عُمَرُ فِي النَّاسِ هُنَالِكَ خَطِيبًا فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا ضَرَبَ  
لَكُمْ الْأُمَثَالَ، وَصَرَّفَ لَكُمْ الْقَوْلَ لِتَحْيَا الْقُلُوبُ فَإِنَّ الْقُلُوبَ  
مَيِّتَةٌ فِي صُدُورِهَا حَتَّى يُحْيِيهَا اللَّهُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَنْتَفِعْ بِهِ،  
وَأَنَّ لِلْعَدْلِ أَمَارَاتٌ وَتَبَاشِيرٌ، فَأَمَّا الْأَمَارَاتُ فَالْحَيَاءُ وَالسَّخَاءُ  
وَالْهَيْئُ وَاللَّيْنُ، وَأَمَّا التَّبَاشِيرُ فَالرَّحْمَةُ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ  
أَمْرٍ بَابًا، وَيَسِّرَ لِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا، فَبَابُ الْعَدْلِ الْإِعْتِبَارُ،  
وَمِفْتَاحُهُ الزُّهْدُ وَالْإِعْتِبَارُ ذِكْرُ الْمَوْتِ بِتَذَكُّرِ الْأَمْوَاتِ  
وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ بِتَقْدِيمِ الْأَعْمَالِ، وَالزُّهْدُ أَخَذَ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ

(١) الأعوص : موضع على خمسة كيلومترات من المدينة على طريق العراق .

أَحَدٍ قَبِيلِهِ حَقٌّ ، وَالْاِكْتِفَاءُ بِمَا يَكْفِيهِ مِنَ الْكَفَافِ ، فَإِنْ لَمْ يَكْفِهِ  
 الْكَفَافُ لَمْ يُغْنِهِ شَيْءٌ . إِنِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ ، وَلَيْسَ بَيْنِي  
 وَبَيْنَهُ أَحَدٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَلْزَمَنِي دَفْعَ الدُّعَاءِ عَنْهُ ، فَانْهَوْا  
 شِكَاتَكُمْ إِلَيْنَا ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِلَى مَنْ يُبَلِّغُنَاهَا نَأْخُذْ لَهُ الْحَقَّ  
 غَيْرَ مُتَعَتِعٍ .

سَارَ سَعْدُ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَرَجَعَ عُمَرُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ  
 الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَوَصَلَ سَعْدُ إِلَى نَهْرِ (زُرُودَ) وَلَمْ  
 يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْتَى بْنِ حَارِثَةَ إِلَّا الْيَسِيرُ ، غَيْرَ أَنَّ الْمُشْتَى قَدْ  
 تُوَفِّي إِذْ انْتَقَضَ عَلَيْهِ جُرْحُهُ ، وَمَاتَ مِنْ أَثَرِهِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى  
 الْجَيْشِ بَشِيرَ بْنِ الْخَصَاصِيَّةِ .

وَصَلَ سَعْدُ إِلَى مَكَانٍ تَجْمَعُ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَرَحَّمَ  
 عَلَى الْمُشْتَى ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَتَهُ سَلْمَى بِنْتَ خَصْفَةَ . وَبَدَأَ عُمَرُ  
 يُرْسِلُ إِلَيْهِ النُّجَدَاتِ حَتَّى اجْتَمَعَ لَدَيْهِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ،  
 كَمَا كَانَ يُرَاسِلُهُ وَيُوجِّهُهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ  
 رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيُّ ذُو الثَّوْرِ عَلَى الْقَضَاءِ إِضَافَةً إِلَى الْأَقْبَاصِ (مَا  
 يُقْبَضُ مِنَ الْغَنَائِمِ) وَقَسَمَ الْفَيْءَ ، وَأَنْ يَكُونَ سَلْمَانُ  
 الْفَارِسِيُّ دَاعِيَةَ النَّاسِ ، وَزِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْكَاتِبَ .  
 وَكَانَ فِي جَيْشِ سَعْدٍ ثَلَاثُمِائَةٌ وَبِضْعَةُ عَشَرَ صَحَابِيًّا ، مِنْهُمْ

بِضَعَةٍ وَسَبْعُونَ بَذْرِيًّا، وَكَانَ فِيهِ سَبْعُمِائَةٌ مِنْ أُنْبَاءِ  
الصَّحَابَةِ<sup>(١)</sup>.

وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ يَأْمُرُهُ بِالمُبَادَرَةِ إِلَى القَادِسِيَّةِ، وَكَانَ  
مِمَّا كَتَبَ لَهُ: أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ، وَأَنْ يَأْخُذَ الطَّرْقَ  
وَالْمَسَالِكَ عَلَى فَارِسَ، وَأَنْ يَيْدِرَهُمْ بِالضَّرْبِ وَالشَّدَّةِ، وَأَلَّا  
يَهُولَهُ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ وَعُدْدِهِمْ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَدَعَةُ مَكْرَةٍ، وَإِنْ  
أَنْتُمْ صَبَرْتُمْ وَأَحْسَنْتُمْ وَنَوَيْتُمْ الأَمَانَةَ - رَجَوْتُ أَنْ تُنْصَرُوا  
عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ شَمْلُهُمْ أَبَدًا - إِلَّا أَنْ يَجْتَمِعُوا وَلَيْسَتْ  
مَعَهُمْ قُلُوبُهُمْ. وَإِنْ كَانَتْ الأُخْرَى فَارْجِعُوا إِلَى مَا وَرَاءَكُمْ  
حَتَّى تَصِلُوا إِلَى الْحَجَرِ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا، وَإِنَّهُمْ عَنْهُ أَجَبُنْ  
وَبِهِ أَجْهَلُ، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ عَلَيْهِمْ وَيَرُدَّ لَكُمْ الكَرَّةَ.

وَأَمَرَ عُمَرُ سَعْدًا بِمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَمَوْعِظَةِ جَيْشِهِ، وَأَمَرَهُمْ  
بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ وَالصَّبْرِ، فَإِنَّ النُّصْرَ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ  
النِّيَّةِ، وَالْأَجْرَ عَلَى قَدْرِ الْحِسْبَةِ، وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَكَثِّرُوا  
مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. وَقَالَ لَهُ:  
اكْتُبْ إِلَيَّ بِجَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ وَتَفَاصِيلِهَا، وَكَيْفَ تَنْزِلُونَ؟  
وَأَيْنَ يَكُونُ مِنْكُمْ عَدُوُّكُمْ؟ وَاجْعَلْنِي بِكِتَابِكَ إِلَيَّ كَأَنِّي

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير.

أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَمْرِكُمْ عَلَى الْجَلِيَّةِ، وَخَفِ  
 اللَّهُ وَارْجُهُ وَلَا تُدِلْ بِشَيْءٍ. وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَوَكَّلَ لِهَذَا الْأَمْرِ  
 بِمَا لَا خُلْفَ لَهُ، فَاحْذَرْ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنْكَ وَيَسْتَبْدِلَ بِكُمْ  
 غَيْرَكُمْ.

فَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى عُمَرَ يَصِفُ إِلَيْهِ كَيْفِيَّةَ تِلْكَ الْمَنَازِلِ وَالْأَرَاضِي  
 بِحَيْثُ كَانَتْ يُشَاهِدُهَا، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ بِأَنَّ الْفُرْسَ قَدْ جَرَدُوا  
 لِحَرْبِهِ رُسْتَمَ وَأَمْثَالَهُ، فَهُمْ يَطْلُبُونَنَا وَنَحْنُ نَطْلُبُهُمْ، وَأَمْرُ اللَّهِ بَعْدُ  
 مَا ضَرَّ، وَقَضَاؤُهُ مُسَلَّمٌ، أَلَيْ مَا قَدَّرَ لَنَا وَعَلَيْنَا، فَتَسَالُ اللَّهُ خَيْرَ  
 الْقَضَاءِ وَخَيْرَ الْقَدَرِ فِي عَافِيَةٍ.

وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ: قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ وَفَهِمْتُهُ، فَإِذَا لَقِيتَ  
 عَدُوَّكَ، وَمَنْحَكَ اللَّهُ أَذْبَارَهُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ أَلْقَى فِي رَوْعِي أَنَّكُمْ  
 سَتَهْزِمُونَهُمْ فَلَا تَشْكُنْ فِي ذَلِكَ، فَإِذَا هَزَمْتَهُمْ فَلَا تَنْزِعْ عَنْهُمْ  
 حَتَّى تَقْتَحِمَ عَلَيْهِمُ الْمَدَائِنَ، فَإِنَّهُ خَرَابُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَجَعَلَ  
 عُمَرُ يَدْعُو لِسَعْدٍ خَاصَّةً وَلَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ عَامَةً.

وَسَارَ سَعْدٌ حَتَّى بَلَغَ الْعُذَيْبَ فَاعْتَرَضَ لِلْمُسْلِمِينَ جَيْشٌ  
 لِلْفُرْسِ مَعَ (شِيرَزَادَ بْنِ آرَازِيهِ) فَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِمَّا مَعَهُ  
 شَيْئًا كَثِيرًا، وَوَقَعَ مِنْهُمْ مَوْقَعًا كَبِيرًا، فَخَمَسَهَا سَعْدٌ وَقَسَّمَ  
 أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِهَا فِي النَّاسِ، وَاسْتَبَشَرَ النَّاسُ بِذَلِكَ وَفَرِحُوا،  
 وَنَفَّاءُوا، وَأَفْرَدَ سَعْدٌ سَرِيَّةً تَكُونُ حِيَاطَةً لِمَنْ مَعَهُمْ مِنْ

الْحَرِيمِ ، وَعَلَى هَذِهِ السَّرِيَّةِ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّثِيّ .  
الْقَادِسِيَّةُ :

ثُمَّ سَارَ سَعْدٌ فَتَزَلَ الْقَادِسِيَّةَ ، وَبَثَّ سَرَايَاهُ ، وَأَقَامَ بِهَا شَهْرًا  
لَمْ يَرَ أَحَدًا مِنَ الْفُرْسِ ، فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ ،  
وَالسَّرَايَا تَأْتِي بِالْمِيرَةِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَعَجَّتْ رَعَايَا الْفُرْسِ مِنْ  
أَطْرَافِ بِلَادِهِمْ إِلَى (يَزْدَجَرْدَ) مِنَ الَّذِينَ يَلْقَوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
مِنَ النَّهْبِ وَالسَّبْيِ . وَقَالُوا : إِنْ لَمْ تُنْجِدُونَا أُعْطَيْنَا مَا بِأَيْدِينَا  
إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَسَلَّمْنَا إِلَيْهِمْ الْحُصُونُ . وَاجْتَمَعَ رَأْيُ الْفُرْسِ  
عَلَى إِرْسَالِ (رُسْتَمَ) إِلَيْهِمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ (يَزْدَجَرْدُ) فَأَمَرَهُ عَلَى  
الْجَيْشِ فَاسْتَعْفَى (رُسْتَمُ) مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّ هَذَا لَيْسَ  
بِرَأْيٍ فِي الْحَرْبِ ، إِنَّ إِرْسَالَ الْجِيُوشِ بَعْدَ الْجِيُوشِ أَشَدُّ  
عَلَى الْعَرَبِ مِنْ أَنْ يَكْسِرُوا جَيْشًا كَيْفًا مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَأَبَى  
الْمَلِكُ إِلَّا ذَلِكَ ، فَتَجَهَّزَ (رُسْتَمُ) لِلْخُرُوجِ .

بَعَثَ سَعْدٌ كَاشِفًا إِلَى (الْحِيرَةِ) وَإِلَى (صَلُوبَا) ، فَأَتَاهُ  
الْخَبَرُ بِأَنَّ الْمَلِكَ قَدْ أَمَرَ عَلَى الْحَرْبِ (رُسْتَمَ) بَنَ الْفَرَخَزَادَ  
الْأَرْمَنِيَّ) وَأَمَدَّهُ بِالْعُسْكَرِ فَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى عُمَرَ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ  
إِلَيْهِ عُمَرُ : لَا يَكْرُبَنَّكَ مَا يَأْتِيكَ عَنْهُمْ ، وَلَا مَا يَأْتُونَكَ بِهِ ،  
وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ، وَابْعَثْ إِلَى (رُسْتَمَ) رِجَالًا مِنْ

أَهْلَ النَّظَرِ وَالرَّأْيِ وَالْجَلْدِ يَدْعُونَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ دُعَاءَهُمْ تَوْهِينًا لَهُمْ، وَفَلَجًا عَلَيْهِمْ، وَاکْتُبْ إِلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

وَلَمَّا اقْتَرَبَ رُسْتُمُ بِجُيُوشِهِ وَعَسْكَرِ بِ (سَابَاطَ) كَتَبَ سَعْدُ إِلَى عُمَرَ يَقُولُ: إِنَّ (رُسْتُمَ) قَدْ عَسَكَرَ بِ (سَابَاطَ) وَجَرَّ الْخُبُولَ وَالْفِيلَةَ وَزَحَفَ عَلَيْنَا بِهَا، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَهَمُّ عِنْدِي، وَلَا أَكْثَرَ ذِكْرًا مِنِّي لِمَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْاسْتِعَانَةِ وَالتَّوَكُّلِ .

وَعَبَّأَ رُسْتُمُ فَجَعَلَ عَلَى الْمُقَدَّمَةِ - وَهِيَ أَرْبَعُونَ أَلْفًا - الْجَالِثُوسَ، وَعَلَى الْمِئْمَنَةِ الْهُرْمَزَانُ، وَعَلَى الْمَيْسِرَةِ مِهْرَانُ بْنُ بَهْرَامٍ. وَذَلِكَ سِتُّونَ أَلْفًا، وَعَلَى السَّاقَةِ الْبَيْرَزَانُ فِي عِشْرِينَ أَلْفًا، فَالْجَيْشُ كُلُّهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، وَيَتَّبِعُهَا ثَمَانُونَ أَلْفًا. وَكَانَ مَعَ الْجَيْشِ ثَلَاثَةُ وَثَلَاثُونَ فَيْلًا، مِنْهَا فَيْلٌ أَبْيَضٌ كَانَ لـ (سَابُورَ)، فَهُوَ أَعْظَمُهَا وَأَقْدَمُهَا، وَكَانَتِ الْفِيلَةُ تَأْلِفُهُ .

ثُمَّ بَعَثَ سَعْدُ جَمَاعَةً مِنَ السَّادَاتِ مِنْهُمْ النُّعْمَانُ بْنُ مُقْرِنٍ، وَفَرَاتُ بْنُ حَيَّانَ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ التَّمِيمِيُّ، وَعَطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ، وَالْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَمْرُو بْنُ مَعْلِيٍّ كَرِبَ يَدْعُونَ رُسْتُمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ . فَقَالَ لَهُمْ رُسْتُمْ : مَا أَقْدَمَكُمْ ؟ فَقَالُوا : جِئْنَا لِمَوْعُودِ  
 اللَّهِ يَا نَا ، أَخَذَ بِلَادِكُمْ وَسَبَى نِسَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَأَخَذَ  
 أَمْوَالِكُمْ ، فَنَحْنُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ رَأَى رُسْتُمْ فِي  
 مَنَامِهِ كَأَنَّ مَلَكًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَخَتَمَ عَلَى سِلَاحِ الْفُرْسِ  
 كُلَّهُ ، وَدَفَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَفَعَهُ  
 رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى عُمَرَ .

وَيَبْدُو أَنَّ رُسْتُمْ طَاوَلَ سَعْدًا فِي اللَّقَاءِ حَتَّى كَانَ بَيْنَ  
 خُرُوجِهِ مِنَ الْمَدَائِنِ وَمُلْتَقَاهُ سَعْدًا بِالْقَادِسِيَّةِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ،  
 كُلُّ ذَلِكَ لَعَلَّهُ يَضْجِرُ سَعْدًا وَمَنْ مَعَهُ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْمَلِكَ  
 اسْتَعْجَلَهُ مَا التَّقَاهُ ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ غَلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ ،  
 وَنَصْرِهِمْ عَلَيْهِمْ ، لِمَا رَأَاهُ فِي مَنَامِهِ ، وَلِمَا يَتَوَسَّمُهُ ، وَلِمَا سَمِعَ  
 مِنْهُمْ ، وَلِمَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ الَّذِي يَعْتَقِدُ صِحَّتَهُ فِي  
 نَفْسِهِ ، لِمَا لَهُ مِنَ الْمُمَارَسَةِ لِهَذَا الْفَنِّ .

وَلَمَّا تَوَاجَهَ الْجَيْشَانِ بَعَثَ رُسْتُمْ إِلَى سَعْدٍ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ  
 بَرَجُلٍ عَاقِلٍ عَالِمٍ بِمَا أَسْأَلُهُ عَنْهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةَ بْنَ  
 شُعْبَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ جَعَلَ رُسْتُمْ يَقُولُ لَهُ :  
 إِنَّكُمْ جِيرَانُنَا وَكُنَّا نُحْسِنُ إِلَيْكُمْ وَنَكْفُ الْأَذَى عَنْكُمْ ، فَارْجِعُوا  
 إِلَى بِلَادِكُمْ وَلَا نَمْنَعُ تِجَارَتَكُمْ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِنَا . فَقَالَ

لَهُ الْمُغِيرَةُ: إِنَّا لَيْسَ طَلَبْنَا الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا هُمْنَا وَطَلَبْنَا الْآخِرَةَ،  
وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا قَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ سَلَطْتُ هَذِهِ الطَّائِفَةَ  
عَلَى مَنْ لَمْ يَدِنْ بِدِينِي، فَأَنَا مُنْتَقِمٌ بِهِمْ مِنْهُمْ، وَأَجْعَلُ لَهُمْ  
الْغَلَبَةَ مَا دَامُوا مُقِرِّينَ بِهِ. وَهُوَ دِينَ الْحَقِّ لَا يَرْغَبُ عَنْهُ أَحَدٌ  
إِلَّا ذَلًّا، وَلَا يَعْتَصِمُ بِهِ إِلَّا عِزًّا. فَقَالَ لَهُ رُسْتَمُ: فَمَا هُوَ؟  
فَقَالَ: أَمَا عَمُودُهُ الَّذِي لَا يَصْلُحُ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَّا بِهِ، فَشَهَادَةُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ  
عِنْدِ اللَّهِ. فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا! وَأَيُّ شَيْءٍ أَيْضًا؟ قَالَ:  
وإِخْرَاجُ النَّاسِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ. قَالَ:  
وَحَسَنٌ أَيْضًا، وَأَيُّ شَيْءٍ أَيْضًا؟ قَالَ: وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ  
وَحَوَاءَ، فَهُمْ إِخْوَةٌ لِأَبٍ وَأُمٍّ. قَالَ: وَحَسَنٌ أَيْضًا. ثُمَّ قَالَ  
رُسْتَمُ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلْنَا فِي دِينِكُمْ أَتَرْجِعُونَ عَنْ بِلَادِنَا؟ قَالَ:  
إِي وَاللَّهِ ثُمَّ لَا نَقْرَبُ بِلَادَكُمْ إِلَّا فِي تِجَارَةٍ أَوْ حَاجَةٍ. قَالَ:  
وَحَسَنٌ أَيْضًا. وَلَمَّا خَرَجَ الْمُغِيرَةُ مِنْ عِنْدِهِ ذَاكَرَ رُسْتَمُ رُؤْسَاءَ  
قَوْمِهِ فِي الْإِسْلَامِ فَأَنفَقُوا ذَلِكَ وَأَبَوْا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ، قَبَّحَهُمُ اللَّهُ  
وَأَخْزَاهُمْ وَقَدْ فَعَلَ.

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ سَعْدُ رَسُولًا آخَرَ - بِطَلْبِهِ - وَهُوَ رِبْعِيُّ بْنُ  
عَامِرٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَقَدْ زَيْنُوا مَجْلِسَهُ بِالنَّمَارِقِ الْمَذْهَبَةِ



وَالزَّرَابِيَّ وَالْحَرِيرَ، وَأَظْهَرَ الْبَوَاقِيَتَ وَاللَّيْلَى الثَّمِينَةَ،  
وَالزَّيْنَةَ الْعَظِيمَةَ، وَعَلَيْهِ تَاجُهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمْتَعَةِ الثَّمِينَةِ،  
وَقَدْ جَلَسَ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ. وَدَخَلَ رِبْعِيٌّ بِيْتَابٍ صَفِيقَةً  
وَسَيْفٍ وَتُرْسٍ، وَفَرَسٍ قَصِيرَةٍ، وَلَمْ يَزَلْ رَاكِبَهَا حَتَّى دَاسَ  
بِهَا عَلَى طَرَفِ الْبِسَاطِ، ثُمَّ نَزَلَ وَرَبَطَهَا بِبَعْضِ تِلْكَ  
الْوَسَائِدِ، وَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ سِلَاحُهُ وَدِرْعُهُ، وَبَيْضَتُهُ عَلَى رَأْسِهِ.  
فَقَالُوا لَهُ: ضَعْ سِلَاحَكَ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكُمْ فَأَضَعْ سِلَاحِي  
بِأَمْرِكُمْ، وَإِنَّمَا جِئْتُكُمْ حِينَ دَعَوْتُمُونِي، فَإِنْ تَرَكْتُمُونِي هَكَذَا  
وَالْأَرْجَعْتُ. فَقَالَ رُسْتُمُ: ائْذِنُوا لَهُ، فَأَقْبَلَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رِمْحِهِ  
فَوْقَ النَّمَارِقِ، فَخَرَقَ عَامَّتَهَا، فَقَالُوا لَهُ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟  
فَقَالَ: اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ  
اللَّهِ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى  
عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلْنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ  
قَبِلَ ذَلِكَ مِنَّا قَبَلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى  
نُقْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ. قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ  
لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالٍ مِنْ أَبِي، وَالظُّفْرُ لِمَنْ بَقِيَ. فَقَالَ رُسْتُمُ:  
قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تُؤَخَّرُوا هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى نَنْظُرَ  
فِيهِ وَتَنْظُرُوا؟ قَالَ: نَعَمْ! كَمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ؟ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ؟  
قَالَ: لَا، بَلْ حَتَّى تُكَاتِبَ أَهْلَ رَأْيِنَا وَرُؤُسَاءَ قَوْمِنَا. فَقَالَ:

مَا سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ نُؤَخَّرَ  
 الْأَعْدَاءَ عِنْدَ اللَّقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ، فَا نْظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ  
 وَاخْتَرْ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ بَعْدَ الْأَجْلِ، فَقَالَ: أَسَيِّدُهُمْ أَنْتَ؟  
 قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ يُجِيرُ أَدْنَاهُمْ  
 عَلَى أَعْلَاهُمْ. فَاجْتَمَعَ رُسْتُمُ بِرُؤَسَاءِ قَوْمِهِ فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتُمْ  
 قَطُّ أَعَزَّ وَأَرْجَحَ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ  
 نَمِيلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَتَدْعَ دِينَكَ إِلَى هَذَا الْكَلْبِ؛ أَمَا تَرَى  
 إِلَى ثِيَابِهِ؟ فَقَالَ: وَيَلَكُمْ لَا تَنْظُرُوا إِلَى الثِّيَابِ، وَانْظُرُوا إِلَى  
 الْكَلَامِ وَالرَّأْيِ وَالسَّيِّرَةِ. إِنَّ الْعَرَبَ يَسْتَخْفُونَ بِالثِّيَابِ  
 وَالْمَأْكَلِ وَيَصُوْنُونَ الْأَحْسَابَ.

ثُمَّ بَعَثُوا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي يَطْلُبُونَ رَجُلًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ  
 حَذِيفَةَ بْنَ مِخْصَنٍ فَتَكَلَّمَ نَحْوَمَا قَالَ رَبِيعِي. وَفِي الْيَوْمِ  
 الثَّلَاثِ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ حَسَنٍ طَوِيلٍ. قَالَ  
 فِيهِ رُسْتُمُ لِلْمُغِيرَةِ: إِنَّمَا مَثَلُكُمْ فِي دُخُولِ أَرْضِنَا كَمَثَلِ  
 الذُّبَابِ رَأَى الْعَسَلَ، فَقَالَ: مَنْ يُوصِلُنِي إِلَيْهِ وَلَهُ دِرْهَمَانِ؟  
 فَلَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِ غَرَقَ فِيهِ، فَجَعَلَ يَطْلُبُ الْخَلَاصَ فَلَا يَجِدُهُ،  
 وَجَعَلَ يَقُولُ: مَنْ يُخَلِّصُنِي وَلَهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ؟ وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ  
 ثَعْلَبٍ ضَعِيفٍ دَخَلَ حَجْرًا فِي كَرَمٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ صَاحِبُ الْكَرَمِ

ضَعِيفًا رَحِمَهُ فَتَرَكَهُ، فَلَمَّا سَمِنَ أَفْسَدَ شَيْئًا كَثِيرًا، فَجَاءَ بِجَيْشِهِ  
وَأَسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِغِلْمَانِهِ، فَذَهَبَ لِيَخْرُجَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِسِمْنِهِ  
فَضْرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ، فَهَكَذَا تَخْرُجُونَ مِنْ بِلَادِنَا. ثُمَّ اسْتَشْطَاطَ  
غَضَبًا، وَأَقْسَمَ بِالشَّمْسِ لَأَقْتُلَنَّكُمْ غَدًا. فَقَالَ الْمُغِيرَةُ:  
سَتَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رُسْتُمُ لِلْمُغِيرَةِ: قَدْ أَمَرْتُ لَكُمْ بِكَسْوَةٍ،  
وَلَا مِيرَكُمْ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَسْوَةٍ وَمَرْكُوبٍ وَتَنْصَرِفُونَ عَنَّا، فَقَالَ  
الْمُغِيرَةُ: أَبْعَدُ أَنْ أَوْهَنَّا مُلْكَكُمْ وَضَعَفْنَا عِزَّكُمْ، وَلَنَا مَدَّةٌ فِي  
بِلَادِكُمْ، وَنَأْخُذُ الْجِزْيَةَ مِنْكُمْ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ،  
وَسَتَصِيرُونَ لَنَا عَيْدًا عَلَى رَعْمِكُمْ؟ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ اسْتَشْطَاطَ  
غَضَبًا.

وَكَانَ سَعْدٌ قَدْ بَعَثَ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى كِسْرَى يَدْعُوْنَهُ  
إِلَى اللَّهِ، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَى كِسْرَى فَأَذِنَ لَهُمْ، وَخَرَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ  
يَنْظُرُونَ إِلَى أَشْكَالِهِمْ وَأَرْدِيَّتِهِمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَسَيَاطِحِهِمْ  
بَأَيْدِيهِمْ، وَالتَّعَالَى فِي أَرْجُلِهِمْ، وَخَبِطَهَا  
الْأَرْضَ بِأَرْجُلِهَا. وَجَعَلُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا غَايَةَ الْعَجَبِ؛ كَيْفَ  
مِثْلُ هَؤُلَاءِ يَقْهَرُونَ جُيُوشَهُمْ مَعَ كَثْرَةِ عَدْدِهَا وَعُدْدِهَا؟ وَلَمَّا  
اسْتَأْذَنُوا عَلَى الْمَلِكِ يَزْدَجِرْدَ أَذِنَ لَهُمْ وَأَجْلَسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ،  
وَكَانَ مُتَكَبِّرًا قَلِيلَ الْأَدَبِ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ مَلَابِسِهِمْ هَذِهِ

مَا اسْمُهَا؟ عَنِ الْأَرْدِيَةِ، وَالنَّعَالِ، وَالسَّيَاطِ، ثُمَّ كُلَّمَا قَالُوا لَهُ  
شَيْئًا عَنْ ذَلِكَ تَفَاءَلَ فَرَدَّ اللَّهُ قَالَهُ عَلَى رَأْسِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَا  
الَّذِي أَقْدَمَكُمْ هَذِهِ الْبِلَادَ؟ أَظَنَنْتُمْ أَنَّا لَمَّا تَشَاغَلْنَا بِأَنْفُسِنَا  
اجْتَرَأْتُمْ عَلَيْنَا؟ فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ: إِنَّ اللَّهَ رَحِمَنَا  
فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدُلُّنَا عَلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُنَا بِهِ، وَيُعَرِّفُنَا الشَّرَّ  
وَيَنْهَانَا عَنْهُ، وَوَعَدَنَا عَلَى إِجَابَتِهِ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَلَمْ  
يَذْغُ إِلَى ذَلِكَ قَبِيلَةٌ إِلَّا صَارُوا فِرْقَتَيْنِ؛ فِرْقَةٌ تُقَارِبُهُ وَفِرْقَةٌ  
تُبَاعِدُهُ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ فِي دِينِهِ إِلَّا الْخَوَاصُّ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ  
مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَنْهَدَ إِلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ  
الْعَرَبِ وَيَبْدَأَ بِهِمْ، فَفَعَلَ فَدَخَلُوا مَعَهُ جَمِيعًا عَلَى وَجْهَيْنِ:  
مَكْرُوهٌ عَلَيْهِ فَاغْتَبَطَ، وَطَائِعٌ إِيَّاهُ فَازْدَادَ، فَعَرَفْنَا جَمِيعًا فَضْلَ  
مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالضُّيْقِ، وَأَمَرْنَا أَنْ  
نَبْدَأَ بِمَنْ يَلِينَا مِنَ الْأُمَمِ فَندْعُوهُمْ إِلَى الْإِئْتِصَافِ، فَنَحْنُ  
ندْعُوكُمْ إِلَى دِينِنَا - وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ - دِينَ حَسَنَ الْحَسَنِ  
وَقَبَحَ الْقَبِيحِ كُلِّهِ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَأَمْرٌ مِنَ الشَّرِّ هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرِّ  
مِنْهُ الْجَزَاءُ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْمُنَاجَزَةُ، وَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى دِينِنَا خَلَفْنَا  
فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَمْنَاكُمْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ،  
وَتَرْجِعَ عَنْكُمْ، وَشَأْنُكُمْ وَبِلَادُكُمْ. وَإِنْ أَتَيْتُمُونَا بِالْجَزَاءِ قَبْلَنَا  
وَمَنْعْنَاكُمْ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ.

فَتَكَلَّمَ يَزْدَجِرْدُ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أُمَّةً كَانَتْ  
 أَشَقَى وَلَا أَقْلَ عَدَدًا وَلَا أَسْوَأَ ذَاتَ بَيْنٍ مِنْكُمْ، قَدْ كُنَّا نُوَكِّلُ  
 بِكُمْ قُرَى الضَّوَا حِي لِيَكْفُونَنَا إِيَّاكُمْ، لَا تَغْزُونَ فَارِسَ وَلَا  
 تَطْمَعُونَ أَنْ تَقُومُوا لَهُمْ. فَإِنْ كَانَ عَدَدُكُمْ كَثْرًا فَلَا يَغْرُنْكُمْ مِنَّا،  
 وَإِنْ كَانَ الْجَهْدُ دَعَاكُمْ فَرَضْنَا لَكُمْ قُوًى إِلَى خَصْبِكُمْ وَأَكْرَمْنَا  
 وَجُوهَكُمْ وَكَسَوْنَاكُمْ، وَمَلَكْنَا عَلَيْكُمْ مَلِكًا يَرْفِقُ بِكُمْ.

فَقَامَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ هَؤُلَاءِ  
 رُؤُوسُ الْعَرَبِ وَوُجُوهُهُمْ، وَهُمْ أَشْرَافُ يَسْتَحْيُونَ مِنَ  
 الْأَشْرَافِ، وَإِنَّمَا يُكْرِمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ، وَيُعَظِّمُ حُقُوقَ  
 الْأَشْرَافِ الْأَشْرَافُ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسَلُوا بِهِ جَمْعُوهُ لَكَ، وَلَا  
 كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَلَا يَحْسُنُ  
 بِمِثْلِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ، فَجَاوِبْنِي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَبْلُغُكَ وَيَشْهَدُونَ  
 عَلَى ذَلِكَ. إِنَّكَ وَصَفْتَنَا صِفَةً لَمْ تَكُنْ بِهَا عَالِمًا، فَأَمَّا مَا  
 ذَكَرْتَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ فَمَا كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنَّا، وَأَمَّا جُوعُنَا فَلَمْ  
 يَكُنْ يُشْبِهُ الْجُوعَ، كُنَّا نَأْكُلُ الْخَنَافِسَ وَالْجُعْلَانَ وَالْعَقَارِبَ  
 وَالْحَيَّاتِ، وَنَرَى ذَلِكَ طَعَامَنَا. وَأَمَّا الْمَنَازِلُ فَهِيَ ظَهْرُ  
 الْأَرْضِ، وَلَا نَلْبِسُ إِلَّا مَا غَزَلْنَا مِنْ أَوْبَارِ الْإِبِلِ وَأَشْعَارِ  
 الْغَنَمِ. دِينُنَا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَأَنْ يَتَغَيَّرَ بَعْضُنَا عَلَى

يَغْضُرُ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَذْفِنَ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ كَرَاهِيَةً أَنْ تَأْكُلَ مِنْ طَعَامِهِ . وَكَأَنْتَ حَالَتُنَا قَبْلَ الْيَوْمِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَجُلًا مَعْرُوفًا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَنَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَوْلَدَهُ ، فَأَرَضَهُ خَيْرَ أَرْضَيْنَا ، وَحَسَبَهُ خَيْرَ أَحْسَابِنَا ، وَبَيْتَهُ أَعْظَمُ بُيُوتِنَا ، وَقَبِيلَتُهُ خَيْرُ قَبَائِلِنَا ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرِنَا فِي الْحَالِ الَّتِي كَانَ فِيهَا أَصْدَقْنَا وَأَحْلَمْنَا ، فَدَعَانَا إِلَى أَمْرِ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ . أَوَّلُ يَرْبٍ كَانَ لَهُ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ وَقُلْنَا ، وَصَدَّقَ وَكَذَّبْنَا ، وَزَادَ وَنَقَصْنَا ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا إِلَّا كَانَ ، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا التَّصْديقَ لَهُ وَاتِّبَاعَهُ ، فَصَارَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَمَا قَالَ لَنَا فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ ، وَمَا أَمَرَنَا فَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ ، فَقَالَ لَنَا : إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ : إِنِّي أَنَا اللَّهُ وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي ، كُنْتُ إِذْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهِي ، وَأَنَا خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَإِلَيَّ يَصِيرُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَإِنْ رَحِمْتَنِي أَذَرَكْتُكُمْ فَبَعَثْتُ إِلَيْكُمْ هَذَا الرَّجُلَ لِأَدُلَّكُمْ عَلَى السَّبِيلِ الَّتِي أَنْجِيَكُمْ بِهَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ عَذَابِي ، وَلِأَحْلِلْكُمْ دَارِي دَارَ السَّلَامِ . فَتَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ ، وَقَالَ : مَنْ تَابِعَكُمْ عَلَى هَذَا فَلَهُ مَا لَكُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْكُمْ ، وَمَنْ أَبَى فَأَعْرِضُوا عَلَيْهِ الْجَزِيَّةَ ، ثُمَّ أَمْنَعُوهُ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ ، وَمَنْ أَبَى فَقَاتِلُوهُ فَأَنَا الْحَكَمُ بَيْنَكُمْ ، فَمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ أَدْخَلْتُهُ جَنَّتِي ، وَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَعْقَبْتُهُ

النَّصْرَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ. فَاخْتَرْنَا شِئْتَ الْجِزْيَةِ وَأَتَتْ صَاغِرٌ،  
وَإِنْ شِئْتَ فَالْسَيْفُ، أَوْ تُسَلِّمُ فَتُنْجِي نَفْسَكَ.

فَقَالَ يَزْدَجِرْدُ: أَتَسْتَقْبِلُنِي بِمِثْلِ هَذَا؟ فَقَالَ: مَا اسْتَقْبَلْتُ  
إِلَّا مَنْ كَلَّمَنِي، وَلَوْ كَلَّمَنِي غَيْرُكَ لَمْ أَسْتَقْبَلْكَ بِهِ. فَقَالَ: لَوْلَا  
أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكُمْ، وَلَا شَيْءَ لَكُمْ عِنْدِي. وَقَالَ:  
اثْنُونِ بِي قِرْمِزٍ مِنْ تُرَابٍ فَاحْمِلُوهُ عَلَى أَشْرَفِ هَؤُلَاءِ، ثُمَّ سَوْقُوهُ  
حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ أَبْيَاتِ الْمَدَائِنِ. ارْجِعُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ  
فَاعْلِمُوهُ إِنِّي مُرْسِلٌ إِلَيْهِ رُسُومٌ حَتَّى يَدْفِنَهُ وَجُنْدُهُ فِي خَنْدَقِ  
الْقَادِسِيَّةِ، وَيُنْكَلَ بِهِ وَبِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ أَوْرِدْهُ بِلَادَكُمْ حَتَّى  
أَشْغَلَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ بِأَشَدِّ مِمَّا نَالَكُمْ مِنْ (سَابُور).

ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَشْرَفَكُمْ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ  
عَمْرِو - وَافْتَأَتْ لِيَاخُذَ التُّرَابَ - أَنَا أَشْرَفُهُمْ، أَنَا سَيِّدُ هَؤُلَاءِ  
فَحَمَلْنِيهِ، فَقَالَ: أَكْذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ  
فَخَرَجَ بِهِ مِنَ الْإِيوَانِ وَالِدَارِ حَتَّى أَتَى رَاحِلَتَهُ فَحَمَلَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ  
انْجَذَبَ فِي السَّيْرِ لِيَأْتِيَهُ بِهِ سَعْدًا، وَسَبَقَ عَاصِمُ الْقَوْمَ فَمَرَّ  
بِبَابِ قُدَيْسٍ فَطَوَاهُ وَقَالَ: بَشِّرُوا الْأَمِيرَ بِالظَّفَرِ، ظَفَرْنَا إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ مَضَى حَتَّى جَعَلَ التُّرَابَ فِي الْحَجَرِ ثُمَّ  
رَجَعَ فَلَخَلَ عَلَى سَعْدٍ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ. فَقَالَ: أَبَشِّرُوا فَقَدْ وَاللَّهِ

أَعْطَانَا اللَّهُ مَقَالِيدَ مُلْكِهِمْ، وَتَفَاءَلُوا بِذَلِكَ أَخَذَ بِلَادِهِمْ.

وَلَمَّا رَجَعَ رُسْتُمُ إِلَى الْمَلِكِ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِ مَنْ رَأَى مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ، ذَكَرَ لَهُ عَقْلَهُمْ وَفَصَاحَتَهُمْ وَجِدَّةَ جَوَابِهِمْ، وَأَنَّهُمْ  
يَرْمُونَ أَمْرًا يُوشِكُ أَنْ يُذْرِكُوهُ. وَذَكَرَ مَا أَمَرَ بِهِ أَشْرَفُهُمْ مِنْ  
حَمْلِ الثَّرَابِ، وَأَنَّهُ اسْتَحَمَقَ أَشْرَفُهُمْ فِي حَمْلِهِ الثَّرَابَ  
عَلَى رَأْسِهِ، وَلَوْ شَاءَ اتَّقَى بَغْيِهِ وَأَنَا لَا أَشْعُرُ. فَقَالَ لَهُ رُسْتُمُ:  
إِنَّهُ لَيْسَ أَحَقُّ، وَلَيْسَ هُوَ بِأَشْرَفِهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَلِي  
قَوْمَهُ بِنَفْسِهِ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ ذَهَبُوا بِمِفَاتِيحِ أَرْضِنَا، وَكَانَ رُسْتُمُ  
مُنْجَمًا. ثُمَّ أَرْسَلَ رَجُلًا وَرَاءَهُمْ وَقَالَ: إِنْ أَذْرَكَ الثَّرَابَ فَرَدَّهُ  
تَذَارِكُنَا أَمْرَنَا، وَإِنْ ذَهَبُوا بِهِ إِلَى أَمِيرِهِمْ غَلَبُونَا عَلَى أَرْضِنَا.  
فَسَاقَ وَرَاءَهُمْ فَلَمْ يُذْرِكْهُمْ، بَلْ سَبَقُوهُ إِلَى سَعْدِ الثَّرَابِ.  
وَسَاءَ ذَلِكَ فَارِسُ، وَغَضِبُوا مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْغَضَبِ،  
وَاسْتَهْجَنُوا رَأْيَ الْمَلِكِ.

المَعْرَكَةُ:

لَمَّا طَلَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ مِنْ رُسْتُمَ وَمَنْ مَعَهُ دَفَعَ الْجَزِيَّةَ  
بَعْدَ أَنْ أَبَوْا الْإِسْلَامَ نَحَرُوا وَصَاحُوا وَقَالُوا: لَا صَلَاحَ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَكُمْ. فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: تَعْبُرُونَ إِلَيْنَا أَوْ نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ؟ فَقَالَ



رُسْتُمْ بَلْ نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ . فَاسْتَخَرِ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى عَبَرُوا فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ .

وَكَانَ سَعْدٌ قَدْ صَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ ، ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ فَوَعظَهُمْ وَحَثَّهُمْ ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ آيَاتِ الْجِهَادِ وَسُورِهِ ، ثُمَّ كَبَّرَ سَعْدٌ أَرْبَعًا ، ثُمَّ حَمَلُوا بَعْدَ الرَّابِعَةِ فَاقْتَتَلُوا حَتَّى كَانَ اللَّيْلُ فَتَحَاجَزُوا .

وَكَانَ سَعْدٌ قَدْ أَصَابَهُ عِرْقُ النَّسَاءِ ، وَدَمَائِلٌ فِي جَسَدِهِ ، فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ الرُّكُوبَ ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي قَصْرِ مُتَكِيٍّ عَلَى صَدْرِهِ فَوْقَ وَسَادَةٍ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْجَيْشِ وَيُدَبِّرُ أَمْرَهُ ، وَقَدْ جَعَلَ أَمْرَ الْحَرْبِ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَرْفَطَةَ ، وَجَعَلَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبُجَلِيِّ ، وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ قَيْسَ بْنَ مَكْشُوحٍ .

حَمَلَ أَصْحَابُ الْفِيلَةِ مِنَ الْفُرْسِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَفَرَّقُوا الْكَتَائِبَ ، وَأُصِيبَتِ الْخُيُولُ بِالدُّعْرِ فَفَرَّتْ ، وَصَمَدُ الْمَشَاءِ ، وَفَزِعَتِ امْرَأَةُ سَعْدٍ وَهِيَ سَلَمَى بِنْتُ خَصْفَةَ وَذَلِكَ عِنْدَمَا فَرَّتِ الْخَيْلُ ، وَقَالَتْ : وَامُثْنِيَاهُ وَلَا مُثْنَى لِي الْيَوْمَ ، فَعُضِبَ سَعْدٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَطَمَ وَجْهَهَا ، فَقَالَتْ : أَغِيرَةٌ وَجُبْنًا ؟

وَكَانَ فِي قَصْرِ سَعْدٍ رَجُلٌ مَسْجُونٌ عَلَى الشَّرَابِ كَانَ قَدْ حُدِّ

فِيهِ مَرَاتٍ مُتَعَدَّةٌ، فَأَمَرَ بِهِ سَعْدٌ فَقِيدَ وَأَوْدَعَ فِي الْقَصْرِ، فَلَمَّا  
رَأَى الْخَيْلَ تَجُولُ حَوْلَ حِمَى الْقَصْرِ، وَكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ  
الْأَبْطَالِ قَالَ:

كَفَى حَزْناً أَنْ تُدَحِّمَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا  
وَأَتَرَكَ مَشْدُوداً عَلَيَّ وَثَاقِيَا  
إِذَا قُمْتُ عَنَانِي الْحَدِيدُ وَعُلِّقْتُ  
مَصَارِيْعُ مِنْ دُونِي تَصُمُّ الْمُنَادِيَا  
وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ  
وَقَدْ تَرَكُونِي مُفْرِداً لَا أَخَالِيَا

ثُمَّ سَأَلَ مِنْ (زَبْرَاءَ) أُمَّ سَعْدٍ أَنْ تُطْلِقَهُ وَتُعِيرَهُ فَرَسَ سَعْدٍ،  
وَحَلَفَ لَهَا أَنْ يَرْجِعَ آخِرَ النَّهَارِ فَيَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْقَيْدِ،  
فَأُطْلِقَتْهُ، وَرَكِبَ فَرَسَ سَعْدٍ وَخَرَجَ فَقَاتَلَ قِتَالاً شَدِيداً، وَجَعَلَ  
سَعْدٌ يَنْظُرُ إِلَى فَرَسِهِ فَيَعْرِفُهَا وَيُنْكِرُهَا، وَيُشَبِّهُهُ بِأَبِي مُحَجَّنٍ  
الْثَّقَفِيِّ وَلَكِنْ يَشْكُ لِظَنِّهِ أَنَّهُ فِي الْقَصْرِ مُوثِقٌ. فَلَمَّا كَانَ آخِرُ  
النَّهَارِ رَجَعَ فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْقَيْدِ، وَنَزَلَ سَعْدٌ فَوَجَدَ فَرَسَهُ  
يَغْرَقُ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَذَكَرُوا لَهُ قِصَّةَ أَبِي مُحَجَّنٍ، فَرَضِيَ  
عَنْهُ، وَأُطْلِقَهُ، وَقَدْ تَابَ وَأَقْلَعَ عَنْ شَرَابِهِ.

وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تُقَاتِلُ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ  
 وَسَعَدُ بِبَابِ الْقَادِسِيَّةِ مُعْصَمُ  
 فَأَبْنَا وَقَدْ آمَتِ نِسَاءُ كَثِيرَةٌ  
 وَنِسْوَةٌ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيْمُ  
 فَيَقَالُ: إِنَّ سَعْدًا نَزَلَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ مِمَّا فِيهِ مِنَ  
 الْقُرُوحِ فِي فَخِذَيْهِ وَإِلَيْتِيهِ فَعَذَرَهُ النَّاسُ. وَيُذَكَّرُ أَنَّهُ دَعَا عَلَى  
 قَائِلِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا، أَوْ قَالَ  
 الَّذِي قَالَ رِيَاءً وَسُمْعَةً وَكَذِبًا فَاقْطَعْ لِسَانَهُ وَيَدَهُ. فَجَاءَهُ سَهْمٌ  
 وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَوَقَعَ فِي لِسَانِهِ فَبَطَلَ شِقُّهُ فَلَمْ  
 يَتَكَلَّمْ حَتَّى مَاتَ.

وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ:

أَنَا جَرِيرٌ كُنْتِي أَبُو عَمْرٍو  
 قَدْ فَتَحَ اللَّهُ وَسَعْدُ فِي الْقَصْرِ

فَأَشْرَفَ سَعْدُ مِنْ قَصْرِهِ وَقَالَ:

وَمَا أَرْجُو بَجِيلَةَ غَيْرَ أُنِّي  
 أَوْمَلُ أَجْرَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ  
 فَقَدْ لَقِيتُ خِيُولَهُمْ خِيُولًا  
 وَقَدْ وَقَعَ الْفَوَارِسُ فِي الضَّرَابِ

وَقَدْ دَلَفْتُ بِعَرَصَتِهِمْ خِيُولَ  
كَأَنَّ زُهَاءَهَا لِإِبْلِ الْجِرَابِ  
فَلَوْلَا جَمْعُ قَفْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو  
وَحَمَالِ لَلْجُؤِ فِي الرُّكَابِ  
وَلَوْلَا ذَاكَ أَلْفَيْتُمْ رِعَاعًا  
نَسِيلُ جُمُوعِكُمْ مِثْلُ الذُّبَابِ

وَكَانَ الْيَوْمُ الْأَوَّلُ مِنْ مَعْرَكَةِ الْقَادِسيَّةِ وَيُعْرَفُ بِيَوْمِ  
(أَرْمَاتِ) قَاسِيًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَدِيدَ الْوَطْأَةِ عَلَيْهِمْ، وَكَادَتْ  
تَفْنَى (بَجِيلَةً)، وَصَرَخَ سَعْدٌ فِي قَبِيلَةِ (أَسَدٍ) لِتَدْعَمَ (بَجِيلَةً)  
فَحَمَلَ طَلِيحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ، وَحَمَالُ بْنُ مَالِكٍ، وَالرُّبَيْلُ بْنُ  
عَمْرٍو، وَغَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي كَتَائِبِهِمْ وَصَدُّوا الْفُرْسَ، غَيْرَ  
أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ تَعَرَّضُوا لِهُجُومٍ عَنِيفٍ مِنْ قِبَلِ أَعْدَائِهِمْ  
الَّذِينَ رَأَوْا أَنَّ فِيلَتَهُمْ لَمْ تَعُدْ تُغْنِي عَنْهُمْ، فَصَرَخَ سَعْدٌ فِي بَنِي  
تَمِيمٍ بَعْدَ أَنْ رَأَى هُجُومَ الْفِيلَةِ عَلَى الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ فَكَانَتْ  
الْخِيُولُ تُحْجِمُ عَنْهَا وَتَحِيدُ، وَأَرْسَلَ سَعْدٌ إِلَى عَاصِمِ بْنِ  
عَمْرٍو، وَقَالَ لَهُ: يَا مَعْشَرَ بَنِي تَمِيمٍ، أَلَسْتُمْ أَصْحَابَ الْإِبِلِ  
وَالْخَيْلِ! أَمَا عِنْدَكُمْ لِهَذِهِ الْفِيلَةِ مِنْ حِيلَةٍ فَقَالُوا لَهُ: بَلَى  
وَاللَّهِ؛ فَنَادَى عَاصِمٌ فِي رِجَالِ مِنْ قَوْمِهِ رُمَاةً وَآخَرِينَ لَهُمْ

ثَقَافَةٌ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا مَعْشَرَ الرُّمَّةِ ذُبُوا رُكْبَانَ الْفِيلَةِ عَنْهُمْ  
بِالنَّبْلِ ، وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الثَّقَافَةِ اسْتَذْبِرُوا الْفِيلَةَ فَقَطَّعُوا  
وُضْنَهَا ، وَخَرَجَ يَحْمِيهِمْ وَالرَّحَى تَدُورُ عَلَى أَسَدٍ ، وَنَشِطَتْ  
تَمِيمٌ فِي الْقِتَالِ ، وَنَفَذَتْ رَأْيَ عَاصِمٍ ، فَردَّتْ فَارِسَ إِلَى  
مَوَاقِعِهَا ، وَاسْتَمَرَ الْقِتَالُ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتْ هَذَأَةٌ مِنْ  
اللَّيْلِ ، وَتَوَقَّفَ الْفَرِيقَانِ . وَأَمَرَ سَعْدٌ بِنَقْلِ الْجَرْحَى  
وَالشُّهَدَاءِ إِلَى (العُدَيْبِ) ، فَدُفِنَ الشُّهَدَاءُ ، وَقَامَتِ النِّسَاءُ  
بِتَمْرِ يَصُ الْجَرْحَى .

وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الثَّانِي ، وَيُعْرَفُ بِيَوْمِ (أَغَوَاثَ) وَصَلَتْ  
إِلَى مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ طَلَائِعُ جُنْدِ الشَّامِ الَّذِينَ سَبَقَ لَهُمْ أَنْ  
انْطَلَقُوا مِنَ الْعِرَاقِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لِدَعْمِ جُنْدِ الشَّامِ فِي  
الْيَرْمُوكِ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالشَّامِ ، طَلَبَ أَمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الْعِرَاقِ بِإِمْرَةِ  
هَاشِمِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، ابْنِ أَخِي سَعْدٍ ، وَهُمْ  
يَوْمَئِذٍ سِتَّةُ آلَافٍ ، خَمْسَةُ آلَافٍ مِنْ رِبِيعَةٍ وَمُضَرٍ وَأَلْفٌ مِنْ  
أَفْنَاءِ الْيَمَنِ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَكَانَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو  
التَّمِيمِيِّ عَلَى الْمَقْدَمَةِ فَأَسْرَعَ الْقَعْقَاعُ وَوَصَلَ يَوْمَ أَغَوَاثَ مَعَ  
الصَّبَاحِ . كَانَتْ الطَّلِيعَةُ مَعَ الْقَعْقَاعِ أَلْفَ رَجُلٍ فَقَسَّمَهَا

أَعْشَارًا، وَأَمَرَ أَنْ تَنْطَلِقَ كُلُّ عَشْرَةٍ لِأَثَرِ أُخْتِهَا كُلَّمَا بَلَغَتْ مَدَى  
 الْبَصَرِ. وَانْطَلَقَ هُوَ عَلَى رَأْسِ الْمَجْمُوعَةِ الْأُولَى، وَدَخَلَ  
 الْمَعْرَكَةَ، وَطَلَبَ الْمُبَارَزَةَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ذُو الْحَاجِبِ بِهِمْ  
 جَادَوِيهِ، فَقَتَلَهُ الْقَعْقَاعُ. وَدَعَا إِلَى الْمُبَارَزَةِ ثَانِيَةً فَخَرَجَ إِلَيْهِ  
 رَجُلَانِ هُمَا: الْبِيرَزَانُ وَالْبِنْدَوَانُ، فَانْضَمَّ إِلَى الْقَعْقَاعِ  
 ظَبْيَانُ بْنُ الْحَارِثِ، وَقَتَلَ كُلُّ مِنْهُمَا خَصْمَهُ الْفَارِسِيَّ، وَتَنَشَّطَ  
 النَّاسُ بِمَضْرَعِ أَبْطَالِ خُصُومِهِمْ، وَبِقُدُومِ جَمَاعَاتِ  
 الْقَعْقَاعِ جَمَاعَةً لِأَثَرِ جَمَاعَةٍ. وَكَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي شَدِيدًا عَلَى  
 الْفُرْسِ وَبِخَاصَّةٍ أَتَّهُمْ قَدْ قَاتَلُوا مِنْ غَيْرِ فِيلَةٍ إِذْ تَكَسَّرَتْ  
 هَوَاجُجُهَا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ. وَاسْتَمَرَّ الْقِتَالُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي  
 حَتَّى انْقَضَى شَطْرٌ مِنَ اللَّيْلِ وَسَكَنَ النَّاسُ وَعُرِفَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ  
 بِالسَّوَادِ، عَلَى حِينِ عُرِفَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي سَبَقَتْهَا بِالْهَدَاةِ.

وَكَانَتْ صَبِيحَةُ الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَهُوَ يَوْمَ عَمَوَاسَ،  
 فَاصْطَفَى النَّاسُ، وَكَانَ قَدْ أَصْلَحَ الْفُرسُ هَوَاجِجَ فِيلَتِهِمْ،  
 وَوَصَلَ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ بِمَنْ مَعَهُ فَقَسَّمَهُمْ جَمَاعَاتٍ كُلُّ جَمَاعَةٍ  
 تَضُمُّ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ الْقَعْقَاعُ مِنْ قَبْلُ وَقَدْ أُخْبِرَ  
 بِالَّذِي كَانَ فَاسْتَحْسَنَهُ فَصَنَعَهُ. وَكَانَ يَوْمَ عَمَوَاسَ شَدِيدًا عَلَى  
 الْفَرِيقَيْنِ فِي أَوَّلِهِ، وَفَعَلَتِ الْفِيلَةُ فِعْلَهَا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ.

فَسَأَلَ سَعْدُ الْفُرْسَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا: أَلَيْسَ لِلْفِيلَةِ مَقَاتِلٌ؟  
فَقَالُوا: نَعَمْ، عِيُونُهَا وَمَشَافِرُهَا. فَدَعَا عَاصِمًا وَأَخَاهُ الْقَعْقَاعَ  
مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَقَالَ لَهُمَا: اكْفِيَانِي الْفِيلَ الْأَبْيَضَ، وَدَعَا  
حَمَالَ بْنَ مَالِكٍ وَالرَّبِيعَ بْنَ عَمْرِو الْأَسَدِيِّينَ، وَقَالَ لَهُمَا:  
اكْفِيَانِي الْفِيلَ الْأَجْرَبَ، وَدَلَّ كِلَا الْجَانِبَيْنِ عَلَى مَقَاتِلِ  
الْفِيلَةِ، وَتَمَكَّنَ كُلُّ جَانِبٍ مِنْ فَوْءِ عَيْنِي الْفِيلِ الَّذِي خُصِّصَ لَهُ  
فَكَانَ لِلْفِيلِ صِيَاحُ الْخَنْزِيرِ، وَلَوَّى الْأَجْرَبُ، وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ  
فِي نُهَيْرِ الْعَتِيقِ وَتَبِعَتْهُ الْفِيلَةُ الْأُخْرَى، وَقُتِلَ الْفِيلُ الْأَبْيَضُ،  
وَانْكَشَفَتْ صُفُوفُ الْفُرْسِ، وَاسْتَمَرَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ  
حَتَّى اللَّيْلِ، وَعُرِفَتِ اللَّيْلَةُ بِالْهَرِيرِ، وَقَدْ عَادَ الْقِتَالُ فِيهَا بَعْدَ  
أَنْ صَلَّى الْمُسْلِمُونَ الْعِشَاءَ وَبَقِيَ الْقِتَالُ حَتَّى الْفَجْرِ.

وَكَانَ النَّصْرُ لِمَنْ يَتَحَمَّلُ وَيَصْبِرُ حَيْثُ بَدَأَ التَّعَبُ وَاضِحًا  
عَلَى الْفَرِيقَيْنِ إِذْ لَمْ يَنْمَ أَحَدٌ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ فَنَادَى الْقَعْقَاعُ  
بِالْمُسْلِمِينَ وَحَثَّ عَلَى الصَّبْرِ، وَنَادَى أَمْرَاءُ الْقَبَائِلِ  
بِرِجَالِهِمْ. وَمَا كَانَتْ الظُّهَيْرَةُ حَتَّى تَرَجَعَ الْهُرْمَزَانُ وَالْبِيرُزَانُ  
فِي الْقَلْبِ، وَهَبَّتْ رِيحٌ عَاصِفٌ مِنَ الدُّبُورِ فَأَقْتَلَعَتْ خِيَمَةَ  
رُسْتَمَ وَأَلْقَتْ بِهَا فِي (الْعَتِيقِ)، فَاسْتَظَلَ بِبِغَالٍ مُحَمَّلَةٍ كَانَتْ  
وَاقِفَةً عِنْدَهُ وَقَدْ قَدِمَتْ تَحْمِلُ إِلَيْهِ الْأَمْوَالَ، وَوَصَلَ الْقَعْقَاعُ

وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مَقَرِّ رُسْتَمَ ، وَضَرَبَ هِلَالُ بْنُ عَلْفَةَ الْجَمَلَ الَّذِي  
تَحْتَهُ رُسْتَمَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ بِهِ ، فَهَرَبَ رُسْتَمُ نَحْوَ الْعَتِيقِ فَرَمَى  
بِنَفْسِهِ فِيهِ وَأَخَذَ يَعمُومُ وَأَسْرَعَ وَرَاءَهُ هِلَالُ فَأَخَذَ بِرِجْلِهِ وَجَرَّهُ  
إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ وَقَتْلَهُ وَرَمَى بِهِ بَيْنَ الْبِغَالِ ، وَصَعِدَ سَرِيرَ  
رُسْتَمَ وَنَادَى : قَتَلْتُ رُسْتَمَ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ إِلَيَّ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ،  
فَاسْرِعُوا نَحْوَهُ وَشَدَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَائِمِهِمْ ، وَهَذَا مِنْ كِيَانِ الْفُرسِ  
فَانْهَزَمُوا وَتَهَاوَنُوا فِي الْعَتِيقِ ، وَشَدَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوا  
مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَهُمْ يُرِيدُونَ قَطْعَ الْعَتِيقِ . وَعُرِفَ هَذَا الْيَوْمُ  
بِیَوْمِ الْقَادِسیَّةِ . وَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخَبَرِ النَّصْرِ .  
وَأَخَذَ السَّوَادُ عَنَوَةً ، ثُمَّ صَالَحَ أَهْلَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ ، وَمَنْ أَبِي  
كَانَ مَالُهُ فَيْثًا لِلْمُسْلِمِينَ .

كَانَ الْجَالِنُوسُ قَدْ أَصْدَرَ الْأَمْرَ إِلَى الْفُرسِ بِالْانْسِحَابِ  
بَعْدَ الْقَادِسیَّةِ وَمَقْتَلَ رُسْتَمَ وَبَعْدَ أَنْ آلَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ ، وَفِي  
الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَمَرَ سَعْدُ زُهْرَةَ بِنَ الْحَوِيَّةِ بِمُطَارَدَةِ قُلُوبِ  
الْفُرسِ ، وَأَمَرَ الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرِو بِالتَّوَجُّهِ جَنُوبًا وَشَرْحِبِيلَ بْنَ  
السَّمْطِ بِالتَّوَجُّهِ شَمَالًا ، وَأَعْطَى خَالِدَ بْنَ عُرْفُطَةَ مُهِمَّةَ جَمْعِ  
الْغَنَائِمِ وَدَفَنِ الشُّهَدَاءِ .

وَقَدْ كَانَتْ بِلَادُ الْعِرَاقِ الَّتِي فَتَحَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ نَقَضَتْ



الْعُهْدَ وَالْمَوَاقِفَ الَّتِي كَانُوا أَعْطَوْهَا خَالِدًا، ثُمَّ عَادُوا بَعْدَ  
مَعْرَكَةِ الْقَادِسِيَّةِ، وَادَّعَوْا أَنَّ الْفُرْسَ أَجْبَرُوهُمْ عَلَى نَقْضِ  
الْعُهْدِ وَأَخَذُوا مِنْهُمْ الْخَرَاجَ، فَصَدَّقَهُمُ الْمُسْلِمُونَ تَأْلُفًا  
لِقُلُوبِهِمْ.

بَعَثَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي  
وَقَّاصٍ يَأْمُرُهُ بِالسَّيْرِ إِلَى الْمَدَائِنِ حَاضِرَةَ الْفُرْسِ، وَأَنْ  
يُخَلِّفَ النِّسَاءَ وَالْعِيَالَ مَعَ حِمَايَةِ كَثِيفَةٍ مِنَ الْفُرْسَانِ فِي  
الْعَتِيقِ. بَعَثَ سَعْدٌ عَلَى الْمُقَدَّمَةِ زُهْرَةَ بِنَ الْحُوَيْيَةِ، وَاتَّبَعَهُ  
بِالْأَمْرَاءِ، ثُمَّ سَارَ هُوَ بِالْجُيُوشِ، وَقَدْ جَعَلَ ابْنُ أَخِيهِ  
هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ نَائِبًا عَنْهُ، وَخَالِدُ بْنُ عُرْفُطَةَ عَلَى السَّاقَةِ.  
التَقَى زُهْرَةُ فِي مَوْقِعٍ (بُرسَ) بِ (بُصْبَهْرَى) فَقَاتَلَهُ، وَطَعَنَ  
(بُصْبَهْرَى) فَهَرَبَ إِلَى (بَابِلَ) وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا فُلُولٌ مِنْ فَرٍّ مِنَ  
الْقَادِسِيَّةِ وَمِنْ رُؤَسَائِهِمْ (النَّخِيرَجَانُ) وَ (مِهْرَانُ الرَّازِي)  
وَ (الْهُرْمَزَانُ) وَغَيْرِهِمْ وَقَدْ أَمَرُوا عَلَيْهِمْ (الْفِيرْزَانَ)، وَلَكِنْ  
(بُصْبَهْرَى) لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ مِنْ طَعْنَتِهِ.

وَأَسْلَمَ دِهْقَانُ (بُرسَ) وَأَخْبَرَ زُهْرَةَ عَنْ اجْتِمَاعِ الْفُرْسِ  
فِي بَابِلَ، فَكَتَبَ إِلَى سَعْدٍ بِالْخَبَرِ، فَسَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِمْ،  
وَانْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ، بِإِذْنِ اللَّهِ، فِي بَابِلَ، وَفَرَّ (الْهُرْمَزَانُ) نَحْوَ

الْأَهْوَازِ، وَهَرَبَ (الْفَيْرُزَانُ) إِلَى نَهَاوَنْدَ، وَاتَّجَهَ  
(النَّخِيرْجَانُ) وَ (مِهْرَانُ الرَّازِيُّ) نَحْوَ الْمَدَائِنِ، وَسَارَ  
الْمُسْلِمُونَ نَحْوَ الْمَدَائِنِ، وَكُلَّمَا اتَّقَوْا بَجَمْعٍ لِلْفُرسِ  
انْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ (بَهْرَسِيرَ) وَقَدْ تَرَأَى لَهُمْ  
الْقَصْرُ الْأَبْيَضُ فِي الْمَدَائِنِ. وَاجْتَازَ سَعْدٌ بِالْجَيْشِ نَهْرَ  
دِجْلَةَ، وَقَدْ حَمَاهُمْ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو مَعَ سِتِّمَائَةٍ مِنَ الشُّجْعَانِ  
عَلَى الطَّرَفِ الثَّانِي الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، وَقَدْ أَمَرَ سَعْدُ  
الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ دُخُولِ الْمَاءِ أَنْ يَقُولُوا: نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَتَتَوَكَّلُ  
عَلَيْهِ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ  
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، ثُمَّ اقْتَحَمَ بِفَرَسِهِ دِجْلَةَ وَاقْتَحَمَ النَّاسُ لَمْ  
يَتَخَلَّفَ عَنْهُ أَحَدٌ. وَعِنْدَمَا أَصْبَحُوا فِي الطَّرَفِ الْآخِرِ فَرَّ الْفُرسُ  
أَمَامَهُمْ وَدَخَلُوا الْمَدَائِنَ فَاقْتَحَمَهَا الْمُسْلِمُونَ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهَا  
أَحَدًا سِوَى مَنْ اعْتَصَمَ بِالْقَصْرِ الْأَبْيَضِ فَدَعَاهُمْ سَعْدُ عَلَى  
لِسَانِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ  
نَزَلُوا مِنْهُ، وَسَكَنَهُ سَعْدُ، وَاتَّخَذَ الْإِيوَانَ مُصَلًى، وَتَلَا حِينَ  
دُخُولِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ،  
وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانْكَبِينَ، كَذَلِكَ  
وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وَصَلَّى سَعْدُ ثَمَانِ رَكَعَاتٍ شُكْرًا

(١) سورة الدخان: الآيات ٢٥ - ٢٨.

لِلَّهِ تَعَالَى ، وَجَمَعَ بِالْإِيَّانِ فِي صَفَرٍ مِنَ الْعَامِ الْخَامِسِ عَشَرَ  
لِلْهِجْرَةِ فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ فِي الْعِرَاقِ .

أَرْسَلَ سَعْدُ السَّرَايَا إِثْرَ «كِسْرَى يَزْدَجَرْدُ» ، وَشَرَعَ فِي  
جَمْعِ الْغَنَائِمِ ، وَأَثْمَنُ مَا جَمَعُوهُ مَلَأِسُ كِسْرَى ، وَتَاجُهُ ،  
وَحُلِيِّهِ ، وَسَيْفُهُ ، وَبِسَاطُ إِيَّانِهِ وَكَانَ مُرَبَّعًا ، سِتُونِ ذِرَاعًا فِي  
مِثْلِهَا ، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَالْبِسَاطُ مِثْلُهُ سَوَاءً ، وَهُوَ مُنْسُوجٌ  
بِالذَّهَبِ وَاللَّالِئِ ، وَفِيهِ مُصَوَّرُ جَمِيعِ مَمَالِكِ كِسْرَى ، بِلَادُهُ  
بِأَنْهَارِهَا ، وَقَلَاعِهَا ، وَأَقَالِيمِهَا ، وَصِفَةِ الزَّرُوعِ وَالْأَشْجَارِ  
الَّتِي فِي بِلَادِهِ . كَمَا أَعَادَ زُهْرَةُ بَغْلًا أَدْرَكَهُ وَغَصَبَهُ مِنْ  
الْفَرَسِ ، عَلَيْهِ لِبَاسُ كِسْرَى ، وَآخِرَ عَلَيْهِ أَثَانُهُ .

خَمْسَ سَعْدِ الْغَنَائِمِ ، وَأَمَرَ سَلْمَانَ فَقَسَّمَ الْأَرْبَعَةَ أَخْمَاسٍ  
بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ الْمُسْلِمِينَ فَكَانَ لِلْوَاحِدِ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ،  
وَكُلُّهُمْ مِنَ الْفُرْسَانِ ، وَاسْتَوْهَبَ سَعْدُ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ الْبِسَاطِ  
مِنْ حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ قِسْمَتُهُ ، وَكَذَلِكَ لِبَاسَ كِسْرَى ، وَأَرْسَلَهَا  
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ بَشِيرِ بْنِ الْخَصَاصِيَّةِ ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ هَذَا  
قَالَ : إِنَّ قَوْمًا أَثَدُوا هَذَا الْأَمْنَاءُ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : إِنَّكَ  
عَفَفْتَ فَعَفَّتْ رَعِيَّتُكَ ، وَلَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعَتْ .

كَانَ «يَزْدَجَرْدُ» قَدْ فَرَّ إِلَى حُلْوَانَ ، وَجَمَعَ الْجُمُوعَ أَثْنَاءَ

الطَّرِيقَ فَتَحَصَّنُوا فِي (جَلُولَاءَ) فَتَرَكَ كِسْرَى «مِهْرَانَ» أَمِيرًا عَلَيْهِمْ، وَانْطَلَقَ هُوَ هَارِبًا إِلَى حُلْوَانَ فَبَعَثَ سَعْدٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ فَأَمَرَهُ أَنْ يُقِيمَ فِي الْمَدَائِنِ، وَأَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا بِقِيَادَةِ ابْنِ أَخِيهِ هَاشِمِ بْنِ عَثْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَنْ يَكُونَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى الْمُقَدَّمَةِ، فَفَعَلَ، وَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَأَخَذُوهُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَقَعَدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ مِائَةَ أَلْفٍ حَتَّى جَلُّلُوا وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْقَتْلِ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ «جَلُولَاءَ»<sup>(١)</sup> وَغَنِمُوا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالسَّلَاحِ وَالذَّهَبِ قَرِيبًا مِمَّا غَنِمُوا مِنَ الْمَدَائِنِ قَبْلَهَا. وَأَمَرَ هَاشِمٌ أَنْ يَسِيرَ الْقَعْقَاعُ خَلْفَ مَنْ فَرَّ فَأَسْرَعَ فَأَذْرَكَ «مِهْرَانَ» فَقَتَلَهُ، وَأَفْلَتَ «الْفَيْرُزَانُ» فَاسْتَمَرَّ مُنْهَزِمًا. وَأَرْسَلَ هَاشِمٌ خُمْسَ الْغَنَائِمِ إِلَى عَمِّهِ سَعْدٍ الَّذِي أَرْسَلَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ زِيَادِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَقُضَاعِيِّ بْنِ عَمْرٍو، وَأَبِي مُقْرِرٍ الْأَسْوَدِ.

أَقَامَ هَاشِمٌ بْنُ عَثْبَةَ فِي جَلُولَاءَ، وَسَارَ الْقَعْقَاعُ إِلَى حُلْوَانَ بِنَاءً عَلَى أَوَامِرِ الْخَلِيفَةِ إِلَى سَعْدٍ، فَدَخَلَ الْقَعْقَاعُ حُلْوَانَ، وَقَبِلَ السُّكَّانَ الْجَزِيَّةَ، وَأَقَامَ الْقَعْقَاعُ فِيهَا، وَفَرَّ كِسْرَى.

(١) البداية والنهاية - ابن كثير.

وَكَذَلِكَ أَرْسَلَ سَعْدُ جُيُوشًا لِفَتْحِ «تَكْرِيتَ» وَ «الْمُوصِلَ»  
وَ «مَاسْبَدَانَ» وَ «فَرْقِيَاءَ» وَالْجَزِيرَةَ.

وَلَمْ يَطِيبِ الْعَيْشَ لِلصَّحَابَةِ فِي الْمَدَائِنِ فَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى  
عُمَرَ فِي ذَلِكَ. وَمَصَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ الْكُوفَةَ، وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا فِي  
الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ.

بَنَى سَعْدُ الْمَسْجِدَ فِي الْكُوفَةِ وَأَقَامَ قَصْرَهُ، وَبَيَّتَ الْمَالَ  
تِلْقَاءَ الْمِحْرَابِ، وَبَنَى النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ عَلَى رَقِيَّةِ سَهْمٍ مِنَ  
الْمَسْجِدِ. وَكَانَ الْبِنَاءُ بِالْقَصَبِ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَمُرَّ الْعَامُ حَتَّى  
اخْتَرَقَتْ، فَبَنُوا بِاللَّبْنِ عَنْ أَمْرِ عُمَرَ، بِشَرْطِ أَنْ لَا يُسْرِفُوا وَلَا  
يُجَاوِزُوا الْحَدَّ. وَبُنِيَ لِسَعْدٍ قَصْرٌ قَرِيبٌ مِنَ السُّوقِ، فَكَانَتْ  
غَوَغَاءُ النَّاسِ تَمْنَعُ سَعْدًا مِنَ الْحَدِيثِ، فَكَانَ يُغْلِقُ بَابَهُ  
وَيَقُولُ: سَكُنْ عَنِّي الصُّوَيْتَ، فَلَمَّا بَلَغَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ  
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ، فَأَمَرَهُ إِذَا انْتَهَى  
إِلَى الْكُوفَةِ أَنْ يَقْدَحَ زِنَادَهُ، وَيَجْمَعَ حَطَبًا، وَيُحْرِقَ بَابَ  
الْقَصْرِ ثُمَّ يَرْجِعُ مِنْ فَوْرِهِ. فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْكُوفَةِ فَعَلَ مَا أَمَرَهُ  
بِهِ عُمَرُ، وَأَمَرَ سَعْدًا أَنْ لَا يَغْلِقَ بَابَهُ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَجْعَلَ عَلَى  
بَابِهِ أَحَدًا يَمْنَعُ النَّاسَ عَنْهُ، فَاِمْتَثَلَ ذَلِكَ سَعْدٌ.

وَفِي عَامِ وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ اجْتَمَعَ أَهْلُ فَارِسَ

مِنْ كُلِّ فَجٍّ بِأَرْضٍ «نَهَاوْنَد» فَكَتَبَ سَعْدٌ إِلَى عُمَرَ يُعْلِمُهُ  
بِذَلِكَ. وَثَارَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى سَعْدٍ فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَشَكَّوهُ  
فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانَ الَّذِي نَهَضَ بِهَذِهِ الشُّكُوى رَجُلٌ يُقَالُ  
لَهُ: الْجَرَّاحُ بْنُ سِنَانٍ الْأَسَدِيُّ فِي نَفَرٍ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَى  
عُمَرَ فَشَكَّوهُ قَالَ لَهُمْ عُمَرُ: إِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الشَّرِّ  
نُھوضُكُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِقِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ،  
وَقَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، وَمَعَ هَذَا لَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَنْظُرَ فِي أَمْرِكُمْ.

ثُمَّ بَعَثَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ - وَكَانَ رَسُولَ الْعُمَالِ - فَلَمَّا  
قَدِمَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ عَلَى الْكُوفَةِ طَافَ عَلَى الْقَبَائِلِ،  
وَالْعَشَائِرِ، وَالْمَسَاجِدِ بِالْكُوفَةِ، فَكُلُّ يَثْنِي عَلَى سَعْدٍ خَيْرًا، إِلَّا  
نَاحِيَةَ الْجَرَّاحِ بْنِ سِنَانٍ وَأَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمْ سَكَتُوا لَمْ يَذْمُوا  
وَلَمْ يَشْكُرُوا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ يُقَالُ  
لَهُ: أَبُو سَعْدَةَ أَسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، فَقَالَ: أَمَّا إِذْ نَاشَدْتَنَا فَإِنَّ  
سَعْدًا لَا يَقْسِمُ بِالسُّوِيَّةِ، وَلَا يَغْدِلُ فِي الرِّعْيَةِ، وَلَا يَغْزُو فِي  
السَّرِيَّةِ. فَدَعَا عَلَيْهِ سَعْدٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ قَالَهَا كَذِبًا  
وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهُ، وَكَثِّرْ عِيَالَهُ، وَعَرِّضْهُ لِمُضِلَّاتِ  
الْفِتَنِ. فَعَمِيَ وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ عَشْرُ بَنَاتٍ، وَكَانَ يَسْمَعُ  
بِخَبَرِ الْمَرَأَةِ فَلَا يَزَالُ حَتَّى يَأْتِيَهَا فَإِذَا عِشْرَ عَلَيْهِ قَالَ: دَعْوَةٌ

سَعْدِ الرَّجُلِ الْمُبَارِكِ . ثُمَّ دَعَا سَعْدٌ عَلَى الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابِهِ  
فَكُلُّ أَصَابَتِهِ قَارِعَةٌ فِي جَسَدِهِ ، وَمُصِيبَةٌ فِي مَالِهِ بَعْدَ ذَلِكَ .  
وَاسْتَنْفَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَهْلَ الْكُوفَةِ لِعِزِّهِمْ وَأَهْلَ نَهَاوَنْدٍ فِي  
عُضُوبِ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ . ثُمَّ سَارَ سَعْدٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ  
وَالْجَرَّاحُ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى جَاءُوا عُمَرَ ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ : كَيْفَ  
يُصَلِّي ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يُطَوِّلُ فِي الْأَوَّلَيْنِ وَيُخَفِّفُ فِي الْآخَرَيْنِ  
وَمَا أَلَوْ مَا اقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ .

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ لِسَعْدٍ : مَنْ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى الْكُوفَةِ ؟ فَقَالَ :  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدَانَ ، فَأَقَرَّهُ عُمَرُ عَلَى نِيَابَتِهِ عَلَى  
الْكُوفَةِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ هَذَا شَيْخًا كَبِيرًا مِنْ أَشْرَافِ  
الصَّحَابَةِ . وَاسْتَمَرَ سَعْدٌ مَعَزُولا مِنْ غَيْرِ عَجَرٍ وَلَا خِيَانَةٍ .  
وَيَهْدُدُّ عُمَرُ أَوْلِيكَ التَّفَرُّ ، وَكَادَ يُوقِعُ بِهِمْ بَأْسًا ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ  
خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَشْكُو أَحَدٌ أَمِيرًا . وَهَكَذَا بَقِيَ سَعْدٌ أَمِيرًا عَلَى  
الْعِرَاقِ مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَمَانِ سَنَوَاتٍ ، وَلَمْ يُعْزَلْ عَنْ ضَعْفٍ وَلَا  
عَنْ خِيَانَةٍ .

بَقِيَ سَعْدٌ فِي الْمَدِينَةِ يَعْيشُ بَيْنَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَهُ مَكَانَتُهُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَهُ مَنَزِلَتُهُ بَيْنَ

الصَّحَابَةِ جَمِيعًا، لَا يُقَرَّرُ أَمْرٌ إِلَّا وَيُسْتَشَارُ.

وَطَعِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
وَأَحْسَ بِنَهَايَتِهِ فَجَعَلَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ شُورَى بَيْنَ سِتَّةِ نَفَرٍ، وَهُمْ:  
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ  
عُبَيْدِ اللَّهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ،  
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا. وَتَحَرَّجَ  
عُمَرُ أَنْ يَجْعَلَهَا لِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ عَلَى التَّعْيِينِ، وَقَالَ: لَا  
أَتَحْمَلُ أَمْرَهُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِكُمْ خَيْرًا يَجْمَعُكُمْ  
عَلَى خَيْرِ هَؤُلَاءِ، كَمَا جَمَعَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَمِنْ تَمَامِ وَرَعِهِ لَمْ يَذْكُرْ فِي الشُّورَى  
السَّابِعَ الْبَاقِيَ مِنَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ  
عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ لِأَنَّهُ  
ابْنُ عَمِّهِ، خَشِيَ أَنْ يُرَاعَى فَيُوَلَّى لِكُونِهِ ابْنِ عَمِّهِ، فَلِذَلِكَ  
تَرَكَهُ، إِذْ أَنَّ أَبَا عُيَيْدَةَ كَانَ قَدْ تُوْفِّي فِي طَاعُونِ «عَمَوَاسَ» عَامَ  
ثَمَانِيَةِ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ، وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَهُمْ بَقِيَّةُ الْعَشْرَةِ.  
وَقَالَ: لَسْتُ مُدْخِلُهُ فِيهِمْ، يَعْنِي سَعِيدًا. وَقَالَ لِأَهْلِ  
الشُّورَى: يَحْضُرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ، يَعْنِي ابْنَهُ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ  
شَيْءٌ - يَعْنِي بَلْ يَحْضُرُ الشُّورَى وَيُشِيرُ بِالنُّصْحِ وَلَا يُوَلَّى



شَيْئًا.. وَأَوْصَى أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ الرُّومِيُّ  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى تَنْقَضِيَ الشُّورَى، وَأَنْ يَجْتَمِعَ أَهْلُ الشُّورَى  
وَيُوكَّلُ بِهِمْ أَنَاسٌ حَتَّى يَنْبَرِمَ الْأَمْرُ. وَوَكَّلَ بِهِمْ خَمْسِينَ رَجُلًا  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ مُسْتَحِثًّا: أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ،  
وَالْمِقْدَادَ بْنَ عَمْرٍو الْكِنْدِيَّ.

فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ، وَأَخْضِرَتْ جَنَازَتُهُ نَزَلَ فِي قَبْرِهِ ابْنُهُ  
عَبْدُ اللَّهِ، وَصُهَيْبُ، وَأَهْلُ الشُّورَى، أَمَّا الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ  
فَهُوَ صُهَيْبُ.

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ عِنْدَمَا جَعَلَ  
الشُّورَى فِي سِتَّةِ نَفَرٍ: مَنْ اسْتَخْلَفُوهُ فَهُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدِي،  
وَأِنْ أَصَابَتْ سَعْدًا فَذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ الْخَلِيفَةُ بَعْدِي  
فَلِإِنِّي لَمْ أَنْزِعْهُ، يَعْنِي عَنِ الْكُوفَةِ، مِنْ ضَعْفٍ وَلَا خِيَانَةٍ<sup>(١)</sup>.

لَمَّا فُرِغَ مِنْ شَأْنِ عُمَرَ، جَمَعَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو أَهْلَ  
الشُّورَى فِي بَيْتِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَقِيلَ فِي حُجْرَةِ  
عَائِشَةَ، وَقِيلَ فِي بَيْتِ الْمَالِ، وَقِيلَ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ بِنْتِ  
قَيْسٍ - أُخْتُ الضُّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَكَانَ

(١) رواه الطبراني (٣٢٠)، وابن حجر في الإصابة ٤ / ١٦٣.

طَلَحَهُ بَنُو عُبَيْدِ اللَّهِ غَائِبًا عَنِ الْمَدِينَةِ. وَقَامَ أَبُو طَلْحَةَ  
يَحْجُبُهُمْ، وَجَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَجَلَسَا  
وَرَاءَ الْبَابِ فَطَرَدَهُمَا سَعْدٌ.

وَجَعَلَ أَهْلُ الشُّوَرَى الْأَمْرَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ  
لِيَجْتَهِدَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي تَوَلِيَةِ أَفْضَلِهِمْ، وَقَدْ سَحَبَ نَفْسَهُ مِنْهَا،  
فَاسْتَشَارَ، وَأَعْمَلَ رَأْيَهُ، وَبُويعَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ وَعَنْهُمْ جَمِيعًا، وَوَافَقَ أَهْلُ الشُّوَرَى وَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا،  
كَمَا وَافَقَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ.

### مَعَ ذِي التَّوَرَيْنِ

بَقِيَ سَعْدٌ أَيَّامَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ الْأَوَّلَى فِي الْمَدِينَةِ يُسْتَشَارُ  
فِي كُلِّ أَمْرٍ وَخَاصَّةً فِي الْمِلَمَّاتِ، وَمَكَانَتُهُ مَعْرُوفَةٌ فِي  
الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ كُلِّهِ.

ثُمَّ عَزَلَ عُثْمَانُ الْمُغِيرَةَ بْنُ شُعْبَةَ عَنِ الْكُوفَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا  
سَعْدًا سَنَةً ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ فَبَقِيَ فِيهَا مَا يَقْرُبُ مِنْ سِتِّينَ، ثُمَّ  
عَزَلَهُ وَوَلَّى مَكَانَهُ عَلَيْهَا الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، وَكَذَلِكَ كَانَ عَزْلُهُ مِنْ  
غَيْرِ ضَعْفٍ وَلَا خِيَانَةٍ وَرُبَّمَا كَانَ لِإِقَامَتِهِ فِي الْمَدِينَةِ لِيَكُونَ مِنْ  
رِجَالِ الشُّوَرَى الْقَرِيبِينَ.

وَكَاثَتْ أَيَّامُ عَثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى قُرِبَ نَهَايَتَهَا أَيَّامٌ خَيْرٌ حَيْثُ بَزَغَ قَرْنُ الْفِتْنَةِ. وَسَعَدُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي الْمَدِينَةِ يُوَجِّهُ وَيُشِيرُ، وَيَقْتَلِي بِهِ النَّاسُ فَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

### فِي الْفِتْنَةِ

اعْتَزَلَ سَعْدُ الْفِتْنَةِ، فَلَمْ يَحْضُرِ الْجَمَلَ وَلَا صِفِّينَ وَلَا التَّحْكِيمَ، وَلَقَدْ كَانَ أَهْلًا لِلْإِمَامَةِ، كَبِيرَ الشَّانِ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ جَاءَهُ ابْنُهُ عَامِرٌ فَقَالَ: أَيُّ بَنِي! أَفِي الْفِتْنَةِ تَأْمُرُونِي أَنْ أَكُونَ رَأْسًا؟ لَا وَاللَّهِ، حَتَّى أُعْطِيَ سَيْفًا، إِنْ ضَرَبْتُ بِهِ مُسْلِمًا نَبَا عَنْهُ، وَإِنْ ضَرَبْتُ كَافِرًا قَتَلَهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ» <sup>(١)</sup> التَّقِيُّ <sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدُ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ. فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنْزِلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنِمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدُ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ:

(١) الخفي: الذي لا يرغب في الشهرة، ولا يتعرَّض للناس من أجلها.

(٢) أخرجه أحمد ١ / ١٦٨، وأبو نعيم في الحلية ١ / ٩٤.

اسْكُتْ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:  
«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ حُسَيْنِ بْنِ خَارِجَةَ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ،  
أَشْكَلْتُ عَلَيَّ الْفِتْنَةُ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ ارْنِي مِنَ الْحَقِّ أَمْرًا  
أَتَمَسَّكُ بِهِ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بَيْنَهُمَا حَائِطٌ،  
فَهَبَطْتُ الْحَائِطَ، فَإِذَا أَنَا بِنَفَرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ الْمَلَائِكَةُ، قُلْتُ:  
فَأَيْنَ الشُّهَدَاءُ؟ قَالُوا: اصْعَدِ الدَّرَجَاتِ، فَصَعِدْتُ دَرَجَةً ثُمَّ  
أُخْرَى، فَإِذَا مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا، وَإِذَا مُحَمَّدٌ  
يَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ: اسْتَغْفِرْ لِمَتِّي، قَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا  
بَعْدَكَ، إِنَّهُمْ أَهْرَقُوا دِمَاءَهُمْ، وَقَتَلُوا إِمَامَهُمْ، أَلَا فَعَلُوا كَمَا فَعَلَ  
خَلِيلِي سَعْدُ؟

قَالَ: قُلْتُ: رَأَيْتُ رُؤْيَا، فَأَتَيْتُ سَعْدًا، فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ،  
فَمَا كَانَ أَكْثَرَ فَرَحًا، وَقَالَ: قَدْ خَابَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ خَلِيلُهُ، قُلْتُ: مَعَ أَيِّ الطَّائِفَتَيْنِ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا مَعَ  
وَاحِدٍ مِنْهُمَا، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ غَنَمٍ؟  
قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَاشْتَرِ غَنَمًا، فَكُنْ فِيهَا حَتَّى تَنْجَلِي<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في أول الزهد (٢٩٦٥).

(٢) أخرجه الحاكم ٣ / ٥٠١.

وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ أَخِيهِ هَاشِمَ بْنَ عَثْبَةَ جَاءَهُ فَقَالَ لَهُ: هَا هُنَا مِائَةُ أَلْفٍ سِتْفٍ يَرُونَكَ أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ: أُرِيدُ مِنْهَا سِتْفًا وَاحِدًا إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا، وَإِذَا ضَرَبْتُ بِهِ الْكَافِرَ قَطَعَ<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ أَبَاهُ حِينَ رَأَى اخْتِلَافَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَرَّقَهُمْ اشْتَرَى أَرْضًا مِئَةً ثُمَّ خَرَجَ وَاعْتَزَلَ فِيهَا بِأَهْلِهِ.

### وَفَاةُ سَعْدٍ

اعْتَزَلَ سَعْدٌ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ فِي قَصْرِ بَنَاهُ بِطَرْفِ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ<sup>(٢)</sup>. وَتُوفِّيَ هُنَاكَ بِالْعَقِيقِ وَحُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَدُفِنَ فِيهَا.

عَنْ مُصَنَّبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: كَانَ رَأْسُ أَبِي فِي حِجْرِي، وَهُوَ يَقْضِي. فَبَكَيْتُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: أَيُّ بَنِي مَا يُبْكِيكَ؟ قُلْتُ: لِمَكَانِكَ وَمَا أَرَى بِكَ. قَالَ: لَا تَبْكُ فَإِنَّ اللَّهَ

(١) الإصابة ٢ / ٣٣.

(٢) موضع يقع جنوب المدينة على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً منها. وهو المكان الذي وصل إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم في مطاردته لقريش إثر غزوة أحد، والموضع بوادي العقيق.

لَا يُعَذِّبُنِي أَبَدًا، وَإِنِّي مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ يَدِينُ الْمُؤْمِنِينَ  
بِحَسَنَاتِهِمْ مَا عَمِلُوا لِلَّهِ <sup>(١)</sup>.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ سَعْدًا لَمَّا احْتَضَرَ دَعَا بِخَلْقِ جُبَّةٍ  
صُوفٍ، فَقَالَ: كَفَّنُونِي فِيهَا، فَإِنِّي لَقِيتُ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا يَوْمَ  
بَذْرِ، وَإِنِّي خَبَأْتُهَا لِهَذَا الْيَوْمِ <sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ عَبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهَا، [أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أُرْسِلَ أَزْوَاجُ  
النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمُرُوا بِجَنَازَتِهِ فِي الْمَسْجِدِ،  
فَفَعَلُوا فَوُفِّ بِهٖ عَلَى حُجْرِهِنَّ فَصَلَّيْنِ عَلَيْهِ]. وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ  
تَبْكِي وَتَقُولُ: بَقِيَّةُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ. وَكَانَ سَعْدُ آخِرَ الْمُهَاجِرِينَ وَفَاةً.

تُوُفِّيَ سَعْدُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ  
لِلْهِجْرَةِ، وَعُمُرُهُ يَقْرُبُ مِنْ خَمْسَةِ وَثَمَانِينَ عَامًا، وَصَلَّى عَلَيْهِ  
مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ.

---

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/ ٤٩٦، والطبراني في الكبير (٣١٦) وذكره الهيثمي في  
مجمع الزوائد ٣/ ٢٥.

## وَصِيَّةُ سَعْدٍ

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرِضْتُ مَرَضاً أَسْقَبْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ<sup>(١)</sup>، فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعُودُنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِي مَالٌ كَثِيرٌ وَلَيْسَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَتِي<sup>(٢)</sup>، أَفَأُوصِي بِثُلْثِي مَالِي؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالْشُّطْرُ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالثُّلُثُ؟ قَالَ: الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ إِنْ تَتْرَكَ وَلَدَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتْرُكَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى اللَّقْمَةِ تَجْعَلُهَا فِي أَمْرَاتِكَ، وَلَعَلَّكَ إِنْ تَخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمُضْ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تُرَدِّهِمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنَّ الْبَائِسَ سَعْدَ بْنَ خَوْلَةَ يَرِثُنِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ<sup>(٣)</sup>.

كَانَ سَعْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَجُلًا قَصِيرًا، دَخْدَاحًا، غَلِيظًا، ذَا هَامَةٍ، شَتْنِ الْأَصَابِعِ، أَشْعَرٌ.

(١) كان سعد، رضي الله عنه، قد مرض في مكة، حين خرج رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى حنين، فلما قدم من الجعرانة معتمراً دخل عليه، وهو وجع مغلوب.

(٢) لم يكن له يومئذٍ بعد إلا بنتاً واحدة، ورزق بأولاده البقية كلهم بعد ذلك.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد.

كَانَ حَادَّ الْبَصَرِ، يَرَى مِنْ بَعِيدٍ، مَا لَا يَرَى غَيْرُهُ.

كَانَ غَنِيًّا ذَا مَالٍ كَثِيرٍ، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ قَالَتْ: أَرْسَلَ أَبِي إِلَى مَرْوَانَ<sup>(١)</sup> بِزَكَاتِهِ خَمْسَةَ آلَافٍ، وَتَرَكَ يَوْمَ مَاتَ مِائَتِي آلَافٍ وَخَمْسِينَ آلَافًا<sup>(٢)</sup>.

كَانَ عَلَمًا بَيْنَ النَّاسِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْهَيْجُ فِي النَّاسِ، جَعَلَ رَجُلٌ يَسْأَلُ عَنْ أَفَاضِلِ الصَّحَابَةِ، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا إِلَّا دَلَّهُ عَلَى سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ.

لَهُ فِي مُسْنَدِ «بَقِيَّ بْنِ مَخْلَدٍ» مِائَتَانِ وَسَبْعُونَ حَدِيثًا. وَلَهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْهَا ثَمَانِيَّةٌ وَثَلَاثُونَ حَدِيثًا، اتَّفَقَا عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ مِنْهَا بِخَمْسَةِ أَحَادِيثَ وَمُسْلِمٌ بِثَمَانِيَّةٍ عَشَرَ حَدِيثًا.

---

(١) مروان: مروان بن الحكم أمير المدينة يومذاك.

(٢) سير أعلام النبلاء.



بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٢٥

أَسَدُ اللَّهِ  
الْحَمزةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ  
مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتَمِ  
النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ  
وَبَعْدُ:

فَإِنَّ عَدَدًا مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
لَمْ يَعِشُوا فِي الدَّعْوَةِ كَثِيرًا وَلَمْ يَنْعَمُوا فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ  
طَوِيلًا وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانُوا لِبَنَةِ قُوَّةٍ فِي صَرْحِ دَوْلَةِ  
الْإِسْلَامِ الَّتِي قَامَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ بِجُهْدِ أَوْلِيكَ الثَّقَرِ الَّذِينَ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْحَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي لَمْ  
تَطُلْ حَيَاتُهُ فِي الْإِسْلَامِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ  
كَانَ لَهُ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي ذَلِكَ الْبِنَاءِ الشَّامِخِ الَّذِي شَادَهُ  
الْإِسْلَامُ، وَذَلِكَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمَا وَهَبَهُ مِنْ قُوَّةٍ، وَمَا  
مَنَحَهُ مِنْ شَجَاعَةٍ، وَمَا أَعْطَاهُ مِنْ ثَبَاتِ الْقَلْبِ، وَمَا مَنَّ عَلَيْهِ

مِنَ الصُّلَاحِ وَالْإِخْلَاصِ . وَلَقَدْ أَكْرَمَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَاخْتَارَهُ  
شَهِيداً وَاتَّخَذَ مِنْهُ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الْحَمْزَةُ هُوَ الْعَمُّ الْمُسْلِمُ الْأَوَّلُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَفَاهُ ذَلِكَ فَخْراً . وَلَمْ يُسْلِمَ مِنْ عُمُومَةِ رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِوَى اثْنَيْنِ هُمَا: الْحَمْزَةُ  
وَالْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَهُوَ أَخٌ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي  
الرِّضَاعَةِ، وَفِي ذَلِكَ شَرَفٌ عَظِيمٌ لَهُ . إِذْ أَرْضَعْتُهُمَا ثَوْبِيَّةُ  
جَارِيَةِ أَبِي لَهَبٍ أَخِي الْحَمْزَةَ مِنْ أَبِيهِ، وَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ نَالَهَا بِذَلِكَ حَظٌّ كَبِيرٌ بِتِلْكَ  
الرِّضَاعَةِ . وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ .

أَبُوهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ . بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ سَيِّدُ قُرَيْشٍ .  
دُونَ مُدَافِعٍ ، وَأَحَدُ أَعْلَامِ الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ .

وَأُمُّهُ هَالَةُ بِنْتُ أَهْبَبٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ  
ابْنِ مِرَّةٍ، فَهِيَ بِنْتُ أَحَدِ سَادَاتِ زُهْرَةَ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّ أَمِينَةَ بِنْتِ  
وَهَبٍ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمَّةُ سَعْدِ بْنِ  
أَبِي وَقَّاصٍ ، أُخْتُ أَبِيهِ .

وُلِدَ الْحَمْزَةُ قَبْلَ عَامِ الْفِيلِ بِأَرْبَعِ سَنَوَاتٍ أَيْ قَبْلَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعَةِ أَعوَامٍ، وَذَلِكَ سَنَةً سَبْعٍ وَخَمْسِينَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ لَا يَزَالُ صَغِيرًا عِنْدَمَا وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَضِيَ مِثْلَهُ مِنْ ثَوْبَةٍ.

نَشَأَ فِي كَنَفِ وَالِدِهِ السَّيِّدِ الْمُطَاعِ الَّذِي لَمْ يَلْبَثْ أَنْ فَارَقَ الْحَيَاةَ فَعَاشَ الْحَمْزَةُ فِي رِعَايَةِ إِخْوَتِهِ الَّذِينَ هُمْ أَكْبَرُ مِنْهُ. وَهُوَ أَصْغَرُ أَوْلَادِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ إِذَا كَانَ مَوْضِعَ اهْتِمَامِهِمْ جَمِيعًا وَخَاصَّةً أَنَّ وَالِدَهُ قَدْ تُوَفِّيَ<sup>(١)</sup>. فَنَشَأَ غَيْرَ مَسْئُولٍ عَنْ شَيْءٍ، فَإِخْوَتُهُ يَكْفُلُونَ أَمْرَهُ، وَهُوَ مُتَصَرِّفٌ إِلَى شُؤْنِهِ الْخَاصَّةِ.

وَشَقِيقَتُهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَهِيَ الْوَحِيدَةُ مِنْ بَيْنِ عَمَّاتِ<sup>(٢)</sup> رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّتُّ الَّتِي أَسْلَمَتْ، وَإِنْ اخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِ بَعْضِهِنَّ.

---

(١) إخوة الحمزة: الزبير، وأبو طالب، وعبد الله أشقاء، وبنات عبد المطلب كلهن شقيقات لهم عدا صفية.  
العباس، وضرار أشقاء.  
المقوم، وحجل، والحمزة أشقاء.  
والحارث.

وعبد العزى (أبو لهب).

(٢) عمات رسول الله، صلى الله عليه وسلم: عاتكة، وأميمة، وأروى، وبرّة، وأم حكيم البيضاء، وهن شقيقات، وصفية.

## زَوْجَاتُهُ وَأَوْلَادُهُ

تَزَوَّجَ الْحَمْزَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثَلَاثَ نِسْوَةٍ هُنَّ:

١ - بِنْتُ الْمَلَّةِ بْنِ مَالِكٍ مِنَ الْأَوْسِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأُنْجِبَتْ لَهُ:

١ - يَغْلَى وَبِهِ يُكْنَى. وَقَدْ كَانَ لِيَغْلَى مِنَ الْأَوْلَادِ:  
عُمَارَةُ، وَالْفَضْلُ، وَالزُّبَيْرُ، وَمُحَمَّدُ، وَعَقِيلُ، وَقَدْ  
مَاتُوا صِبَاغًا.

٢ - عَامِرًا وَمَاتَ صَغِيرًا.

٢ - خَوْلَةَ بِنْتُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ الْخَزْرَجِ مِنَ  
الْمَدِينَةِ، وَأُنْجِبَتْ لَهُ:

١ - عُمَارَةُ، وَقَدْ كَانَ يُكْنَى بِهِ أَيْضًا.

٣ - سَلَمَى بِنْتُ عُمَيْسٍ الْخَثْعَمِيَّةِ، أُخْتُ أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْسٍ.  
زَوْجَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ عَلِيٍّ.  
وَأُنْجِبَتْ لَهُ:

١ - أَمَامَةَ: وَهِيَ الَّتِي اخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ، وَجَعْفَرُ،  
وَزَيْدُ.

وَبِذَا لَمْ يَتَّقِ لِلْحَمْزَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَقَبُ.

## إِسْلَامُ حَمْزَةَ

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَدَأَ يَدْعُو قَوْمَهُ، وَعَادَتُهُ قُرَيْشُ، وَضَجَّتْ أُنْدِيَّتُهَا بِأَخْبَارِ مَا يَجْرِي عَلَى سَاحَتَيْهَا، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ الْمُتَغَطِّسِينَ، وَحَمْزَةُ فِي شُغْلٍ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ يَخْرُجُ إِلَى الصَّيْدِ، وَيَعُودُ مِنْهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرَّ عَلَى نَادٍ مِنْ أُنْدِيَةِ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ، هَكَذَا كَانَ يَوْمُهُ، وَكَذَا كَانَتْ أَكْثَرُ أَيَّامِهِ، وَكَانَ أَعَزَّ قَتَى فِي قُرَيْشٍ وَأَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً.

وَمَرَّ أَبُو جَهْلٍ يَوْمًا مِنْ قُرْبِ الصَّفَا وَمَعَهُ عَدِيٌّ بْنُ الْحَمْرَاءِ وَابْنُ الْأَصْدَاءِ فَلَقُوا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذَاهُ أَبُو جَهْلٍ وَشَتَمَهُ وَنَالَ مِنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ وَالتَّضْعِيفِ لِأَمْرِهِ، فَلَمْ يُكَلِّمُهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَوْلَاةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فِي مَسْكَنِ لَهَا هُنَاكَ تَسْمَعُ ذَلِكَ وَتَرَى. وَأَنْصَرَفَ أَبُو جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَعَمِدَ إِلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ هُنَاكَ فَجَلَسَ مَعَهُمْ.

لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ الْحَمْزَةُ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ رَاجِعًا مِنْ صَيْدِهِ، فَلَمَّا مَرَّ بِالْقُرْبِ مِنْ مَسْكَنِ مَوْلَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ قَالَتْ

لَهُ: يَا أَبَا عُمَارَةَ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مِنْ أَبِي  
الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، وَجَدَهُ جَالِسًا هَاهُنَا فَآذَاهُ وَسَبَّهُ وَبَلَغَ مِنْهُ  
مَا يَكْرَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، وَلَمْ يُكَلِّمَهُ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

أَخَذَ الْغَضَبُ مِنَ الْحَمْزَةِ كُلَّ مَا خَذَ، وَعَدَّ هَذَا إِهَانَةً لَهُ  
وَتَحْدِيًّا بَلْ إِذْلاً لِيَنِي هَاشِمٍ جَمِيعاً، وَفِي هَذَا عَارٌ كَبِيرٌ، لِذَا  
لَا بُدَّ مِنَ النَّيْلِ مِنْ أَبِي جَهْلٍ وَإِيقَافِهِ عِنْدَ حَدِّهِ وَالْأَخْذَ بِالنَّارِ  
خَوْفاً مِنَ التَّمَادِي فِي غِيهِ وَالِاسْتِمْرَارِ فِي تَصْرِفِهِ السَّيِّئِ  
الَّذِي لَا يَكُونُ مِنْ نَتَائِجِهِ سِوَى الْحَطِّ مِنْ شَأْنِ بَنِي هَاشِمٍ  
وَقَطَاوِلِ الْقَبَائِلِ وَبَقِيَةِ الْبُطُونِ الْقُرَيْشِيَّةِ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ هَذَا  
سَبَباً لِكِرَامَةِ يُرِيدُهَا اللَّهُ لِلْحَمْزَةِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ.

أَسْرَعَ الْحَمْزَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ دُونَ أَنْ يَمُرَّ  
عَلَى أَحَدٍ أَوْ يُكَلِّمَ أَحَدًا وَرَأَى أَبَا جَهْلٍ جَالِسًا مَعَ الْقَوْمِ  
فَاقْبَلَ نَحْوَهُمْ، وَاقْتَرَبَ مِنْهُمْ فَلَمْ يُلْقِ سَلَاماً، وَدَهِشَ  
الْحُضُورُ، وَاتَّجَهُوا بِأَنْظَارِهِمْ إِلَيْهِ، وَسَارَ إِلَى أَبِي جَهْلٍ  
وَوَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَدَارَ أَبُو جَهْلٍ رَأْسَهُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ مَاذَا يَفْعَلُ!  
وَالشُّهُودُ يَنْظُرُونَ، فَضَرَبَ الْحَمْزَةُ بِقَوْسِهِ رَأْسَ أَبِي جَهْلٍ.

(١) سيرة ابن هشام.



ضَرْبَةً قَوِيَّةً فَشَجَّهُ، وَقَالَ لَهُ: أَتَشْتُمُّهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ، أَقُولُ مَا يَقُولُ. فَرَدَّ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ الرَّدَّ، وَانْتَصِفْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ. وَتَعَجَّبَ الْحُضُورُ مِنْ سُكُوتِ أَبِي جَهْلٍ، فَقَدْ أَوْقَعَ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْجُبْنِ وَالذُّلِّ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِحَرْفٍ. وَقَامَ رَجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ يُرِيدُونَ نَصْرَهُ وَالانْتِصَافَ مِنْ حَمْزَةَ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو جَهْلٍ: دَعُوا أَبَا عَمَارَةَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَّيْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا.

وَيَبْدُو أَنَّ حَمْزَةَ قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا قَالَ «أَنَا عَلَى دِينِهِ» أَيْ أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ، فَهَلْ يَتَرَجَّعُ وَيُظْهِرُ أَمَامَ قَوْمِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ صَادِقًا وَأَنَّهُ قَدْ قَالَ ذَلِكَ فِي حَالَةٍ مِنَ الْغَضَبِ وَكَرَدَ فِعْلِهِ، أَمْ يُعْلِنُ إِسْلَامَهُ وَيَسِيرُ فِي هَذَا الدَّرَبِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْ بَعْدُ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ؟ يَقُولُ الْحَمْزَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ نَفْسِهِ: لَمَّا احْتَمَلَنِي الْغَضَبُ وَقُلْتُ: (أَنَا عَلَى قَوْلِهِ) أَذْرَكُنِي النَّدَمُ عَلَى فِرَاقِ دِينِ آبَائِي وَقَوْمِي، وَبِتُّ مِنَ الشَّكِّ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ لَا أَكْتَجِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ الْكَعْبَةَ وَتَضَرَّعْتُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَشْرَحَ صَدْرِي لِلْحَقِّ وَيُذْهِبَ عَنِّي الرَّيْبَ، فَمَا اسْتَمْتُ دُعَائِي حَتَّى زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ وَامْتَلَأَ قَلْبِي يَقِينًا فَعَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ مِنْ

أَمْرِي فَدَعَا لِي أَنْ يُثَبِّتَنِي اللَّهُ، وَقَالَ حَمْزَةُ حِينَ أَسْلَمَ أَبَيَاتًا،  
مِنْهَا:

حَمِدْتُ اللَّهَ حِينَ هَدَى فُؤَادِي  
إِلَى الْإِسْلَامِ وَالَّذِينَ الْحَنِيفِ  
لِدِينٍ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ  
خَيْرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفٍ  
إِذَا ثَلَيْتَ رَسَائِلُهُ عَلَيْنَا  
تَحَدَّرَ دَمْعُ ذِي اللَّبِّ الْحَصِيفِ  
رَسَائِلُ جَاءَ أَحْمَدُ مِنْ هَذَاهَا  
بِآيَاتٍ مُبَيَّنَةٍ الْحُرُوفِ

فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ عَزَّ وَامْتَنَعَ، وَأَنَّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ لِقُوَّتِهِ وَشَهَامَتِهِ  
وَاعْتِزَاؤُهُ فَكَفُّوا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ. وَأَصْبَحَ حَمْزَةُ  
يَحْضُرُ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعِنْدَمَا كَتَبَ اللَّهُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْخَيْرَ أَنْارَ قَلْبَهُ  
لِلْإِيمَانِ فَقَرَأَ الصَّحِيفَةَ الَّتِي كَانَتْ مَعَ أُخْتِهِ فَاطِمَةَ وَقَدْ أَخَفَّتْهَا  
خَوْفًا مِنْهُ حَتَّى إِذَا ضَرَبَهَا عَلَى إِيمَانِهَا أَخْرَجَتْهَا مُتَجِدِّدَةً لَهُ،

وَسَأَلَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ  
إِلَيْهِ خَبَّابُ الَّذِي كَانَ مُحْتَثَبًا أَيْضًا فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ فَرَقَا مِنْ  
عُمَرَ، وَكَانَ يُعَلِّمُهَا وَزَوْجَهَا سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، ابْنَ عَمَّهَا،  
وَنُعَيْمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْآنَ، وَدَلَّ خَبَّابُ عُمَرَ عَلَى رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَنَّهُ فِي بَيْتِ عِنْدَ الصَّفَا،  
مَعَهُ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ عَمِدَ  
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابِهِ فَضَرَبَ  
عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ  
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ مِنْ خَلْلِ الْبَابِ،  
فَرَأَاهُ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، وَهُوَ فَرِعٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا عُمَرُ بْنُ  
الْخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:  
فَإِذْنُ لَهُ، فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَدَلْنَاهُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ جَاءَ  
يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ: ائْذَنْ لَهُ. فَإِذْنُ لَهُ الرَّجُلُ، وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>، وَأَسْلَمَ عُمَرُ.

وَعَزَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَمْرِ اللَّهِ بِإِسْلَامِ

(١) سيرة ابن هشام.

حَمْزَةٌ وَعُمَرُ إِذْ كَانَا بِجَانِبَيْهِ، وَاحْتَمَلَ حَمْزَةً كَمَا احْتَمَلَ غَيْرُهُ  
الَّذِي النَّفْسِيَّ وَالْحَرْبَ النَّفْسِيَّةَ وَالْاِقْتِصَادِيَّةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،  
وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ مَدَّةَ بَقَائِهِ فِي مَكَّةَ.

### فِي الْمَدِينَةِ

وَأُذِنَ بِالْهَجْرَةِ، وَبَدَأَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ يَأْخُذُونَ طَرِيقَهُمْ  
إِلَى الْمَدِينَةِ أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ، بَعْضُهُمْ سِرًّا مُتَخَفِينَ مِنْ أَهْلِهِ  
وَخَائِفًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَبَعْضُهُمْ عَلَنًا مُعْتَزًّا بِإِسْلَامِهِ وَمُتَحَدِّيًا  
لِقُرَيْشٍ وَلِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ حَمْزَةُ وَعُمَرُ وَعَدَدٌ مِنْ  
صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَصَلَ حَمْزَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَنَزَلَ عَلَى كُثُومِ بْنِ الْهِذَمِ،  
وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ.

وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي الْمَدِينَةِ  
آخَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَآخَى بَيْنَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ  
زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ<sup>(١)</sup>.

---

(١) كانت المواخاة بين المسلمين ولم تكن بين المهاجرين والأنصار كما هو  
شائع فهاهما أخوان مهاجران حمزة وزيد، رضي الله عنهما.  
وكانت المواخاة مواخاة في الإسلام لترسيخ معنى الأخوة لا لأسباب  
اقتصادية كما هو شائع فيجب الانتباه إلى ذلك. يرجع إلى سلسلة  
التاريخ الإسلامي الجزء الثاني.

وَقَامَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ عَلَيْهَا أَنْ تُبَيَّنَ قِيَامُهَا، وَتُثَبَّتَ كَيَانُهَا بِبَيْتِ السَّرَايَا فِي مَنَازِلِ الْقَبَائِلِ الْمُحِيطَةِ بِالْمَدِينَةِ وَفِي أَرَاضِي تِلْكَ الْجِهَاتِ حَتَّى تَعْلَمَ الْقَبَائِلُ بِمَا تَمَّ، وَتَعْرِفَ مَاذَا حَدَثَ دَاخِلَ عَاصِمَةِ الدَّوْلَةِ الْجَدِيدَةِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فَإِنَّ هَذِهِ السَّرَايَا تَدْرُسُ الْأَرْضَ الَّتِي تَجُوسُ خِلَالَهَا وَتَتَحَرَّكُ فَوْقَهَا فَإِنَّ عَلَى سَاحَتَيْهَا سَتَكُونُ أَحْدَاثٌ، إِذْ أَنْ قُرَيْشًا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُزْعِجَهَا قِيَامُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَسَتَعْمَلُ عَلَى خَنْفِهَا قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ سَاعِدُهَا، لِأَنَّهَا قَدْ قَامَتْ عَلَى كَوَاهِلِ الْفَارَّينَ مِنْ بَطْشِهَا وَالْمُغَادِرِينَ دِيَارَهَا مِنْ ظُلْمِهَا، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ هِيَ مَجَالُ حَرَكَةِ قَوَائِلِ قُرَيْشٍ الذَّاهِبَةِ إِلَى الشَّامِ وَالْأَبْيَةِ مِنْهَا، وَلَا تُرِيدُ قُرَيْشٌ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْبُقْعَةُ تَحْتَ حِمَايَةِ أَعْدَائِهَا وَمَكَانٍ تُفَوِّذُهُمْ لَذَا يَجِبُ أَنْ تُزِيحَهُمْ عَنْهَا بِكُلِّ مَا أُمَكَّنَهَا مِنْ وَسَائِلَ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ غَادَرُوا دِيَارَهُمْ فِي مَكَّةَ فَسَطَطَتْ عَلَيْهَا قُرَيْشٌ، وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ فَانْتَهَبَتْهَا الْجَاهِلِيَّةُ، كَمَا حَالَ الْكُفَّارُ فِي مَكَّةَ بَيْنَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا وَبَيْنَ الْهَجْرَةِ، فَعَاشَ هَؤُلَاءِ تَحْتَ الْإِقَامَةِ الْجَبْرِِيَّةِ فِي ظِلِّ الظُّلْمِ وَتَحْتَ وَاقِعِ الْأَذَى، يُحَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ مَعَ إِخْوَانِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنَّ وَقَعَتْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ قَافِلَةٌ لِقُرَيْشٍ لَا بُدَّ

لَهُمْ مِنْ أَنْ يَأْخُذُوهَا كَشَيْءٍ مِنَ التَّعْوِضِ عَمَّا فَقَدُوهُ وَعَمَّا  
وَضَعَتِ الْجَاهِلِيَّةُ يَدَهَا عَلَيْهِ .

انْطَلَقَتِ الْغَزَوَاتُ وَالسَّرَايَا تَجُوسُ تِلْكَ الدِّيَارِ ، فَغَزَا  
رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، غَزْوَةَ (وَدَّانَ) ، وَتُسَمَّى  
غَزْوَةَ (الْأَبْوَاءِ) أَيْضًا ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَلَمْ يَجِدْ كَيْدًا وَقَدْ  
وَادَعَ بَنِي ضَمْرَةَ .

وَأَرْسَلَ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ  
إِلَى مَاءٍ بِالْحِجَازِ ، وَقَدْ لَقِيَ جَمْعًا عَظِيمًا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَلَمْ يَجِرْ  
قِتَالُ بَيْنِ الطَّرْفَيْنِ ، غَيْرَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَدْ رَمَى يَوْمَئِذٍ  
بِسَهْمٍ . وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ بَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَمْزَةَ  
إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَيْصِ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا مِنَ  
الْمُهَاجِرِينَ . وَكَانَتْ سَرِيَّةُ الْحَمْزَةِ وَسَرِيَّةُ عُبَيْدَةَ فِي آنٍ وَاحِدٍ  
لِيَتَنَاقَلَ الْأَعْرَابُ أَخْبَارَ السَّرَايَا الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَثَرَتِهَا وَهِيَ تَتَّجُهُ  
إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَكُلُّهَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَهَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْقُوَّةِ  
وَالْكَثْرَةِ . وَلَقِيَ الْحَمْزَةُ أَبَا جَهْلٍ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَاكِبٍ أَيْ عَشْرَةَ  
أَمْثَالَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَعَ الْحَمْزَةِ فِي الْعَدَدِ ، وَكَانَ هَذَا  
الْلِقَاءُ بَيْنَ أَحَدٍ وَجُوهِ الْمُسْلِمِينَ وَصَنَادِيدِهِمْ وَبَيْنَ أَحَدٍ  
رُؤُوسِ الْمُشْرِكِينَ وَجَبَابِرَتِهِمْ ، وَأَظْلَمَ الْمَوْقِفُ ، وَأَصْرَّ

حَمْزُهُ عَلَى الْقِتَالِ رَغْمَ قَلَّةٍ مِنْ مَعَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ إِذْ  
شَعَرَ أَنَّهُ أَقْوَى مِنْ جُنُودِ الْأَرْضِ جَمِيعًا لِمَا يَحْمِلُ هُوَ وَمَنْ  
مَعَهُ مِنْ إِيْمَانٍ . غَيْرَ أَنَّ مَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيَّ حَجَزَ بَيْنَهُمَا  
وَكَانَ مُوَادِعًا لِلطَّرَفَيْنِ ، فَأَنْصَرَفَ بَعْضُ الْقَوْمِ عَنْ بَعْضٍ ،  
وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ .

### فِي بَدْرِ

انْتَهَتْ مَرَحَلَةُ الاسْتِظْلَاعِ ، وَانْتَهَتْ مَرَحَلَةُ إِثْبَاتِ الْكَيَانِ ،  
وَانْتَهَتْ مَرَحَلَةُ الاسْتِعْدَادِ وَشَحْذِ الْهَمَمِ ، وَانْتَهَتْ مَرَحَلَةُ  
التَّحَرُّشِ بَعْدَ سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ ، حَيْثُ جَرَى فِيهَا  
قَتْلُ وَاسْتِیْلَاءُ عَلَى تِجَارَةِ لِقْرِيشٍ ، وَجَاءَ الْإِذْنُ بِالْقِتَالِ فَعَمَدَ  
رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى الْمُوَاجَهَةِ ، وَالْبَدءِ  
بِأَخْذِ الْقَوَائِلِ ، فَقَرَّرَ التَّعَرُّضَ لِقَافِلَةِ أَبِي سُفْيَانَ الذَّاهِبَةِ إِلَى  
الشَّامِ غَيْرَ أَنَّهَا قَدْ فَاتَتْهُ ، فَوَضَعَ رِجَالًا يَتَرَصَّدُونَهَا حِينَ  
الْعُودَةِ .

وَعَادَتِ الْقَافِلَةُ ، وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، فَندَبَ الْمُسْلِمِينَ لِلْخُرُوجِ لَهَا ، فَخَفَّ بَعْضُهُمْ وَثَقَلَ  
بَعْضُهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، يَلْقَى حَرْبًا .

خَرَجَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَمِائَتَانِ وَوَاحِدٌ وَثَلَاثُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ طَلِيعَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا. وَكَانَتْ حَالَتُهُمْ تَذُلُّ عَلَى ضَعْفِهِمْ بِمِقْيَاسِ الْمَادَّةِ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ سِوَى ثَلَاثَةِ جِيَادٍ هِيَ لِلزُّبَيْرِ، وَالْمُقْدَادِ، وَمَرْثِدٍ، وَسَبْعِينَ بَعِيرًا. يَعْتَقِبُ كُلُّ عَدَدٍ مِنْهُمْ وَاحِدًا مِنْهَا. فَكَانَ حَمْزَةُ، وَزَيْدٌ، وَأَبُو كَبْشَةَ، وَأَنْسَةَ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو بَكْرٍ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا. وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلِيٌّ، وَمِرْتَدٌ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا. أَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ فَهُمْ أَقْوَى مِنَ الْأَرْضِ كُلِّهَا بِإِيمَانِهِمْ، وَمَكَانَتِهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، وَهُمْ أَكْثَرُ وَزْنًا مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي تَكَادُ الْأَرْضُ تَحْنِي تَحْتَهُمْ لِثِقَلِهِمْ، تَكْلُوهُمْ عَيْنُ اللَّهِ، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مَخْلُوقَاتُهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى.

وَعَلِمَ أَبُو سُفْيَانَ بُخْرُوجَهُمْ فَغَيَّرَ طَرِيقَهُ وَنَجَا بِقَافِلَتِهِ وَأَنْبَاءُ قُرَيْشًا فَخَرَجَتْ تَحْمِي قَافِلَتَهَا، وَتَنْصُرُ رِجَالَهَا، وَتَشَارُ مِمَّا لَحِقَهَا، وَتَقْضِي عَلَى عَدُوِّهَا، وَالتَقَى الْخَارِجُونَ لِلْقَافِلَةِ مَعَ الْخَارِجِينَ لِلْقِتَالِ، وَتَوَاجَهَ الذَّاهِبُونَ لِلْعِيرِ مَعَ الْمُسْتَعِدِّينَ لِلنِّزَالِ، وَاصْطَدَمَ أَصْحَابُ الْإِمْكَانَاتِ وَالطَّاقَاتِ مَعَ النَّفَرِ



الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَيْسَتْ لَدَيْهِمْ آيَةٌ إِمَكَانَاتٍ، وَتَقَابَلَتِ الْقِلَّةُ الْقَلِيلَةُ مَعَ الْكَثْرَةِ الْكَثِيرَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِتَدْبِيرِ اللَّهِ وَتَهْيِئَتِهِ لِيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ، وَلِيَبْطِلَ الْبَاطِلُ، وَلِيُبَيِّنَ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ وَلَيْسَ لِلْبَشَرِ مِنْ شَيْءٍ مَهْمَا كَثُرَ عَدَدُهُمْ، أَوْ تَعَاطَمَ سِلَاحُهُمْ، أَوْ ضَخُمَتْ إِمَكَانَاتُهُمْ. وَعِنْدَمَا وَقَفَ الطَّرَفَانِ وَجْهًا لَوَجْهِ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ تَكَافُؤٍ فِي مِيزَانِ الْأَرْضِ وَحِسَابِ أَهْلِ الْأَرْضِ غَيْرَ أَنَّ حِسَابَ السَّمَاءِ غَيْرُ حِسَابِ الْخَلْقِ، وَمَا هِيَ إِلَّا جَوْلَةٌ حَتَّى ظَهَرَ الْحَقُّ وَانْدَحَرَ الْبَاطِلُ بِجُمُوعِهِ وَسِلَاحِهِ وَطَاقَاتِهِ وَأَيُّقَنَ سَاعَتَيْدُ أُولَوِ الْأَلْبَابِ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَلَا صِحَّةَ أَبَدًا لِمَا يَقِيسُ بِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَمَا يَزِنُونَ بِهِ، وَمَا يُطْلِقُونَ أَحْكَامَهُمْ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ الْمُشْرِكِينَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ، وَكَانَ رَجُلًا شَرِسًا سَيِّئَ الْخُلُقِ، فَقَالَ: أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَشْرَبَنَّ مِنْ حَوْضِهِمْ أَوْ لِأَهْدُمُنَّهُ، أَوْ لِأَمُوتَنَّ دُونَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً فَأَصَابَتْ سَاقَهُ فَأَطَاحَتْ بِهَا مَعَ الْقَدَمِ فَوَقَعَ يَنْزِفُ دَمُهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَخَذَ يَحْبُو نَحْوَ الْحَوْضِ يُرِيدُ أَنْ يَبْرَّ بِقَسَمِهِ - حَسَبَ زَعْمِهِ - فَضْرَبَهُ حَمْزَةُ ضَرْبَةً أُخْرَى قَضَتْ عَلَيْهِ.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ الْمُشْرِكِينَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ فَدَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ، وَمُعَوَّذُ بْنُ الْحَارِثِ. فَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَكْفَاءُ كِرَامَ، مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ، إِنَّمَا نُرِيدُ قَوْمَنَا. ثُمَّ نَادَى: يَا مُحَمَّدُ أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، قُمْ يَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قُمْ يَا عَلِيٌّ. فَقَامُوا، وَدَنَوْا مِنْهُمْ، قَالَ عُتْبَةُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَانْتَسَبُوا لَهُ؛ قَالَ: نَعَمْ، أَكْفَاءُ كِرَامَ. فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ عُتْبَةَ، وَحَمْزَةُ شَيْبَةَ، وَعَلِيٌّ الْوَلِيدَ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلَ حَمْزَةَ وَعَلِيٌّ صَاحِبَيْهِمَا، وَاخْتَلَفَ عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ ضَرْبَتَيْنِ بَيْنَهُمَا، كِلَاهُمَا أَثَبَتْ صَاحِبَهُ، وَكَرَّ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ بِأَسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ فَقَتَلَاهُ وَحَمَلَا عُبَيْدَةَ إِلَى صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ تَزَاخَفَ النَّاسُ وَاشْتَبَكَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَلَقَتْ رِيحُ الْحَرْبِ الْمُشْرِكِينَ لَفَةً وَاحِدَةً فَأَلْقَتْ سَبْعِينَ قِتِيلًا مِنْهُمْ، وَرَمَتْ مِثْلَهُمْ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ.

لَقَدْ كَانَ حَمْزَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَتَحَرَّكُ إِلَى كُلِّ مَوْقِعٍ.

فَيُخَنُّ فِي الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ فَيَقْتُلُ مَنْ يَجِدُهُ  
أَمَامَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَيَنْشِي إِلَى جِهَةٍ ثَانِيَةٍ لِيُشَارِكَ فِي قَتْلِ  
الْمُشْرِكِينَ إِنْ وَجَدَ الْأَمْرَ يَحْتَاجُ إِلَى مَعُونَةٍ . لَقَدْ قَتَلَ سِتَّةً مِنْ  
أَعْدَاءِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَشَارَكَ فِي قَتْلِ خَمْسَةٍ آخَرِينَ .

وَلَقَدْ أَسَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَوْمَ ذَاكَ أُمِيَّةَ بْنَ خَلْفٍ  
وَابْنَهُ عَلِيًّا<sup>(١)</sup> ، فَقَالَ أُمِيَّةُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : مَنْ الرَّجُلُ مِنْكُمْ الْمُعْلَمُ  
بِرِيْشَةٍ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ قَالَ :  
ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ .

وَبَعْدَ بَدْرِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَقْضَ بَنُو قَيْنِقَاعَ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَأَعْطَى إِلَى عَمِّهِ  
حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ اللِّوَاءَ ، فَحَاصَرَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى  
حُكْمِهِ ، فَأَجْلَاهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ .

## اسْتِشْهَادُ الْحَمْزَةِ

مَا كَادَ يَسْتَدِيرُ الْعَامَ عَلَى بَدْرِ حَتَّى خَرَجَتْ قُرَيْشٌ حَاقِدَةً

---

(١) أخذوا بعدئذٍ من عبد الرحمن بن عوف وقتلا بعد أن عرفهما بلال فصرخ  
بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأس الكفر أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، لا نجوت إن  
نجا ، فأحاط المسلمون بهما ، ولم يستطع عبد الرحمن بن عوف الدفاع  
عنهما .

نَاقِمَةً ثَائِرَةً، قَدْ جَمَعَتْ سِلَاحَهَا وَأَعْدَادَهَا وَمَا اسْتَطَاعَتْ  
ضَمَّهُ إِلَيْهَا مِنْ رِجَالِ الْقَبَائِلِ وَالْأَحْلَافِ وَمَنْ وَالَاهَا وَكُلٌّ مِنْ  
سَارِ بَرَايِهَا، وَاتَّجَهَتْ نَحْوَ الْمَدِينَةِ تُرِيدُ الثَّأْرَ، وَإِزَالَةَ كَيْبَانِ  
الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْفَتِيَّةِ مِنْ جُذُورِهِ إِنْ تَمَكَّنَتْ مِنْ ذَلِكَ.  
وَوَصَلَتْ تِلْكَ الْجُمُوعُ إِلَى شِمَالِ الْمَدِينَةِ وَنَزَلَتْ «مَجْمَعِ  
الْأَسْيَالِ» بِالْقُرْبِ مِنْ جَبَلٍ أُحْدِ إِلَى الْغَرْبِ أَوْ الْجَنُوبِ  
الْغَرْبِيِّ مِنْهُ.

وَتَرَدَّدَتْ أَصْدَاءُ تِلْكَ الْحَمَلَةِ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْاِعْتِصَامَ فِي الْمَدِينَةِ، وَمُقَاتَلَةَ الْأَعْدَاءِ مِنْ  
دَخِيلِهَا، غَيْرَ أَنَّ حَمَاسَةَ الشَّبَابِ، وَحُبَّ الْجِهَادِ، وَالرَّغْبَةَ فِي  
الشَّهَادَةِ، وَالْخَوْفَ مِنْ ارْتِفَاعِ مَعْنَوِيَّاتِ قُرَيْشٍ لَظَنُّهَا أَنَّ  
الْمُسْلِمِينَ قَدْ جَبُنُوا عَنْ الْخُرُوجِ لِلنِّزَالِ كُلِّ ذَلِكَ قَدْ دَفَعَ  
بَعْضُهُمْ لِإِبْدَاءِ رَأْيِهِمْ بِالْخُرُوجِ وَرُبَّمَا كَانَ حَمْزَةُ بْنُ  
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَحَدَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يُبْدِيَ  
وَجْهَةً نَظَرَ تُخَالِفُ رَأْيًا لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
وَإِنْ كَانَتْ الرُّجُولَةُ وَالشَّهَامَةُ وَالرَّغْبَةُ فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ  
خَارِجَ الْمَدِينَةِ تَبْدُو كُلُّهَا عَلَيْهِ.

وَقَرَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْخُرُوجَ لِلِقَاءِ

الْأَعْدَاءِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَحَيْثُ يُعَسْكَرُونَ، وَتَحَرَّكَ نَحْوَهُمْ،  
وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ، وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ، وَاحْتَدَمَ الْقِتَالُ، وَكَانَ  
حَمْزَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُقَاتِلُ يَوْمَئِذٍ بَسِيفَيْنِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ يُقْبِلُ وَيَذْبُرُ، وَيَقُولُ: أَنَا  
أَسَدُ اللَّهِ.

وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَتَلَ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ  
مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَقَتَلَ أَرْطَاةَ بْنَ عَبْدِ شَرْحِبِيلَ مِنْ بَنِي عَبْدِ  
الدَّارِ أَيْضًا، وَكَانَ أَحَدَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ لَوَاءَ الْمُشْرِكِينَ،  
وَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ بَضْلَةَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى، وَكَانَ  
يُكْنَى بِأَبِي نِيَارٍ، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقْطَعَةِ  
الْبُظُورِ<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا التَقِيَ ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ تَعَثَّرَ حَمْزَةُ فَكَانَ  
أَنْ رَمَاهُ وَحْشِيٌّ بِحَرْبَتِهِ فَوَقَعَتْ فِي ثُنْتِهِ<sup>(٢)</sup> فَقَتَلَتْهُ. يَقُولُ  
وَحْشِيٌّ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حَمْزَةَ يَهْدُ النَّاسَ بِسَيْفِهِ مَا يُلْبِقُ<sup>(٣)</sup>  
بِهِ شَيْئًا مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ<sup>(٤)</sup>، إِذْ تَقَدَّمَ نِيَّ إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ  
عَبْدِ الْعَزَى، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقْطَعَةِ الْبُظُورِ،

(١) كانت أمه أم أنمار ختانة بمكة، وهي مولاة شريق بن عمرو بن وهب  
التَّقْفِي.

(٢) الثنَّة: من أسفل البطن إلى العانة.

(٣) ما يُلْبِقُ: ما يُلْبِقِي.

(٤) الأورق: ذو اللون الأغبر.

فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً فَكَانَ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ، وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثَنَّتِهِ حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، فَأَقْبَلَ نَحْوِي، فَغَلِبَ فَوْقَ، وَأَمْهَلْتُهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِثْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَلَمْ تَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةٌ غَيْرُهُ.

وَحَدَّثَ وَحْشِيُّ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، وَجَعْفَرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ فِي حِمَصَ، فَقَالَ: كُنْتُ عَلَامًا لَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَكَانَ عَمُّهُ طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيِّ قَدْ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا سَارَتْ قُرَيْشُ إِلَى أَحَدٍ، قَالَ لِي جُبَيْرٌ إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمِّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي فَأَنْتَ عَتِيقٌ؛ قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا أَقْدِفُ بِالْحَرْبَةِ قَذْفَ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا أَخْطَىءَ بِهَا شَيْئًا، فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ خَرَجْتُ أَنْظُرُ حَمْزَةَ وَأَتَبَصَّرُهُ، حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عُرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ، يَهْدُ النَّاسَ بِسَيْفِهِ هَذَا، مَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ، فَوَاللَّهِ إِنْ لَأَنْتَهَيَّا لَهُ، أُرِيدُهُ وَأَسْتَبِيرُ مِنْهُ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ لِيَذْنُومَنِي، إِذَا تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سَبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، فَلَمَّا رَأَاهُ حَمْزَةُ قَالَ لَهُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقْطَعَةِ الْبُظُورِ. قَالَ: فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً كَأَنَّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ. قَالَ: وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي، حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا،

دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعْتُ فِي ثُنْتِهِ، حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ،  
وَذَهَبَ لِبْنُوءُ نَحْوِي، فَعُلبَ فَتَرَكْتُهُ وَإِيَّاهَا حَتَّى مَاتَ ثُمَّ أَتَيْتُهُ  
فَأَخَذْتُ حُرْبَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ، فَقَعَدْتُ فِيهِ، وَلَمْ  
يَكُنْ لِي بِغَيْرِهِ حَاجَةٌ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأَعْتَقَ. فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ  
أَعِيقْتُ، ثُمَّ أَقَمْتُ، حَتَّى إِذَا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَمَكَّثْتُ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ وَفَدَ  
الطَّائِفِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيُسَلِّمُوا  
تَعَيَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ، فَقُلْتُ: أَلْحَقُ بِالشَّامِ، أَوِ الْيَمَنِ، أَوْ  
بِبَعْضِ الْبِلَادِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي إِذْ قَالَ لِي  
رَجُلٌ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي  
دِينِهِ، وَتَشْهَدَ شَهَادَتَهُ.

فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يَرُعْهُ إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ  
أَتَشْهَدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ، فَلَمَّا رَأَيْنِي قَالَ: أَوْحِشِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا  
رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: اقْعُدْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؛ قَالَ  
فَحَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمْ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ حَدِيثِي، قَالَ: وَيْحَكَ!  
غَيْبٌ عَنِّي وَجْهَكَ، فَلَا أُرِيَنَّكَ. قَالَ: فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ كَانَ، لِئَلَّا يَرَانِي حَتَّى

قَبْضَهُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

فَلَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ وَتَرَجَعُوا، وَأَصَابَ فِيهِمُ الْعَدُوُّ،  
قَامَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ وَالنُّسُوءُ اللَّاتِي مَعَهَا يُمَثِّلْنَ بِالْقَتْلَى مِنْ  
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُجَدِّعْنَ الْأَذَانَ  
وَالْأُنْفَ، وَأَعْطَتْ قَلَائِدَهَا وَحُلِيِّهَا وَخَشِيئًا غُلَامَ جُبَيْرِ بْنِ  
مُطْعِمٍ، وَبَقَرَتٍ عَنْ كَبِدِ حَمْزَةَ، فَلَاكَتْهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ  
تَسِيغَهَا، فَلَفَظَتْهَا، ثُمَّ عَلَتْ عَلَى صَخْرَةٍ مُشْرِفَةٍ، فَصَرَخَتْ  
بِأَعْلَى صَوْتِهَا فَقَالَتْ:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ  
وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سَعِيرٍ  
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ  
وَلَا أَحْيَى وَعَمَّهُ وَبِكْرِي<sup>(٢)</sup>

---

(١) وخرج وحشي مع المجاهدين لقتال المرتدين، وكانت جهته الإمامة،  
وقتل مسيلمة الكذاب، وكان يقول: قتلت خير الناس بعد رسول الله،  
صلى الله عليه وسلم، وقد قتلت شر الناس. ثم خرج إلى الشام وأقام  
في حمص. وكان مدمناً على الخمر، ولم يزل يحدّ فيها حتى خلع من  
الدِيَّان، فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمت أن الله تعالى لم يكن  
ليدع قاتل حمزة.

(٢) عتبة بن ربيعة: أبوهند، وأخوها الوليد بن عتبة، وعمّها شيبة، وبكرها:  
حنظلة بن أبي سفيان وقد قتل حمزة عمّها شيبة وشارك في قتل أبيها عتبة  
وبكرها حنظلة.



شَفَيْتُ نَفْسِي، وَقَضَيْتُ نَذْرِي  
 شَفَيْتُ وَخْشِي غَلِيلَ صَدْرِي  
 فَشُكْرُ وَخْشِي عَلَى عُمْرِي  
 حَتَّى تَرِمَ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي  
 فَأَجَابَتْهَا هِنْدُ بِنْتُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَتْ:  
 خَزَيْتِ فِي بَدْرِ وَبَعْدَ بَدْرِ  
 يَا بِنْتَ وَقَّاعٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ  
 صَبَّحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ  
 مِلْهَا شِمِيسَ الطُّوَالِ الزُّهْرِ  
 بِكُلِّ قَطْعٍ حُسَامٍ يَفْرِي  
 حَمْزَةَ لَيْثِي وَعَلِيَّ صَقْرِي<sup>(١)</sup>  
 إِذْ رَامَ شَيْبُ وَأَبُوكِ غَدْرِي  
 فَخَضَبَا مِنْهُ نَوَاحِي النَّحْرِ  
 وَنَذَرُكَ السُّوءَ فَشَرُّ نَذْرِ

---

= ثم أسلمت يوم فتح مكة، وبايعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم،  
 وحسن إسلامها، وإسلام زوجها أبي سفيان، وهي أم معاوية بن أبي  
 سفيان، رضي الله عنهم جميعاً.

(١) قتل علي بن أبي طالب: الوليد بن عتبة، أخا هند، وشارك حمزة في قتل  
 أبيها عتبة، وشارك حمزة وزيدا في قتل ابنتها البكر حنظلة.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَلْتَمِسُ  
 حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَوَجَدَهُ بِبَطْنِ الْوَادِي قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ  
 عَنْ كَبِدِهِ، وَمِثْلَ بِهِ، فَجَدِّعَ أَنْفَهُ وَأَذْنَاهُ، فَقَالَ حِينَ رَأَى مَا  
 رَأَى: «لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ، وَيَكُونَ سُنَّةٌ مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ،  
 حَتَّى يَكُونَ فِي بَطْنِ السَّبَاعِ، وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ، وَلَيْسَ  
 أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لَأُمَثِّلَنَّ  
 بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ». فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ،  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَغَيْظَهُ عَلَى مَنْ فَعَلَ بِعَمِّهِ مَا فَعَلَ،  
 قَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرْنَا اللَّهُ بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ  
 مِثْلَهُ لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ.

وَلَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَمْزَةَ  
 قَالَ: لَنْ أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا! مَا وَقَفْتُ مَوْفَقًا قَطُّ أَغِيظُ إِلَيَّ مِنْ  
 هَذَا! ثُمَّ قَالَ: جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ  
 الْمُطَّلِبِ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ: حَمْزَةُ أَسَدُ  
 اللَّهِ، وَأَسَدُ رَسُولِهِ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْمِثْلَةِ، مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ،  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا  
 بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ

وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ»<sup>(١)</sup>. فَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَبَرَ وَنَهَى عَنِ الْمُثَلَّةِ. وَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَهَا مِنْ مَقَامٍ قَطُّ وَفَارَقَهُ، حَتَّى يَأْمُرَ بِالصَّدَقَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُثَلَّةِ.

وَأَقْبَلْتُ صَفِيَّةً بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِيَنْتَظَرَ إِلَيْهِ، وَكَانَ شَقِيقًا لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَابْنِهَا الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ: الْقَهَا فَأَرْجِعْهَا لَا تَرَى مَا بِأَخِيهَا؛ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمُّهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْمُرُكَ أَنْ تَرْجِعِي، قَالَتْ: وَلِمَ؟ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ مُثِّلَ بِأَخِي، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ، فَمَا أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ! لَأَحْتَسِبَنَّ وَلَا صَبْرَنَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَلَمَّا جَاءَ الزُّبَيْرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ؛ قَالَ: خَلِّ سَبِيلَهَا، فَأَتَتْهُ، فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَاسْتَرْجَعْتُ، وَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدُفِنَ. وَكُفِّنَ فِي نَمِرَةٍ إِذَا خُمِرَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا خُمِرَتْ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ. وَقَالَ: «وَأَنَا شَهِيدٌ

(١) سورة النحل: الآيتان ١٢٦ و ١٢٧.

عَلَيْكُمْ»، وَكَانَ يَجْمَعُ الثَّلَاثَةَ فِي قَبْرِ، وَالْاِثْنَيْنِ، وَيَسْأَلُ:  
أَيُّهُمَا أَكْثَرُ قُرْآنًا فَيَقْدِّمُهُ فِي اللَّحْدِ، وَكُفِّنَ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي  
تُوبِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَّى عَلَى قَتْلَى أَحَدِ صَلَاتِهِ عَلَى  
الْمَيِّتِ. فَهَذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ<sup>(١)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ صَلَّى عَلَى حَمْزَةَ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقَتْلَى، فَجَعَلَ  
يُصَلِّي عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهُمْ بِسَبْعِ تَكْبِيرَاتٍ وَيَرْفَعُ وَيَتْرَكَ حَمْزَةَ،  
حَتَّى صَلَّى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ صَلَاةً حَيْثُ فَرَّغَ مِنْهُنَّ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ دُفِنَ حَمْزَةُ وَابْنُ أُخْتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ<sup>(٣)</sup> فِي قَبْرِ  
وَاحِدٍ.

ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَاجِعًا إِلَى  
الْمَدِينَةِ. فَلَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَلَمَّا لَقِيَتْ النَّاسَ نُعِيَ  
إِلَيْهَا أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ  
لَهُ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا خَالَهَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَاسْتَرْجَعَتْ

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد، والبيهقي.

(٢) ضعيف.

(٣) عبدالله بن جحش: أمه أميمة بنت عبد المطلب، أخت حمزة.

وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نَعِيَ إِلَيْهَا زَوْجَهَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ،  
فَصَاحَتْ وَوَلَوْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ! لِمَا رَأَى مِنْ تَبَيُّهَا عِنْدَ أَخِيهَا  
وَخَالَهَا، وَصِيَّاحِهَا عَلَى زَوْجِهَا.

وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِدَارٍ مِنْ دُورِ  
الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَظَفِيرٍ، فَسَمِعَ النَّوَائِحَ وَالْبُكَاءَ  
عَلَى قَتْلَاهُمْ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ! فَلَمَّا رَجَعَ  
سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ  
أَمَرَا نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَّزْنَ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ عَلَى عَمِّ رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بُكَاءَهُنَّ  
عَلَى حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ، وَهَنَّ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ،  
فَقَالَ: ارْجِعْنَ يَرْحَمَكُنَّ اللَّهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ بِأَنْفُسِكُنَّ.

وَرُويَ أَنَّهُ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ الْأَنْصَارَ! فَإِنَّ الْمَوَاسَاةَ مِنْهُمْ مَا  
عَتِمَتْ لَقْدِيمَةً، مُرُوهُنَّ فَلْيَنْصَرِفْنَ.

وَنَهَى يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّوْحِ.

## الخَاتِمَةُ

اسْتَشْهَدَ حَمْزَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، فَكَانَ أَسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَرْبَعِ سِنِينَ. وَكَانَ رَجُلًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ.

كَانَ اسْتِشْهَادُ حَمْزَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَاجِعَةً كَبِيرَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَنَصْرًا عَظِيمًا لِلْمُشْرِكِينَ، فَهُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَلَاذًا قَوِيًّا لِلْمُسْلِمِينَ وَقَتَ الشَّدَةِ، فَقَدْ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي مَكَّةَ، وَنَصَرَهُمْ بِسَالَتِهِ وَأَمْثَالِهِ فِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ بَطْلَهُمْ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ، وَأَمَامَهُمْ فِي التَّزَالِ، وَكَانَ شَوْكَةً فِي عَيْنِ الْمُشْرِكِينَ ذَاقُوا مِنْهُ الْوَيْلَاتِ فَقَدْ حَطَّمْ غُرُورَهُمْ بِقَتْلِ صَنَادِيدِهِمْ إِذْ لَمْ يَقِفْ أَمَامَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلَهُ، وَلَمْ يَبْرُزْ لَهُ فَارِسٌ مِنْهُمْ إِلَّا صَرَغَهُ، لِذَا لَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يَفْخَرَ الْمُسْلِمُونَ بِشَجَاعَتِهِ وَيَبَاهُونَ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، وَيَبْكُونَهُ، وَيَرْثِيهِ شَعْرَاؤُهُمْ بِأَحْرَقَصَائِدِهِمْ وَأَصْدَقِيهَا، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ لَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يَبْتَهَجَ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِهِ، وَيَفْرَحُونَ بِمَصْرَعِهِ، وَيَعْدُونَ قَتْلَهُ نَصْرًا لَهُمْ. بَلْ إِنَّ مُعْظَمَ مَا قِيلَ مِنْ شِعْرِ مَنْ كِلَا الطَّرَفَيْنِ إِنَّمَا كَانَ يَدُورُ فِي هَذَا الْمَنْحَى وَيَذْكُرُ حَمْزَةَ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ .

وَلَيْسَ لِقُرَيْشٍ أَنْ تَفْخَرَ بِقَتْلِ حَمْزَةٍ، إِذْ قُتِلَ غَدْرًا، وَلَمْ  
يَجْرُؤْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى مُنَازَلَتِهِ، لِذَا فَقَدْ أَغْرَوْا بِهِ عَبْدًا حَبَشِيًّا،  
وَمَنَّوهُ بِالْعِتْقِ وَهَذَا أَكْبَرُ أُمْنِيَةٍ لَهُ وَأَعَزُّهَا عِنْدَهُ فَاعْتَالَهُ غَدْرًا،  
وَقَدْ جَبُنَ أَسْيَادُهُ عَلَى مُوَاجَهَةِ ذَلِكَ الْغَضَنْفَرِ، وَخَافُوا مِنْ  
لِقَائِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ فَقَدْ كَانَ أَنْمُودَجًا لِشَجَاعَةِ  
الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .





بُـنَاةُ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٢٦

عَلِّمَ بِنُتَابِ  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ



عَاصِمٌ: أَحَدُ رِجَالِ الْأَوْسِ الْمَعْرُوفِينَ، وَأَبْرَزِ الرُّمَاءِ  
الْمَعْدُودِينَ، أَسْلَمَ مَعَ وَصُولِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَخْلَصَ  
وَبَذَلَ كُلَّ طَاقَاتِهِ فِي سَبِيلِ فِكْرَتِهِ حَتَّى نَالَ الشَّهَادَةَ فِي شَهْرِ  
صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ.

أَبُوهُ:

ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَيُلَقَّبُ «قَيْسُ» بِأَبِي الْأَقْلَحِ، وَلِذَا  
يُدْعَى عَاصِمٌ بِـ (عَاصِمِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ).

أُمُّهُ:

الشُّمُوسُ بِنْتُ أَبِي عَامِرٍ بْنِ صَيْفِيٍّ مِنَ الْأَوْسِ أَيْضًا.

زَوْجَتُهُ:

تَزَوَّجَ عَاصِمٌ هِنْدَ بِنْتَ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو حَذِيفَةَ، وَأُنْجِبَتْ لَهُ  
مُحَمَّدًا، وَكَانَ لِمُحَمَّدٍ هَذَا وَلَدٌ يُدْعَى عَبْدَ اللَّهِ، وَيُلَقَّبُ

بِالْأَحْوَصِ ، وَهُوَ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ .  
كُنْيَتُهُ :

يُكْنَى عَاصِمُ بِـ (أَبِي سُلَيْمَانَ) .

وَتَزَوَّجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أُخْتَ عَاصِمٍ جَمِيلَةً بَنَتْ  
ثَابِتَ ، وَأُنْجِبَتْ لَهُ عَاصِمًا ، وَتَزَوَّجَ عَاصِمُ الْفَتَاةَ الَّتِي لَمْ  
تَسْمَعْ مِنْ أُمِّهَا ، فَلَمْ تَقْبَلْ مَزْجَ الْمَاءِ مَعَ الْحَلِيبِ ، وَقَالَتْ  
لَهَا : إِنْ لَمْ يَرْنَا عُمَرُ فَإِنَّ رَبَّ عُمَرَ يَرَانَا ، وَأُنْجِبَتْ هَذِهِ لِعَاصِمٍ  
مُحَمَّدًا وَفَتَاةً تُدْعَى «أُمَّ عَاصِمٍ» تَزَوَّجَهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ  
مُرْوَانَ فَأُنْجِبَتْ لَهُ «عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ» الْخَلِيفَةُ  
الْمَعْرُوفُ .

### فِي الْجِهَادِ

هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ  
اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، آخَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِتَمْتِنَ  
الصَّلَاةُ بَيْنَهُمْ جَمِيعًا ، وَلِتَحْقِيقِ أَخُوَّةِ الْإِيمَانِ ، وَقَدْ آخَى  
رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
جَحْشٍ وَبَيْنَ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ .

وَلَمَّا نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْمُسْلِمِينَ

لِلخُرُوجِ إِلَى قَافِلَةِ أَبِي سُفْيَانَ كَانَ عَاصِمٌ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ خَرَجُوا، غَيْرَ أَنَّ تَقْدِيرَ اللَّهِ كَانَ أَنْ التَّقَى الْمُسْلِمُونَ مَعَ جُمُوعِ قُرَيْشٍ الَّتِي جَاءَتْ لِجِمَايَةِ الْقَافِلَةِ، وَكَانَتْ الْقَافِلَةُ قَدْ نَجَتْ بِتَغْيِيرِ خَطِّ سَيْرِهَا، وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ، وَقَدْ أَبْلَى فِيهَا عَاصِمٌ بَلَاءً حَسَنًا، وَبَعْدَ الْمَعْرَكَةِ قَتَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعِيطٍ صَبْرًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَاتَلَ عَاصِمٌ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَتَلَ مُسَافِعَ بْنَ طَلْحَةَ وَأَخَاهُ الْجَلَّاسَ بْنَ طَلْحَةَ، كِلَاهُمَا يَزِمِيهِ بِسَهْمٍ، فَيَأْتِي أُمَّهُ سُلَافَةَ فَيَضَعُ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهَا، فَتَقُولُ: يَا بُنَيَّ مَنْ أَصَابَكَ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ رَجُلًا حِينَ رَمَانِي وَهُوَ يَقُولُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ أَبِي الْأَقْلَحِ. فَتَذَرْتُ: إِنَّ أَمَكْنَهَا اللَّهُ مِنْ رَأْسِ عَاصِمٍ أَنْ تَشْرَبَ فِيهِ الْخَمْرَ، وَجَعَلْتُ مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ يَأْتِيهَا بِرَأْسِهِ. وَكَانَ عَاصِمٌ قَدْ عَاهَدَ اللَّهُ أَنْ لَا يَمَسَّ مُشْرِكًا أَبَدًا، وَلَا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ.

وَتَبَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ وَلَّى النَّاسُ، وَبَايَعَهُ عَلَى الْمَوْتِ.

وَبَعْدَ أَنْ لَاحَقَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُرَيْشًا بَعْدَ أُحُدٍ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِغَارَةَ

عَلَى الْمَدِينَةِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجْرُوا عَلَى الثَّبَاتِ لِلْمُسْلِمِينَ فَقَرَّ  
أَبُو سُفْيَانَ بِمَنْ مَعَهُ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فِي جِهَةِ ذَلِكَ، قَبْلَ رُجُوعِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، مُعَاوِيَةَ بْنَ  
الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَأَبَا عَزَّةَ الْجُمَحِيِّ،  
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَسْرَهُ بِدَرٍّ، ثُمَّ  
مَنْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْلِنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهِ لَا تَمْسَحُ عَارِضِيكَ بِمَكَّةَ  
بَعْدَهَا، وَتَقُولُ: خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ  
مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، فَضَرَبَ  
عُنُقَهُ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَ  
أَبِي عَزَّةَ.

### اسْتِشْهَادُ عَاصِمٍ

بَعْدَ أَحَدِ اسْتَأْسَدَاتِ الْقَبَائِلُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَطَمِعَتْ  
بِأَهْلِهَا، وَظَنَّتْ أَنَّ نَصْرَ قُرَيْشِ الظَّاهِرِيِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَدْ  
جَعَلَهُمْ فِي مَهَبٍ الرِّيحِ، وَلَنْ يَلْبَثَ أَمْرُهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقَ، فَبَدَأَتْ  
كُلُّ قَبِيلَةٍ وَكُلُّ جَمَاعَةٍ تَعْمَلُ لِلنَّيْلِ مِنْهُمْ وَلِأَخْذِ نَصِيبِهَا حَتَّى  
إِذَا زَادَ ضَعْفُهُمْ انْقَضَ الْجَمِيعُ عَلَى الْمَدِينَةِ فَانْتَهَبُوهَا وَسَبَّوْا  
نِسَاءَهَا وَقَتَلُوا رِجَالَهَا وَقَضَوْا عَلَى الدَّوْلَةِ النَّاشِئَةِ وَتَخَلَّصُوا

مِنْهَا ، وَهَذِهِ طِبَاعُ النَّفْسِ الْمَرِيضَةِ .

غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ النَّفْسِ لَا يَمْلِكُونَ الشَّجَاعَةَ أَبَدًا ، وَتَنْقُصُهُمُ الْحِكْمَةُ ، وَعِنْدَهُمْ مِنَ الْخِسَّةِ وَالذَّنَاءَةِ الْكَثِيرُ ، وَلَدَيْهِمْ مِنَ الْجُبْنِ وَالْحَقَارَةِ مَا لَا يُوصَفُ ، وَبِهَذِهِ الطَّبَاعِ يُرِيدُونَ الْحُصُولَ عَلَى الْمَغْنَمِ وَيَظُنُّونَ فِي ذَلِكَ شَجَاعَةً وَذِكَاءً . وَمِنْ هَؤُلَاءِ عَضَلُ وَالْقَارَةُ .

قَدِمَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا ، فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَنَا فِي الدِّينِ ، وَيُقَرِّئُونَنَا الْقُرْآنَ ، وَيُعَلِّمُونَنَا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ . إِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا مُوَاجَهَةَ الْمُسْلِمِينَ فَرَغِبُوا أَنْ يَنْفَرُوا بِنَفَرٍ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَجْرُؤُوا عَلَى لِقَاءِ عَدَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُتَفَرِّدِينَ فِي مَكَانٍ فَلَجَّؤُوا إِلَى الْمُرَاوَعَةِ وَالْحِيلَةِ .

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَعَ هَذَا الرَّهْطِ مِنَ الْكَذَّابِينَ الْمُرَاوِعِينَ نَفَرًا سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُمْ : عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبِي الْأَقْلَحِ ، وَمَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ ، الْغَنَوِيُّ ، وَخَالِدُ بْنُ الْبَكِّيرِ اللَّيْثِيُّ ، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَزَيْدُ بْنُ الدِّثْنَةِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ . وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ،

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الْقَوْمِ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَقِيلَ:  
مَرْتَدُّ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ.

وَانْطَلَقَ الرُّكْبُ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَعْمَلُونَ عَلَى تَعْلِيمِ مَنْ  
مَعَهُمْ، غَيْرَ أَنَّ عُقُولَ أَوْلِيكَ لَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ  
إِذْ كَانُوا يُفَكِّرُونَ فِي حِيلَةٍ لِلتَّمَكُّنِ مِنَ الصَّحَابَةِ  
دُونَ مُوَاجَهَةِ رَغَمَ كَثَرَتِهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِ الْقُرَاءِ الْمُعَلِّمِينَ،  
حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْحِجَازِ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ عَلَى مَاءٍ  
لِهَذِيلٍ يُقَالُ لَهُ «الرَّجِيعُ» عِنْدَ صُدُورِ «الْهَدَاةِ» غَدَرُوا بِهِمْ،  
وَلَمْ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ كُفْئًا لِمُوَاجَهَتِهِمْ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى  
مُقَابَلَتِهِمْ، فَاسْتَصْرَحُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلًا، وَاجْتَمَعَتْ هُذَيْلُ  
وَرَهْطُ عَضَلٍ وَالْقَارَةَ وَحَمَلُوا السُّيُوفَ وَأَشْرَعُوا الرِّمَاحَ وَكَأَنَّهُمْ  
يَسِيرُونَ لِلِقَاءِ جَيْشٍ عَزَمَرَمٍ، فَلَمْ يَرُعِ الصَّحَابَةُ، وَهُمْ فِي  
رِحَالِهِمْ، إِلَّا الرُّجَالُ بِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفَ وَالرِّمَاحَ قَدْ عَشَوْهُمْ،  
فَاسْرَعَ الصَّحَابَةُ إِلَى سَيُوفِهِمْ فَأَخَذُواهَا لِيَقَاتِلُوهُمْ.

وَيَقَعُ الْخَوْفُ الشَّدِيدُ فِي نُفُوسِ الْمُعْتَدِينَ رَغَمَ كَثَرَتِهِمْ لِمَا  
يَعْلَمُوهُ مِنْ قُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَشِدَّةِ بَأْسِهِمْ، وَتَضَحُّيَتِهِمْ، وَحُبُّ  
الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَيْرَ مُبَالِغِينَ بِكَثْرَةِ عَدُوٍّ أَوْ مَضَاءِ  
سِلَاحٍ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ



نُصِيبَ بِكُمْ شَيْئًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لَا نَقْتُلَكُمْ.

فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْبَكَيْرِ: وَاللَّهِ لَا نَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا وَلَا عَقْدًا أَبَدًا، وَقَالَ عَاصِمُ: إِنِّي نَذَرْتُ أَلَّا يَمَسَّنِي مُشْرِكٌ أَبَدًا وَلَا أَمْسُهُ، وَبَدَأَ الثَّلَاثَةُ يُقَاتِلُونَ، وَكَانَ عَاصِمُ يُقَاتِلُ وَيَرْتَجِزُ:

مَا عَلَيَّي وَأَنَا جَلَدُ نَابِلٍ<sup>(١)</sup>  
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عَنَابِلٍ<sup>(٢)</sup>  
نَزِلُ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلِ<sup>(٣)</sup>  
الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ  
وَكُلُّ مَا حَمَّ<sup>(٤)</sup> الْإِلَهَ نَازِلُ  
بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءِ إِلَيْهِ آيِلٌ<sup>(٥)</sup>  
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأُمِّي هَابِلٌ<sup>(٦)</sup>

وَيَقُولُ:

---

(١) نابيل: رام، صاحب نيل.

(٢) عنابيل: شديد.

(٣) معابيل: النصل العريض الطويل.

(٤) حَمَّ: قضى.

(٥) آيل: راجع.

(٦) هابيل: تكلّى.

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ<sup>(١)</sup>  
وَضَالَةٌ<sup>(٢)</sup> مِثْلُ الْجَحِيمِ الْمُوقِدِ  
إِذَا النَّوَاجِي<sup>(٣)</sup> افْتَرَشَتْ<sup>(٤)</sup> لَمْ أُرْعِدِ  
وَمُجْنَأُ<sup>(٥)</sup> مِنْ جِلْدِ نَوْرِ أَجْرَدِ  
وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدٍ  
وَيَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَبُو سُلَيْمَانَ وَمِثْلِي رَامَى  
وَكَانَ قَوْمِي مَعْشَرًا كِرَامًا  
أَصِيبَ مَرْتَدٍّ وَخَالِدٍ قِيَامًا

وَبَقِيَ عَاصِمٌ يَرْمِيهِمْ حَتَّى فَنَيْتَ تَبْلُهُ ، ثُمَّ طَاعَنَهُمْ بِرُمَحِهِ  
حَتَّى انْكَسَرَ رُمَحُهُ ، وَبَقِيَ السَّيْفُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي حَمَيْتُ  
دِينَكَ أَوَّلَ النَّهَارِ فَاحْصِمِ لِي لَحْمِي آخِرَهُ ، وَكَانَ الْعَدُوُّ  
يُجَرِّدُونَ مَنْ قَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَدْ قُتِلَ مَرْتَدٌّ ، وَخَالِدٌ قَبْلَهُ .  
وَهَجَمَ عَاصِمٌ عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَ رَجُلًا مِنْهُمْ وَجَرَحَ اثْنَيْنِ ،

(١) المقعد : رجل كان يصنع النبل (يريش النبل) .

(٢) ضالة : الشجر الذي تصنع منه السهام .

(٣) النواجي : الإبل السريعة .

(٤) افترشت : عمرت .

(٥) المجنأ : الترس الذي لا حديد له .

ثُمَّ شَرَعُوا فِيهِ الْأَسِنَّةَ حَتَّى قَتَلُوهُ.

أَرَادَتْ هُذَيْلُ أَخَذَ رَأْسِيهِ لِيَبِيعُوهُ مِنْ سُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شُهَيْدٍ، وَكَانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِينَ أَصَابَ ابْنَتَهَا (مُسَافِعَ وَالْجُلَاسَ) يَوْمَ أُحُدٍ: لَئِنْ قَدَرْتُ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرَبَنَّ فِي قِحْفِهِ الْخَمْرَ، وَجَعَلَتْ مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ يَأْتِيهَا بِرَأْسِيهِ. فَبَعَثَ اللَّهُ الدَّبْرَ فَمَنَعَتْهُمْ مِنْهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: دَعُوهُ حَتَّى يُمْسِيَ فَتَذْهَبَ عَنْهُ الدَّبْرُ فَنَأْخُذْهُ. فَبَعَثَ اللَّهُ سَيْلًا فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا، فَذَهَبَ بِهِ. وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ قَدْ أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا أَنْ لَا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ، وَلَا يَمَسُ مُشْرِكًا أَبَدًا، تَنْجُسًا؛ فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ، حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ الدَّبْرَ مَنَعَتْهُ: يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ، كَانَ عَاصِمٌ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ، وَلَا يَمَسُ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ، فَمَنَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، كَمَا امْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ.

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدِّثَنَةِ، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ، فَلَا تَوْأَمَ وَرَقُوا وَرَغَبُوا فِي الْحَيَاةِ عَلَى مَا يَبْدُوا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - فَأَعْطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ فَأَسْرَوْهُمْ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِمْ إِلَى مَكَّةَ لِيَبِيعُوهُمْ بِهَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالظُّهْرَانِ<sup>(١)</sup> انْتَزَعَ

(١) الظهران أو مر الظهران عند الحديبية، أو الشمسي اليوم، ويقع عندما يمر =

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ طَارِقٍ يَدُهُ مِنَ الْقِرَانِ ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ، فَتَنَحَّى عَنْهُ الْقَوْمُ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَقَبَرُوهُ هُنَاكَ. وَأَمَّا خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ فَقَدْ بَيْعَا وَقْتِلًا فِي التَّعْمِيمِ<sup>(١)</sup> كُلُّ مِنْهُمَا وَحْدَهُ فِي فَاجِعَةٍ رَهِيْبَةٍ فِيهَا حِكْمٌ بَلِيغَةٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا.

وَكَانَ لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ أَثَرٌ سَيِّئٌ لَدَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ هُذَيْلٍ، وَعُضَلٍ وَالْقَارَةِ، لِمَا أَصَابَ إِخْوَانَهُمْ، وَقَدْ هَجَا الشُّعْرَاءُ الْمُسْلِمُونَ هَذِهِ الْأَقْوَامَ، وَرَثُوا الَّذِينَ ذَهَبُوا ضَحِيَّتَهَا، وَقَدْ أَكْثَرَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ النِّظْمِ فِيهَا.

---

= وادي فاطمة من غرب مكة، وهو عند حدود الحرم من جهة الغرب.  
(١) التعميم: بعد حدود الحرم من جهة الشمال، بين مكة وسرف، ويبعد عن مكة ما يقرب من فرسخين.

بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٢٧

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



إِنَّ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا حُبُّ الْأَبْنَاءِ ،  
 فَهُمْ قُرَّةُ الْعَيْنِ ، وَمِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، يَسْعَدُ الْإِنْسَانُ  
 بِأَوْلَادِهِ ، وَيُسِرُّ عِنْدَمَا يَرُزُّقُهُ اللَّهُ وَاحِدًا مِنْهُمْ لِيَكُونُوا سَلَوَتُهُ  
 وَهَنَاءَهُ فِي صِغَرِهِمْ وَعَوْنًا لَهُ فِي شَبَابِهِمْ ، وَخَاصَّةً أَنَّ السَّنَّ  
 تَكُونُ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِهِ وَبِحَاجَةٍ هُوَ وَزَوْجُهُ إِلَى مَنْ يُسَاعِدُهُ فِي  
 أُمُورِ الْحَيَاةِ ، فَيَجِدُ عِنْدَهَا أَبْنَاءَهُ بِجَانِبِهِ . وَإِذَا مَا مَاتَ الْأَبُ  
 لَمْ يَنْقَطِعْ عَمَلُهُ مِنْ تَرْبِيَتِهِ لِوَلَدِهِ وَتَعَهْدِهِ لَهُ إِذْ يَدْعُو الْوَلَدَ لِوَالِدِهِ  
 وَيَنَالُ الْأَبُ أَجْرَ دُعَاءِ ابْنِهِ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا  
 مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ  
 عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » (١) . وَمِنْ النَّاحِيَةِ  
 الثَّانِيَةِ فَإِنَّ الْوَلَدَ الَّذِي تَعَبَ عَلَيْهِ وَالِدُهُ فِي صِغَرِهِ ، وَتَعَهَّدَهُ فِي  
 نَشَأَتِهِ ، وَلَقِيَ مِنْهُ الْعَطْفَ وَالْحَنَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالْإِحْسَانَ ، فَهُوَ

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٦٣١) في الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من  
 الثواب بعد وفاته .

يُقَابِلُهُ كَذَلِكَ بِالتَّقْدِيرِ وَالِاخْتِرَامِ ، وَالْحُبِّ وَالطَّاعَةِ مَدَى الْحَيَاةِ، وَالْخِدْمَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ وَخَاصَّةً عِنْدَمَا يُصْبِحُ قَادِرًا، وَيَكُونُ الْوَالِدُ بِحَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ. فَرَدُّ الْجَمِيلِ وَمَا جُبِلَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ مِنْ حَنَانِ الْأَبُوَّةِ وَطَاعَةِ الْأَبْنَاءِ، قَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْأَوْلَادَ بِالِاتِّزَامِ بِهَذَا، إِذْ هُمْ الْأَوَّلَى بِهَا مَا دَامَ قَدْ أُسْدِيَ لَهُمُ الْمَعْرُوفُ، ثُمَّ يَكُونُ لَهُمُ أَبْنَاءُ مُلْزَمِينَ بِمَا أَلْزَمُوا هُمْ بِهِ تَجَاهَ آبَائِهِمْ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّ ارْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾<sup>(١)</sup>. وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾<sup>(٢)</sup>. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾<sup>(٣)</sup>. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٤)</sup>. وَيَقُولُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا، وَإِنْ جَاهَدَاكَ

(١) سورة الإسراء: ٢٣ - ٢٤.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) سورة النساء: ٣٦.

(٤) سورة الأنعام: ١٥١.



لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا، إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(١)</sup>. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا، وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(٢)</sup>. وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا...<sup>(٣)</sup>. وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ<sup>(٤)</sup>. وَيَقُولُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا<sup>(٥)</sup>.

وَلَكِنَّ عَاطِفَةَ الْأَبَوَةِ تَزُولُ، وَالْحَنَانُ يَنْعَلِمُ، وَالْمَحَبَّةُ تَضْمُرُ فِيمَا إِذَا نَشَأَ الْوَلَدُ عَلَى مَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ أَوْ عَلَى عَقِيدَةٍ فَاسِدَةٍ، وَيُعْطِينَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أُنْمُودَجًا فِي وَلَدِ نُوحٍ عَلَيْهِ

(١) سورة العنكبوت: ٨.

(٢) سورة لقمان: ١٤ - ١٥.

(٣) سورة الأحقاف: ١٥.

(٤) سورة إبراهيم: ٤١.

(٥) سورة نوح: ٢٨.

السَّلَامُ الَّذِي لَمْ يَسِرْ عَلَى نَهْجِ أَبِيهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمَا آمَنَ بِهِ  
أَبُوهُ، وَعِنْدَمَا غَلَبَتِ الْعَاطِفَةُ عَلَى نُوحٍ، وَدَعَا رَبَّهُ لِيُنْجِيَ ابْنَهُ  
جَاءَهُ الرَّدُّ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي  
بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ يَا بُنَيَّ  
ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ  
يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ، قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ  
رَحِمَ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرِقِينَ. وَقِيلَ  
يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ  
الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا  
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَادَى نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي  
وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ: يَا نُوحُ إِنَّهُ  
لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ  
بِهِ عِلْمٌ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وَتَتَكَمَّشُ الْمَوَدَّةُ وَتَخِفُ الطَّاعَةُ إِذَا كَانَ الْأَبُ فِي مَعْصِيَةٍ  
أَوْ عَلَى شِرْكٍ وَإِنْ كَانَتِ الطَّاعَةُ وَاجِبَةً وَلَكِنْ لَا تَصِلُ إِلَى  
دَرَجَةِ الْمَوْافَقَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ أَوْ الشَّرْكِ ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ  
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، وَيَضْرِبُ اللَّهُ لَنَا مَثَلًا فِي

(١) سورة هود: ٤٢ - ٤٦.

إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي كَانَ يُهْمُهُ كُفْرُ أَبِيهِ فَيَحْرُصُ عَلَى  
 هِدَايَتِهِ، وَيَدْعُوهُ فَيَعَانِدُهُ، وَيُكْرِرُ الدَّعْوَةَ لَهُ فَيُصِرُّ عَلَى الْكُفْرِ،  
 وَيَعْلَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فَلَمْ يُجِدْهُ شَيْئًا ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ  
 تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. يَا أَبَتِ  
 إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا  
 سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ  
 عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ  
 فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا. قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ  
 لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ، وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا. قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ،  
 سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا. وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٢﴾. كَانَ  
 إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَزِينًا عَلَىٰ أَبِيهِ خَائِفًا عَلَيْهِ مُتَأَلِّمًا مِنْ كُفْرِهِ  
 مُتَضَاقًا مِنْ شِرْكِهِ يَخْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ النَّارِ لِحُبِّهِ لَهُ، وَيَخَافُ عَلَيْهِ  
 مِنَ الْعَذَابِ عَظْفًا عَلَيْهِ. وَلَمْ يُطِعهُ فِي عِبَادَتِهِ لِلْأَصْنَامِ وَلَمْ  
 يُوَافِقْهُ عَلَى تَقْدِيرِهَا حَتَّى هَجَرَهُ وَاعْتَزَلَ قَوْمَهُ، وَقَلْبُهُ يَكَادُ  
 يَتَفَطَّرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَبُوهُ.

وَيَضْرِبُ التَّارِيخُ لَنَا مَثَلًا آخَرَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) سورة مريم: ٤٢ - ٤٨.

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سُلُولٍ . كَانَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَيِّدِ  
الْخَزْرَجِ فِي آخِرِ جَاهِلِيَّتِهِمْ ، وَبَعْدَ يَوْمِ بُعَاثِ الَّذِي  
وَقَعَ بَيْنَ الْخَزْرَجِ وَالْأَوْسِ ، وَانْتَصَرَتْ فِيهِ الْأَوْسُ وَكَادَتْ  
تَقْضِي عَلَى الْخَزْرَجِ ، وَتَمَّ الصُّلْحُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ  
وَعَمِلَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى إِنْهَاءِ الْحَرْبِ بَيْنَ أَبْنَائِهَا وَاتَّفَقُوا  
عَلَى تَسْوِيجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَلِكًا عَلَى الْمَدِينَةِ فَهُوَ  
رَعِيمُ الْخَزْرَجِ أَكْثَرُ الْعَرَبِ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ  
بَدَّوْا يُهَيِّئُونَ لَهُ التَّاجَ وَيَنْظِمُونَ الْخَزَرَ لَهُ ، غَيْرَ  
أَنَّهُ قَدْ تَمَّتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى وَتَلَتْهَا الثَّانِيَةُ ،  
وَيَمَّمُ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ وَجَهَهُمْ مُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ  
فُشِيَ الْإِسْلَامُ فِيهَا ، وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، وَالتَّفَّ الْأَنْصَارُ حَوْلَهُ ، وَالتَّقَى الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ ،  
وَاتَّجَهَتْ الْأَنْظَارُ نَحْوَهُ ، وَنُسِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، وَنُسِيَ  
مُلْكُهُ ، وَضَاعَ تَاجُهُ ، فَحَقَّدَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَنَبِيِّهِ ، وَعَلَى  
الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا ، وَخَاصَّةً الْأَنْصَارَ الَّذِينَ تَرَكُوهُ ، فَبِعَدُّهُمْ  
أَنَّهُمْ قَدْ خَذَلُوهُ ، وَنَقَضُوا مَا سَبَقَ لَهُمْ أَنْ أُبْرِمُوهُ . وَأَسْلَمَ ابْنُهُ  
عَبْدُ اللَّهِ ، وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ ، وَتَرَكَ أَبَاهُ ، وَسَارَ فِي الصَّفِّ  
رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ رِجَالِ الْمَدِينَةِ بَرًّا بِوَالِدِهِ ، وَاحْتَفَظَ لِأَبِيهِ  
بِالطَّاعَةِ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَبِالْاخْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ ، وَالرَّغْبَةِ لَهُ بِالْهِدَايَةِ .

وَأَمَّا (سَلُولُ) فَهُوَ اسْمُ أُمِّ أَبِي بْنِ مَالِكٍ، وَهِيَ مِنْ خُزَاعَةَ، وَقَدْ نُسِبَ إِلَيْهَا، وَأَصْبَحَ يُعْرَفُ بِاسْمِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلُولٍ).

وَأَمَّا أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْإِبْنِ فَهِيَ خَوْلَةُ بِنْتُ الْمُنْذِرِ بْنِ حَرَامٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ الْخَزَرَجِ فَهِيَ خَزْرَجِيَّةٌ مِثْلُهُ.

كَانَ اسْمُ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (الْحُبَابَ) وَبِهِ يُكْنَى أَبُوهُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدَ اللَّهِ فَاصْبَحَ اسْمُهُ (عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي).

كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْإِبْنِ عَدَدٌ مِنَ الْأَوْلَادِ هُمْ: عِبَادَةُ، وَجُلَيْحَةُ، وَخَيْثَمَةُ، وَخَوْلِيٌّ، وَأَمَامَةُ، وَلَمْ تُسَعِفْنَا الْمَصَادِرُ بِمَعْرِفَةِ أُمّهَاتِهِمْ، وَيَبْدُو أَنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ وَعُمُرُهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ، وَأَنَّهُ كَانَ مُتَزَوِّجًا، وَأَوْلَادُهُ قَدْ وُلِدُوا جَمِيعًا بِاسْتِثْنَاءِ أَمَامَةَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ.

### مَعْرَكَةُ بَدْرٍ

وَقَامَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَخَذَتْ تُمَارِسُ صَلَاحِيَّاتِهَا، وَجَاءَتْ قُرَيْشٌ لِمُهَاجِمَةِ الْمَدِينَةِ وَالْقَضَاءِ عَلَى الدَّوْلَةِ فِيهَا - حَسَبَ زَعْمِهَا - لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَرَجُوا لِلتَّعَرُّضِ لِقَافِلَةِ أَبِي سُفْيَانَ فَكَانَ أَنْ التَّقَى الْمُسْلِمُونَ

الْخَارِجُونَ لِلْقَافِلَةِ مَعَ جَيْشِ قُرَيْشٍ الْقَادِمِ لِلْقِتَالِ، وَكَانَتْ  
 مَعْرَكَةُ بَذْرِ النَّبِيِّ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ الْمُسْلِمِينَ وَأَذَلَّ الْمُشْرِكِينَ  
 وَأَخْزَاهُمْ. وَشَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ بِجَانِبِ  
 الْمُسْلِمِينَ، أَمَّا أَبُوهُ فَقَدْ بَقِيَ عَلَى شِرْكِهِ وَحَقِيدِهِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا  
 رَأَى قَوْمَهُ قَدْ أَبَوْا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَقَدْ انْتَصَرُوا فِي بَذْرِ دَخَلَ فِيهِ  
 كَارِهًا مُصِيرًا عَلَى التَّفَاقِ وَالضُّغْنِ. وَكَذَلِكَ كَانَ ابْنُ خَالَتِهِ  
 أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ عَمْرِ بْنِ صَيْفِيٍّ بْنِ الثُّعْمَانِ مِنَ الْأَوْسِ،  
 وَكَانَ قَدْ تَأَلَّهَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَبَسَ الْمُسُوحَ وَتَرَهَّبَ لِدَا عُرْفٍ  
 بِالرَّاهِبِ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ، وَيَذْكُرُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعِدُّ النَّاسَ بِظُهُورِهِ، وَيَعِدُّ أَبُو عَامِرٍ مِنْ  
 أَشْرَافِ الْأَوْسِ. فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ،  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبَى أَبُو عَامِرٍ إِلَّا الْكُفْرَ وَمُفَارَقَةَ قَوْمِهِ  
 حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا حِقْدًا وَغِيْرَةً  
 وَحَسَدًا، وَسَارَ مَعَ بَضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا إِلَى مَكَّةَ وَحَضَرَ أَحَدًا مَعَ  
 الْمُشْرِكِينَ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا فَتَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَادَرَهَا أَبُو عَامِرٍ إِلَى الطَّائِفِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَهْلُ  
 الطَّائِفِ لِحَقِّ بِالشَّامِ. فَمَاتَ بِهَا طَرِيدًا غَرِيبًا وَحِيدًا. وَقَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَمَا ذُكِرَ أَمَامَهُ وَوُصِفَ  
 بِالرَّاهِبِ: «لَا تَقُولُوا: الرَّاهِبَ، وَلَكِنْ قُولُوا: الْفَاسِقَ».

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ الْإِبْنُ يُهِمُّهُ شِرْكُ أَبِيهِ قَبْلَ بَذْرِ، فَلَمَّا أَظْهَرَ ابْنُ  
أَبِيٍّ الْإِسْلَامَ ظَنَّ الْوَلَدُ بِأَبِيهِ خَيْرًا وَاسْتَبَشَرَ، وَلَكِنْ لَمْ يَلْبَثْ  
أَنْ ظَهَرَتْ لَهُ الْحَقِيقَةُ وَعَرَفَ أَنَّ أَبَاهُ مُنَافِقٌ فَأَعَمَّهُ الْأَمْرُ، وَنَقَلَ  
عَلَيْهِ رُؤْيَا الْمُنَافِقِينَ يُلَازِمُونَ أَبَاهُ وَيَحَاوِلُونَ حَبْلَ  
الْمُؤَامَرَاتِ وَدَسَّ الدَّسَائِسَ. وَبَقِيَ الْإِبْنُ يَدْعُو لِأَبِيهِ وَيَتَمَنَّى  
لَهُ الْهَدَايَةَ، وَيُبْدِي لَهُ الْمَحَبَّةَ وَالتَّقْدِيرَ عَسَى أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ  
وَيُدْخِلَ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ.

### فِي أَحَدٍ

وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى أَحَدٍ، وَكَانَ رَأْيُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْاِعْتِصَامَ فِي الْمَدِينَةِ، وَمُقَاتَلَةَ الْأَعْدَاءِ مِنْ  
دَاخِلِهَا، وَكَذَا كَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ غَيْرَ أَنَّ رَسُولَ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَى أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ  
يَرْغَبُونَ بِالْخُرُوجِ لِمُلَاقَاةِ الْعَدُوِّ، وَأَنَّ الْحَمَاسَةَ قَوِيَّةٌ عِنْدَهُمْ  
فَقَرَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنَّ ابْنَ أَبِيٍّ  
اعْتَرَضَ عَلَى ذَلِكَ وَانْتَقَدَ، وَأَبْدَى مُخَالَفَتَهُ وَعَرَضَ، ثُمَّ  
امْتَثَلَ وَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَرَحَ  
ابْنُهُ، وَاسْتَبَشَرَ، وَظَنَّ خَيْرًا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَابَ أَمْلُهُ  
فَرَجَعَ وَالِدُهُ بِثُلْثِ الْجَيْشِ مِنْ مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ مُظْهِرًا

سَخَطُهُ، وَمُبِينًا نَفْدَهُ، وَمُخَالَفَتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَكِنَّ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ قَدْ تَابَعَ السَّيْرَ مَعَ رَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَاتَلَ، وَأَبْلَى، وَأَحْسَنَ. وَلَمْ يُفَارِقِ الْقَلْتُ نَفْسَهُ جَزَعًا عَلَى أَبِيهِ، وَخَوْفًا مِنْ أَنْ تَكُونَ النَّارُ مَصِيرًا لَهُ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ النِّفَاقِ.

### فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

وَقَفَ ابْنُ أَبِيٍّ مَعَ يَهُودَ بَنِي قَيْنِقَاعَ، وَشَدَّ فِي أَرْضِ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ، وَوَعَدَهُمْ بِالنَّصْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ بَقِيَ ابْنُهُ يَدْعُو لَهُ وَيَتَمَنَّى لَهُ الْهِدَايَةَ وَالرَّشَادَ، وَيُبْدِي لَهُ الطَّاعَةَ وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ لَمْ يَتَخَلَّفِ الابْنُ عَنْ غَزْوَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ شَهِدَ مَعَهُ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ، صَادِقَ النِّيَّةِ، وَبَارًا بِوَالِدِهِ رَغَمَ مَعَاصِيهِ وَنِفَاقِهِ.

وَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ يَجْمَعُونَ لَهُ بِأَمْرِ كَبِيرِهِمُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ، فَلَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ «الْمُرَيْسِيعُ»، فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ، وَنَفَّلَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،



وَسَلَّمَ، أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. وَكَانَ ابْنُ أَبِي قَدْ سَارَ  
مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، فَاسْتَبَشَرَ وَلَدُهُ خَيْرًا، وَلَكِنْ لَمْ  
يَلْبَثْ أَنْ حَدَّثَ مَا حَدَّثَ فَظَهَرَ النِّفَاقُ.

فَيَنْمَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَاءٍ «الْمُرَيْسِعِ» اخْتَلَفَ  
وَأَزْدَحَمَ عَلَى الْمَاءِ أَجِيرٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يُدْعَى «جَهْجَاهُ»  
و «سِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيُّ» حَلِيفُ الْأَنْصَارِ مِنَ الْخَزْرَجِ  
فَصَرَخَ «جَهْجَاهُ» يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، وَصَرَخَ «سِنَانُ» يَا مَعْشَرَ  
الْأَنْصَارِ، فَغَضِبَ ابْنُ أَبِي، وَقَالَ لِرَهْطِ عِنْدَهُ مِنْ قَوْمِهِ فِيهِمْ  
«زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ» وَهُوَ غُلَامٌ حَدَّثَ: أَوْقَدْ فَعَلَوْهَا، قَدْ نَافَرُونَا  
وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَاللَّهِ مَا أَعْدُنَا وَجَلَّابِيبٌ<sup>(١)</sup> قَرِيشِ  
إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: «سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كُتْلَكَ!» أَمَا وَاللَّهِ لَشِنْ  
رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى  
مَنْ عِنْدَهُ وَقَالَ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ،  
وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ  
لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ. فَمَشَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ إِلَى رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ،  
فَأَخْبَرَ الرَّسُولَ الْخَبَرَ. فَقَالَ عُمَرُ: مُرْ عَبَادَ بْنَ بَشِيرٍ فَلْيَقْتُلْهُ؛

(١) جلابيب: لقب أطلقته قريش على من أسلم منها، نسبة إلى الأزر الغليظة  
التي يلتحفون بها.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ! لَا وَلَكِنْ أُذُنُ بِالرَّحِيلِ، وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْتَحِلُ فِيهَا، فَارْتَحَلَ النَّاسُ<sup>(١)</sup>.

وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قَدْ خَبَرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْهُ، وَحَلَفَ بِاللَّهِ: مَا قُلْتُ مَا قِيلَ لَكَ، وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ، وَقَالَ بَعْضُ الْحُضُورِ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَعَلَّ الْغُلَامَ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ، لَعَلَّهُ لَمْ يَسْتَوْعِبْ مَا قِيلَ تَمَامًا، وَذَلِكَ حِرْصًا عَلَى ابْنِ أَبِي وَذَلِكَ لَشَرَفِهِ فِي قَوْمِهِ.

وَاسْتَعْلَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِإِيمَانِهِ، وَتَحَرَّكَ فِي نَفْسِهِ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَأَلْقَى بِعَاطِفَةِ الْبُتُوءَةِ، وَمَحَبَّةِ الْأَبِ، وَاحْتِرَامِ الْأَبِ، وَطَاعَةِ الْأَبِ وَسَارَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي «لَمْ يَقُلْ أَبِي أَوْ وَالِدِي وَإِنَّمَا سَمَاهُ بِاسْمِهِ حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ أَيُّ أَثَرٍ لِلْبُتُوءَةِ وَمَا يَرْتَبِطُ بِهَا» فِيمَا

---

(١) لم تكن قضية أجيرين تستحق هذه الثورة والغضب ولكن النفاق تحرك فائثار.

بَلَغَكَ عَنْهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمِلُ رَأْسَهُ  
إِلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَ الْخَزْرَجُ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبَرَّ  
بِوَالِدِهِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ، فَلَا تَدْعُنِي  
نَفْسِي أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْمَشٍ فِي النَّاسِ،  
فَأَقْتُلْ رَجُلًا مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ فَأَدْخُلُ النَّارَ؛ فَقَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا  
بَقِيَ مَعَنَا.

وَشَعَرَ ابْنُ أَبِي بِالضَّعَةِ بَعْدَ ذَلِكَ وَخَاصَّةً أَنَّ قَوْمَهُ أَصْبَحُوا  
هُمْ الَّذِينَ يُعْتَفُونَ وَيُعَاتِبُونَ فِيمَا إِذَا أَقْدَمَ عَلَى عَمَلٍ فِيهِ  
شَيْءٌ مِنَ الْحَطِّ مِنْ شَأْنِ الْإِسْلَامِ أَوْ أَهْلِهِ مَهْمَا كَانَ قَلِيلًا،  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعُمَرَ بْنِ  
الْخَطَّابِ، حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ؛ كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؟ أَمَا  
وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي اقْتُلْهُ، لَأُرْعِدْتَ لَهُ أَنْفَ، لَوْ أَمَرْتُهَا  
الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُ؛ فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لِأَمْرِ رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ بَرَكََةً مِنْ أَمْرِي.

وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى وَادِي  
الْعَقِيقِ فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ شَعَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ نَفْسَهُ لَمْ تَرْتَحْ، وَأَنَّهُ لَمْ يُودَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ مَا

عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ أَعَزُّ بِكَثِيرٍ مِنْ مَوَدَّةِ الْأَبِ أَوْ أَيٍّْ وَشَيْجَةٍ مِنْ  
وَشَائِجِ الْقُرْبَى الْأُخْرَى وَمِنْ آيَةٍ صِلَةٍ مِنْ صِلَاتِ الدُّنْيَا،  
يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ  
أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي  
قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ،  
أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

فَتَقَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَجَعَلَ يَتَصَفَّحُ الرِّكَائِبَ حَتَّى مَرَّ  
أَبُوهُ، فَأَنَاحَ بِهِ، ثُمَّ وَطِئَ عَلَى يَدِ رَاحِلَتِهِ، فَقَالَ أَبُوهُ: مَا  
تُرِيدُ يَا لُكْعُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُهَا حَتَّى يَأْذَنَ لَكَ رَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَتَّى تُقَرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ وَأَنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعَزِيزُ، وَلِتَعْلَمَ أَيْضًا  
الْأَعَزُّ مِنَ الْأَذَلِّ، أَنْتَ أَوْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَنْتَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ أَنَا  
مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَأُضْرِبَنَّ عُنُقَكَ.  
فَصَارَ الْأَبُ يَقُولُ: لَأَنَا أَزَلُّ مِنَ الصَّبَّيَّانِ،

لَأَنَا أَزَلُّ مِنَ النَّسَاءِ . حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : خَلِّ عَنْ أَبِيكَ . فَخَلَّى عَنْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَهَا : « جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا » . وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ .

### وَفَاةُ ابْنِ أَبِي

تَقَدَّمَتِ السَّنُ بِابْنِ أَبِي ، وَشَعَرَ بِالذُّلِّ ، فَقَدْ أَخْزَاهُ اللَّهُ أَمَامَ النَّاسِ فِي مَوَاقِفَ كَثِيرَةٍ ، وَقَهْرَهُ وَلَدُهُ عَلَى مَرَأَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ بَقِيَ يَكِيدُ لِلْإِسْلَامِ رَغْمَ تَظَاهُرِهِ بِاعْتِنَاقِهِ ، وَيَحْقِدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رُغْمَ إِبْدَائِهِ الْمَحَبَّةَ لَهُ .

وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى تَبُوكَ ، وَأَنْطَلَقَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَتَخَلَّفَ ابْنُ أَبِي مُتَعَلِّلًا ، وَمَا أَنْ رَجَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ تِلْكَ الْغَزْوَةِ حَتَّى كَانَ ابْنُ أَبِي يَحْتَضِرُ ، وَخَشِيَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لَمْ يَخْشَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَهُوَ نِهَآيَةُ كُلِّ حَيٍّ ، وَلَكِنَّهُ خَافَ عَلَيْهِ مِنَ النَّارِ ، وَلَمْ تَعُدِ الدَّعْوَةُ تَنْفَعُهُ ، وَلَمْ تَعُدْ هُنَاكَ أَعْمَالٌ يُمَكِّنُهُ الْقِيَامُ بِهَا

لِيَسْتَذِرَكَ مَا فَاتَ، وَلِيُكَفِّرَ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ مِنْ نِفَاقٍ وَمَا حَصَلَ مِنْهُ مِنْ مُحَارَبَةٍ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مَرِيضٌ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلَكَكَ حُبُّ يَهُودٍ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ لِتَسْتَغْفِرَ لِي وَلَمْ أُرْسَلْ إِلَيْكَ لِتُؤَنِّبَنِي.

رَوَى الْبُخَارِيُّ: لَمَّا تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكْفَنُ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَصَلِّيَ عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا خَيْرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾»<sup>(١)</sup> وَسَازِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ». قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ. فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةً

(١) سورة التوبة: من الآية ٨٠.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مَاتَ مِنْهُمْ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

حَرَصَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى التَّخْفِيفِ عَنْ أَبِيهِ: كَفَّنَهُ بِقَمِيصٍ  
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ، وَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ، وَمَا  
فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا عَظْفًا عَلَى أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَفِدْهُ شَيْئًا  
إِذْ كَانَ رَأْسَ التَّفَاقُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -.

### اسْتِشْهَادُ عَبْدِ اللَّهِ

وَتُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ أَقَلِّ مِنْ  
عَامَيْنِ، تُوْفِّي وَهُوَ رَاضٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. وَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ أَمْرَ  
الْمُسْلِمِينَ، وَارْتَدَّتْ أَكْثَرُ الْعَرَبِ، فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ، لَهُمُ الْجِيُوشَ، وَأَنْخَرَطَ عَبْدُ اللَّهِ فِي صُفُوفِ  
الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ انْطَلَقُوا إِلَى الْيَمَامَةِ، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَهَا،  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

---

(١) سورة التوبة: من الآية ٨٤.





بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٢٨

طاحته بن عبيد الله  
رضي الله عنه



أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ ، أَحَدُ الْقَادَةِ الْأَبْطَالِ ، أَحَدُ  
الْأَثَرِيَاءِ الْأَخْيَارِ ، أَحَدُ الْمُتَّقِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْأَبْرَارِ ، أَحَدُ  
الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ .

### نَسَبُهُ

هُوَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ  
سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مَرَّةَ ، فَهُوَ تَيْمِيُّ قُرَيْشِيٌّ ، يَلْتَقِي بِنَسَبِهِ مَعَ أَبِي  
بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فِي عَمْرِو بْنِ كَعْبِ الْجَدِّ الثَّالِثِ لَهُمَا ، فَهُمَا  
مِنْ تَيْمِ أَحَدِ بَطُونِ قُرَيْشِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ .

أُمُّهُ فَهِي : الصَّعْبَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِمَادِ  
الْحَضْرَمِيِّ ، وَالَّتِي أُمُّهَا عَاتِكَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ بْنِ  
قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ ، وَكَانَ أَبُوهَا وَهْبٌ صَاحِبَ الرِّقَادَةِ دُونَ  
قُرَيْشٍ كُلِّهَا .

وُلِدَ طَلْحَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَالْعِشْرِينَ

قَبْلَ الْهِجْرَةِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَمْسَةِ وَعَشْرِينَ عَامًا، وَكَانَ عُمُرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يَوْمَ بَعْثَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

## زَوْجَاتُهُ وَأَوْلَادُهُ

كَانَ طَلْحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَحْرِصُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أَخَوَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ تَزَوَّجَ حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ ابْنَةَ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُخْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، وَتَزَوَّجَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، أُخْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ.

وَكَانَ يَحْرِصُ أَنْ يُسَمَّى أَوْلَادُهُ عَلَى اسْمِ الْأَنْبِيَاءِ.

أَوَّلًا: تَزَوَّجَ حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، فَلَمَّا اسْتَشْهَدَ مُصْعَبُ يَوْمَ أُحُدٍ، تَزَوَّجَهَا طَلْحَةَ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ:

١ - مُحَمَّدًا: وَهُوَ الَّذِي يُعْرَفُ بِـ(السَّجَّادِ) لَكثْرَةِ عِبَادَتِهِ وَتَقْوَاهُ، وَقَدْ قُتِلَ يَوْمَ الْجَمَلِ بَرًّا بِوَالِدِهِ. وَكَانَ طَلْحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ بِاسْمِهِ وَلَدِهِ هَذَا.

٢ - عِمْرَانُ .

ثانياً: تَزَوَّجَ خَوْلَةَ بِنْتَ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ،  
وَكَانَ وَالِدُهَا الْقَعْقَاعُ يُعْرِفُ بِتَيَّارِ الْفُرَاتِ لِسَخَائِهِ .  
وَأُنْجِبَتْ لَهُ :

٣ - مُوسَى .

ثالثاً: تَزَوَّجَ أُمَّ أَبَانَ بِنْتَ عُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَبْشَمِيَّةَ الْقُرَشِيَّةَ  
وَأُنْجِبَتْ لَهُ :

٤ - يَعْقُوبَ : قُتِلَ يَوْمَ الْحَرَّةِ .

٥ - إِسْمَاعِيلَ .

٦ - إِسْحَاقَ .

رابعاً: تَزَوَّجَ أُمَّ كُلْثُومِ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُنْجِبَتْ لَهُ :

٧ - زَكَرِيَّا .

٨ - يُوسُفَ .

٩ - عَائِشَةَ .

خامساً: تَزَوَّجَ سَعْدَى بِنْتَ عَوْفٍ بْنِ خَارِجَةَ الْمُزَيَّيَّ ،  
وَأُنْجِبَتْ لَهُ :

١٠ - عِيسَى .

١١ - يَحْيَى .

سادساً: تَزَوَّجَ الْجَرَبَاءَ أُمَّ الْحَارِثِ بِنْتَ قُسَامَةَ مِنْ طَيْءٍ،  
وَأُنْجِبَتْ لَهُ:

١٢ - أُمُّ إِسْحَاقَ: وَهِيَ الَّتِي تَزَوَّجَهَا الْحَسَنُ بْنُ  
عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَوَلَدَتْ لَهُ طَلْحَةَ،  
وَبَعْدَ وَفَاتِهِ تَزَوَّجَهَا أَخُوهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ،  
فَوَلَدَتْ لَهُ فَاطِمَةَ. وَلَهُ مِنَ الْأَبْنَاءِ أَيْضاً:

١٣ - الصَّعْبَةُ: وَأُمُّهَا أُمُّ وَلَدٍ.

١٤ - مَرْيَمُ: وَأُمُّهَا أُمُّ وَلَدٍ.

١٥ - صَالِحٌ: وَمَاتَ صَغِيرًا، وَأُمُّهُ الْفَرْعَةُ بِنْتُ عَلِيٍّ  
مِنْ سَبَايَا بَنِي تَغْلِبَ.

وَبِذَا يَكُونُ عَدَدُ أَبْنَائِهِ: أَحَدَ عَشَرَ وَلَدًا، وَأَرْبَعَ بَنَاتٍ، مِنْ  
سِتِّ نِسَاءٍ وَمِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ.  
أَخُوهُ:

كَانَ لِطَلْحَةَ أَخٌ يُدْعَى مَالِكَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، بَقِيَ عَلَى  
شِرْكِهِ، وَخَرَجَ إِلَى بَذْرِ مَعَ الْكُفَّارِ، وَوَقَعَ أَسِيرًا بِأَيْدِي  
الْمُسْلِمِينَ، وَمَاتَ فِي الْأَسْرِ، فَعُدَّ بَيْنَ قَتْلَى بَذْرِ.

## إِسْلَامُ طَلْحَةَ

كَانَ طَلْحَةُ تَاجِرًا، نَشَأَ عَلَى هَذِهِ الْمِهْنَةِ مِنْ صِغَرِهِ، وَجَابَ  
الْأَسْوَاقَ، وَلَا يَزَالُ فِي مُقْتَبِلِ الْعُمْرِ، وَيُرَوَّى أَنَّهُ قَالَ:  
«حَضَرْتُ سُوقَ بُصْرَى، فَإِذَا رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَتِهِ يَقُولُ: سَلُوا  
أَهْلَ هَذَا الْمَوْسِمِ أَفِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ؟ قَالَ ظَلْحَةُ:  
فَقُلْتُ: نَعَمْ أَنَا، فَقَالَ: هَلْ ظَهَرَ أَحْمَدُ بَعْدُ؟ قَالَ قُلْتُ: وَمَنْ  
أَحْمَدُ؟ قَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، هَذَا شَهْرُهُ  
الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَخْرَجُهُ مِنَ الْحَرَمِ،  
وَمُهَاجَرُهُ إِلَى نَحْلِ وَحَرَّةٍ وَسِيَاخٍ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْبِقَ إِلَيْهِ. قَالَ  
طَلْحَةُ: فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا قَالَ، فَخَرَجْتُ سَرِيعًا حَتَّى قَدِمْتُ  
مَكَّةَ، فَقُلْتُ: هَلْ مِنْ حَدَثٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مُحَمَّدٌ بْنُ  
عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِينِ تَنَبَّأَ، وَقَدْ تَبِعَهُ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَ:  
فَخَرَجْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ: أَتَبِعْتُ هَذَا  
الرَّجُلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاذْهَبِي إِلَيْهِ فَادْخُلِي عَلَيْهِ فَاتَّبِعِيهِ، فَإِنَّهُ  
يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ، فَأَخْبَرَهُ طَلْحَةُ بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ، فَخَرَجَ أَبُو  
بَكْرٍ بِطَلْحَةَ، فَدَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، فَاسْتَلَمَ طَلْحَةَ، وَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ، فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، بِذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ أَخَذَهُمَا نُوْفَلُّ بْنُ خُوَيْلِدٍ بْنُ الْعَدَوِيَّةِ فَشَدَّهُمَا فِي حَبْلِ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمَا بَنُو تَيْمٍ، وَكَانَ نُوْفَلُّ بْنُ خُوَيْلِدٍ<sup>(٢)</sup> يُدْعَى أَسَدَ قُرَيْشٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ وَطَلْحَةُ الْقَرَيْنَيْنِ.

وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ كَانَ مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ أَبِي بَكْرٍ لَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ مُنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهَا أَوْ كَانُوا أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ. هَؤُلَاءِ السِّتَّةُ مَعَ زَيْدٍ وَعَلِيٍّ كَانُوا أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا.

وَتَحَمَّلَ طَلْحَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الْكَثِيرَ، كَمَا تَحَمَّلَ الْمُسْلِمُونَ الْآخَرُونَ مِنَ الْأَذَى، وَلَكِنْ يَقُلُّ مَا يَلْحَقُ بِهِ مِنْ أَذَى عَنْ إِخْوَانِهِ لِغِيَابِهِ فِي تِجَارَتِهِ، وَكَثْرَةِ أَسْفَارِهِ، وَكَانَ يَنْفَقُ الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ مِنْ مَالِهِ عَلَى الدَّعْوَةِ، وَعَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ

---

(١) طبقات ابن سعد. وكان عمر طلحة لا يزيد على السبع عشرة سنة يومذاك.

(٢) قتل نوفل بن خويلد يوم بدر كافراً، قتله علي بن أبي طالب.



دُونَ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ، وَمِنْ غَيْرِ تَفَاخُرٍ أَوْ دِعَايَةٍ عَلَى عَادَةٍ  
 طَلَحَةٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي الصَّمْتِ وَالْهُدُوءِ. وَمَعَ ذَلِكَ  
 الْغِيَابِ عَنْ مَكَّةَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَنْجُ مِنَ الْعَذَابِ الْبَدَنِيِّ الَّذِي  
 يُصِيبُ بَقِيَّةَ إِخْوَانِهِ، وَأَمَّا الْعَذَابُ النَّفْسِيُّ فَقَدْ كَانَ يُلَازِمُهُ لِمَا  
 يَعْلَمُ مَا يَنَالُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَنَالُ  
 الصَّحَابَةَ الْكَرَامَ فَهُوَ دَائِمُ التَّفَكِيرِ بِهِمْ، فِي حِلِّهِ وَتَرْحَالِهِ،  
 حَتَّى لَيْكَادُ قَلْبُهُ أَنْ يَتَفَطَّرَ وَدِمَاغُهُ أَنْ يَتَفَجَّرَ، وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ طِيلَةَ  
 الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ.

## الهجرة

بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ يُهَاجِرُونَ  
 مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ خَرَجَ طَلَحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ  
 فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ، وَلَمَّا اتَّجَهَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا كَانَ طَلَحَةُ فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ.  
 فَلَمَّا ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ  
 (الْخُرَّارِ) فَكَانَ الْغَدُ لِقِيهِ طَلَحَةُ آيًّا مِنَ الشَّامِ، وَمَارًّا عَلَى  
 الْمَدِينَةِ فِي عَمْرِ، فَكَسَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
 وَأَبَا بَكْرٍ مِنْ ثِيَابِ الشَّامِ، وَخَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ، أَنَّ مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ اسْتَبَطُوا رَسُولَ

اللَّهُ، فَعَجَّلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّيْرَ،  
وَمَضَى طَلْحَةَ إِلَى مَكَّةَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ حَاجَتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ  
ذَلِكَ مَعَ آلِ أَبِي بَكْرٍ، فَهُوَ الَّذِي قَدِمَ بِهِمُ الْمَدِينَةَ<sup>(١)</sup>.

وَنَزَلَ طَلْحَةُ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، كَمَا  
يُقَالُ: إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ وَصْهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ بِالسَّنَحِ مِنَ الْعَوَالِي  
بِالْمَدِينَةِ عَلَى بُعْدِ مِيلٍ مِنَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ. وَيُرْوَى أَنَّ  
النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ جَعَلَ لِطَلْحَةَ مَوْضِعَ دَارِهِ.

وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ طَلْحَةَ بْنِ  
عُبَيْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَفِيلٍ،  
وَكِلَاهُمَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَمِنَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَفِي رِوَايَةٍ  
أُخْرَى أَنَّهُ أَخَى بَيْنَ طَلْحَةَ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ، وَهُنَاكَ مَنْ  
يَقُولُ: إِنَّ الْمُواخَاةَ كَانَتْ بَيْنَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ،  
وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -.

### فِي بَدْرِ

عَاشَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي هَذَا الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ  
الْجَدِيدِ، وَهُوَ مَا كَانَ يَحْلُمُ بِهِ، فَعَاشَ حَيَاةَ هَيِّئَةٍ، وَقَدْ زَالَ

(١) أنظر طبقات ابن سعد. ولم يكن طلحة قد تزوج بعد.

عَنْهُ الْعَذَابُ النَّفْسِيُّ الَّذِي كَانَ يُعَانِيهِ فِي مَكَّةَ، فَشَارَكَ  
مُشَارَكَةً بِنَاءَةً فِي الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى (الْعَشِيرَةِ)  
فِي مِائَةِ وَخَمْسِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ جُمَادَى  
الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَتِهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ لَاغْتِرَاضِ  
أَعْظَمِ قَافِلَةٍ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ بِإِمْرَةِ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ،  
وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ الرِّجَالِ<sup>(١)</sup>، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ رَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ عَمَّتِهِ أَبَا سَلَمَةَ  
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيَّ، فَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى (الْعَشِيرَةِ) شَمَالَ (يَنْبُعِ النَّخْلِ)  
وَجَدَ أَنَّ الْقَافِلَةَ قَدْ فَاتَتْهُ، فَوَادَعَ بَنِي مُدَلِّجٍ، وَرَجَعَ إِلَى  
الْمَدِينَةِ، وَلَكِنَّهُ أَبْقَى طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَسَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ  
لِيُخْبِرَاهُ عَنْ عَوْدَةِ الْقَافِلَةِ، وَوَجَّهَهُمَا شَمَالاً، أَوْ بَعْثَهُمَا قَبْلَ  
خُرُوجِهِ إِلَى بَدْرِ بِعَشْرِ لَيَالٍ، فَخَرَجَا حَتَّى بَلَغَا (الْحَوْرَاءَ)،  
فَلَمْ يَزَالَا مُقِيمَيْنِ هُنَاكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمَا الْعِيرُ، وَبَلَغَ رَسُولُ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْخَبَرَ قَبْلَ رُجُوعِ طَلْحَةَ وَسَعِيدٍ  
إِلَيْهِ، فَتَدَبَّرَ أَصْحَابَهُ وَخَرَجَ يُرِيدُ الْعِيرَ، فَأَخَذَتْ طَرِيقَ

---

(١) كان عدد رجال القافلة أربعين رجلاً بينهم عمرو بن العاص.

السَّاحِلِ ، وَأَسْرَعَتْ فَنَجَتْ ، وَخَرَجَ طَلْحَةُ وَسَعِيدُ يُرِيدَانِ  
 الْمَدِينَةَ لِيُخْبِرَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَبَرَ  
 الْعِيرِ ، وَلَمْ يَعْلَمَا بِخُرُوجِهِ ، فَقَدِمَا الْمَدِينَةَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي  
 التَقَى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِجَيْشِ قُرَيْشٍ  
 فِي بَذْرِ أَيِّ يَوْمِ الْمَعْرَكَةِ ، فَخَرَجَا مِنَ الْمَدِينَةِ يَعْتَرِضَانِ رَسُولَ  
 اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَقِيَاهُ بِ (تُرْبَانَ) بَيْنَ (مَلَلٍ)  
 وَ (السِّيَالَةِ) عَلَى الْمَحَجَّةِ مُنْصَرِفًا مِنْ بَذْرِ ، فَلَمْ يَشْهَدْ طَلْحَةُ  
 وَسَعِيدُ الْمَعْرَكَةَ ، فَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ ، بِسَهَامَيْهِمَا وَأَجُورِهِمَا فِي بَذْرِ ، فَكَانَا كَمَنْ شَهِدَاهَا .

### فِي أَحَدٍ

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِلِقَاءِ  
 الْمُشْرِكِينَ فِي أَحَدٍ ، وَأَظْهَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ ،  
 حَتَّى إِذَا فَشِلُوا لِمُخَالَفَتِهِمْ تَعْلِيمَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، انْقَلَبَ الْأَمْرُ فَظَهَرَ أَعْدَاءُ اللَّهِ ، وَأَصَابَ  
 الْمُسْلِمِينَ شِدَّةٌ ، وَعِنْدَ الشَّدَّةِ تُعْرَفُ الرِّجَالُ وَتُمَيِّزُ الْأَبْطَالُ .

وَلَى النَّاسُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
 فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ طَلْحَةُ ، فَأَذْرَكَهُمْ  
 الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ لِقَوْمِ ؟

فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: كَمَا أَنْتَ. فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا. فَقَالَ: أَنْتَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ التَفَتَ فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ: مَنْ لَهُمْ؟ قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا. قَالَ: كَمَا أَنْتَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بَقِيَ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ طَلْحَةُ وَحْدَهُ، فَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الْأَحَدِ عَشَرَ، حَتَّى قُطِعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: حَسٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ قُلْتُ: بِاسْمِ اللَّهِ لَرَفَعْتُكَ الْمَلِكَةَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ» ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ<sup>(١)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي كَانَ يُقَاتِلُ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ غَيْرَ طَلْحَةَ وَيَعْدُ - عَنْ حَدِيثِهِمَا<sup>(٢)</sup> - .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسٍ قَالَ: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي

---

(١) أخرجه النسائي ٦/ ٢٩ - ٣٠ في الجهاد. باب ما يقول من يطعنه العدو. رجاله ثقات. إلا أن أبا الزبير مدلس، وقد عنعن. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣/ ٣٦٩، والبيهقي. وذكره ابن سعد في الطبقات، وابن حجر في الإصابة، وابن كثير في السيرة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٢٣) في الفضائل و (٤٠٦٠) و (٤٠٦١) في المغازي، ومسلم في الفضائل (٢٤١٤).

وَقَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ أُحُدٍ شَلَاءً<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ فِيمَنْ ثَبَتَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ حِجْنٌ وَلَى النَّاسُ، وَبَايَعُهُ عَلَى الْمَوْتِ. وَرَمَى مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ يَوْمَئِذٍ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَثَقَى طَلْحَةَ بِيَدِهِ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَصَابَ خِنْصَرَهُ فَشَلَّتْ. وَأَصَابَتْ طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ أَيْضًا فِي رَأْسِهِ الْمُصَلَّبَةُ، ضَرْبَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ضَرْبَتَيْنِ: ضَرْبَةً وَهُوَ مُقْبِلٌ، وَضَرْبَةً وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهُ، فَكَانَ قَدْ نَزَفَ مِنْهَا الدَّمَ، وَكَانَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْفِهْرِيُّ يَقُولُ: أَنَا وَاللَّهِ ضَرْبَتُهُ يَوْمَئِذٍ.

وَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى صَخْرَةٍ مِنَ الْجَبَلِ لِيَعْلُوَهَا، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَجَلَسَ تَحْتَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَنَهَضَ بِهِ حَتَّى اسْتَوَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ مَا صَنَعَ».

قَالَتْ عَائِشَةُ وَأُمُّ إِسْحَاقَ ابْنَتِي طَلْحَةَ: جُرِحَ أَبُونَا يَوْمَ أُحُدٍ

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة (٣٧٢٤) وفي المغازي (٤٠٦٣) وأحمد ١/ ١٦١، وابن ماجه (١٢٨) والطبراني في الكبير (١٩٢)، وابن سعد ٣/ ١ / ١٥٥، وهو في الاستيعاب ٥ / ٢٣٨.

أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ جِرَاحَةً، وَقَعَ مِنْهَا فِي رَأْسِهِ شَجَّةٌ مُرَبَّعَةٌ،  
وَقُطِعَ نَسَاؤُهُ (يَعْنِي عِرْقَ النِّسَاءِ)، وَشَلَّتْ إصْبَعُهُ، وَسَاثِرُ  
الْجِرَاحِ فِي سَاثِرِ جَسَدِهِ، وَقَدْ غَلَبَهُ الْغَشْيُ، وَرَسُولُ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكْسُورَةٌ رُبَاعِيَّتُهُ، مَشْجُوجٌ فِي  
وَجْهِهِ، قَدْ عَلَاهُ الْغَشْيُ، وَطَلْحَةُ مُحْتَمِلُهُ يَرْجِعُ بِهِ الْقَهْقَرَى،  
كُلَّمَا أَدْرَكَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَاتَلَ دُونَهُ حَتَّى أَسْنَدَهُ إِلَى  
الشَّعْبِ.

وَقَالَ مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ: رَجَعَ طَلْحَةُ يَوْمَئِذٍ بِخَمْسٍ وَسَبْعِينَ  
أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ضَرْبَةً رُبْعٍ فِيهَا جَبِيئُهُ، وَقُطِعَ نَسَاؤُهُ، وَشَلَّتْ  
إصْبَعُهُ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ.

وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: حَدَّثَنِي  
أَبُو بَكْرٍ قَالَ: كُنْتُ فِي أَوَّلِ مَنْ قَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكُمْ صَاحِبُكُمْ، يُرِيدُ طَلْحَةَ، وَقَدْ تُزِفَ فَلَمْ  
يُنْظَرْ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

### بَقِيَّةُ الْمَشَاهِدِ

وَشَهِدَ طَلْحَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، لَمْ يَتَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةٍ، وَلَمْ يَتَأَخَّرَ  
عَنْ مَشْهَدٍ، حَضَرَ الْحَنْدَقَ، وَالْحُدَيْبِيَّةَ، وَخَيْبَرَ، وَالْفَتْحَ،  
وَحُنَيْنَ، وَالطَّائِفَ، وَتَبُوكَ.

وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَمَا كَانَ  
يَسْتَعِدُّ لِلْسَّيْرِ إِلَى تَبُوكَ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي  
بَيْتِ سُورِلِمَ الْيَهُودِيِّ، وَكَانَ بَيْتُهُ عِنْدَ جَاسُومَ<sup>(١)</sup>، يُبْطِئُونَ  
النَّاسَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ  
الْجِهَادِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْرِقَ  
عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُورِلِمَ، فَفَعَلَ طَلْحَةُ، وَلَكِنْ فَرَّ الضَّحَّاكُ بْنُ  
خَلِيفَةَ وَجَمَاعَتَهُ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ وَنَجَوْا.

وَتُوفِيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ رَاضٍ  
عَنْ طَلْحَةَ.

### مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

وَقَفَ طَلْحَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِجَانِبِ الصِّدِّيقِ فِي كُلِّ  
الْمَوَاقِفِ، وَبَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ يَقُومُ بِمَا يُطْلَبُ مِنْهُ.

(١) جاسوم: اسم مكان.



بَعْدَ أَنْ شَيَّعَ الصَّدِيقُ جَيْشَ أُسَامَةَ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ،  
وَجَعَلَ كِبَارَ الصَّحَابَةِ عَلَى مَنَافِذِ الْمَدِينَةِ إِلَى الْبَادِيَةِ،  
وَمِنْهُمْ: طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ،  
وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ،  
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَطَلَبَ مِنْ  
أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَكُونُوا فِي الْمَسْجِدِ اسْتِعْدَادًا لِكُلِّ طَائِرٍ.  
وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْأَرْضَ كَافِرَةٌ، وَقَدْ رَأَى وَفْدُهُمْ قِلَّةً، وَإِنَّكُمْ  
لَا تَذَرُونَّ أَلَيْلًا تُؤْتُونَ أَمْ نَهَارًا، وَأَذَنَاهُمْ مِنْكُمْ عَلَى بَرِيدٍ،  
وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ يَأْمَلُونَ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ وَتُؤَادِعَهُمْ، وَقَدْ أَبَيْنَا  
عَلَيْهِمْ، وَنَبَذْنَا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ، فَاسْتَعِدُّوا وَأَعِدُّوا.

### مَعَ عُمَرَ الْفَارُوقِ

وَكَانَ طَلْحَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِجَانِبِ الْفَارُوقِ أَيْضًا،  
يَقِفُ مَعَهُ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ يَشُدُّ أَرْزَهُ، وَيَسْتَشِيرُهُ عُمَرُ عِنْدَ  
الْحَاجَةِ.

وَلَمَّا طُعِنَ عُمَرُ جَعَلَ الْخِلَافَةَ شُورَى فِي سِتَّةٍ: عُثْمَانُ بْنُ  
عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ،  
وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَطَلْحَةُ بْنُ  
عُبَيْدِ اللَّهِ، وَهُمْ بَقِيَّةُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ إِذْ لَمْ يَسْتَنَّ

مِنْهُمْ سَوَى ابْنِ عَمِّهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ، وَجَعَلَ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مَعَهُمْ مُشِيرًا وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَأَجَلَهُمْ ثَلَاثًا،  
وَأَمَرَ صُهَيْبًا أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ .

لَمْ يَكُنْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ مَوْجُودًا فِي الْمَدِينَةِ آنَذَاكَ  
حَيْثُ كَانَ مَشْغُولًا، خَارِجًا بِبَعْضِ أَعْمَالِهِ . وَاجْتَمَعَ  
أَصْحَابُ الشُّوْرَى، وَاخْتَارُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ خَلِيفَةً  
وَبَايَعُوهُ . وَفِي الْيَوْمِ الَّذِي بُويعَ فِيهِ عُثْمَانُ قَدِمَ طَلْحَةُ بْنُ  
عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَدِينَةَ، فَقِيلَ لَهُ: بَايَعَ عُثْمَانَ، فَقَالَ: أَكُلُّ قُرَيْشٍ  
رَاضٍ بِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ . قَالَ لَهُ: أَكُلُّ النَّاسِ بَايَعُوكَ؟ قَالَ:  
نَعَمْ . قَالَ: قَدْ رَضِيتُ، لَا أَرْغَبُ عَمَّا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَيْهِ،  
وَبَايَعُهُ .

### مَعَ ذِي الثَّوَرَيْنِ عُثْمَانَ

كَانَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَرَى أَنَّ يَبْقَى كِبَارُ الصَّحَابَةِ فِي  
الْمَدِينَةِ يُشِيرُونَ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَيَسْأَلُهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ عُثْمَانُ،  
وَكَانَ مِنْ طَبِيعِهِ اللَّيْنُ، تَرَكَ الْخِيَارَ لِلْجَمِيعِ فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ  
أَوْ الْخُرُوجِ مِنْهَا فَكَانَ طَلْحَةُ مِنْ مَن خَرَجَ وَبَنَى دَارًا فِي  
الْكُوفَةِ، كَمَا خَرَجَ الزُّبَيْرُ وَبَنَى دَارًا فِي الْبَصْرَةِ . وَكَانَ يَأْخُذُ  
عَلَى عُثْمَانَ لِيَنُتِ لِلنَّاسِ، وَخَاصَّةً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَطْنُونَ اللَّيْنَ

ضَعْفًا، وَيَأْخُذُ عَلَيْهِ حَدِيثُهُ الَّذِي يَطْفَحُ بِالْإِيمَانِ لِلَّذِينَ لَمْ  
يَدْخُلِ الْإِيمَانُ إِلَى قُلُوبِهِمْ.

فَلَمَّا كَانَتِ الْفِتْنَةُ، وَحُصِرَ الْخَلِيفَةُ، كَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ  
عَلَيْهِ أَوْ طَلْحَةَ، إِنَّ وَجَدَ أَحَدَهُمَا فَإِنْ لَمْ يَوْجِدْ صَلَّى مَنْ  
وَضَعَهُ الْمُتَحَرِّفُونَ إِمَامًا وَهُوَ الْعَافِيُّ بْنُ حَرْبٍ الْعُكِّيُّ زَعِيمُ  
الْثَّائِرِينَ الْمِصْرِيِّينَ.

وَلَمَّا مَنَعَ الْمُتَحَرِّفُونَ الْمُحَاصِرُونَ لِلْخَلِيفَةِ الْمَاءَ عَنْهُ  
أَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَسْعَفَهُ  
عَلِيٌّ وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَمْلَةً أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ. وَزَجَرَ عَلِيٌّ  
الْثَّائِرِينَ فَلَمْ يَزْعُرُوا. وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يُطِلُّ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ  
عَلَى الْمُتَحَرِّفِينَ الْمُحَاصِرِينَ لَهُ فَيَعْظُمُهُمْ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُونُوا  
لِيَأْبَهُوا لِأَحَدٍ حَتَّى أَنْ أُمُّ حَبِيبَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ تَسْتَطِعِ الْوُصُولَ  
إِلَيْهِ لِإِسْعَافِهِ بِالْمَاءِ، إِذْ ضَرَبُوا وَجْهَ بَغْلَتِهَا، وَكَادَتْ تَسْقُطُ  
عَنْهَا، وَهَذَا مَا أَلَزَمَ النَّاسَ بَيُوتَهُمْ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَمَعَهُ  
سَيْفُهُ، إِذْ اخْتَلَّ الْأَمْنُ فِي دَارِ الْهَجْرَةِ.

دَخَلَ دَارَ عُثْمَانَ بَعْضُ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ لِيُدَافِعُوا عَنْهُ وَفِيهِمْ:  
الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ابْنَا عَلِيٍّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ  
عُبَيْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ،

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِمْ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ عُثْمَانُ أَلَّا يُقَاتِلُوا ،  
وَعَزَمَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَزِيمَةِ .

وَجَاءَ الْمَوْسِمُ ، وَخَرَجَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ إِلَى الْحَجِّ ،  
وَطَلَبَ عُثْمَانُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنْ يَحِجَّ بِالنَّاسِ هَذَا الْعَامَ ،  
وَكَانَ عَلَى بَابِهِ مَعَ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ ، فَأَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَبْقَى  
مُجَاهِدًا ، إِلَّا أَنَّ عُثْمَانَ أَصْرَّ عَلَيْهِ فَخَرَجَ إِلَى الْحَجِّ .

وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَدِينَةِ أَنَّ الْأَمْدَادَ قَدْ دَنَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ  
لِتَأْدِيبِ الْمُنْحَرِفِينَ فَخَافُوا فَأَرَادُوا دُخُولَ الدَّارِ فَمَنَعَهُمْ أَبْنَاءُ  
الصَّحَابَةِ ، فَتَسَوَّرُوهَا وَأَحْرَقُوا بَابَهَا ، وَسَيَّدْنَا عُثْمَانَ يُقْسِمُ  
عَلَى أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ أَنْ يُلْقُوا سِوْفَهُمْ حَتَّى أَلْقَاهَا بَعْضُهُمْ ،  
وَهَجَمَ الْمُنْحَرِفُونَ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَقَتَلُوهُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي  
١٨ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ عَامِ ٣٥ مِنْ هِجْرَةِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ أَفْضَلُ  
الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ . وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا .

وَعَادَ النَّاسُ مِنَ الْحَجِّ فَوَجَدُوا خَلِيفَتَهُمْ مَقْتُولًا ،  
وَالْمُنْحَرِفِينَ يُسَيِّطِرُونَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَا أَمْنٌ فِيهَا .

لَمْ يَكُنِ الْمُنْحَرِفُونَ مُتَّفِقِينَ عَلَى تَعْيِينِ خَلِيفَةٍ مُحَدِّدٍ  
فَالْمِصْرِيُّونَ يَرَوْنَ عَلِيًّا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرْضَ ، وَيَرَى الْكُوفِيُّونَ  
الزُّبَيْرَ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَرْغَبُ وَيَخْتَفِي عَنْهُمْ ، وَيَرَى الْبَصْرِيُّونَ

طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُرِيدُ وَيَتَّبِعُهُ عَنْهُمْ . فَعَرَضُوا  
الْأَمْرَ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَهُوَ مِمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ  
الشُّوَرَى وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرْضَ ، وَاعْتَزَلَ ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْجَوِّ الْعَامِّ ،  
فَاتَّجَهُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَكَانَ رَفْضُهُ أَشَدَّ مِنْ  
الْجَمِيعِ .

اشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى الْمُتَحَرِّفِينَ إِذْ خَافُوا مِنْ وُصُولِ جُنُودِ  
الْأُمَاصِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْقَبْضِ عَلَيْهِمْ إِذْ لَا يَسْتَطِيعُونَ  
قِتَالَهُمْ ، لِذَا يَجِبُ الْإِسْرَاعُ فِي تَعْيِينِ خَلِيفَةٍ يَكُونُ الْوَاجِهَةَ .

وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِلْفَوْضَى الَّتِي حَلَّتْ ،  
وَالْأَمْنِ الَّذِي اخْتَلَّ حَبْلُهُ ، وَرَأَوْا تَعْيِينَ خَلِيفَةٍ لِلتَّخْلُصِ مِمَّا  
هُمْ فِيهِ ، وَوَجَدُوا فِي عَلِيٍّ أَمَلًا .

وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى الصَّحَابَةِ لِمَا آلَ إِلَيْهِ الْوَضْعُ ، وَرَأَوْا  
تَعْيِينَ خَلِيفَةٍ لِإِنْقَاذِ الْمَوْقِفِ ، وَرَغِبُوا فِي عَلِيٍّ لِمَا يَتَحَلَّى بِهِ  
مِنْ صِفَاتٍ . وَعَزَمُوا عَلَيْهِ ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَفَرَحَ  
الْمُنَحَرِفُونَ بِذَلِكَ ، وَاضْطَرَّ عَلِيٌّ لِلْمُوَافَقَةِ لِإِنْقَاذِ الْمَوْقِفِ  
وَخَوْفًا مِنْ أَنْ تَزْدَادَ الْفَوْضَى وَيَتَأَزَّمِ الْوَضْعُ ، وَيَزْدَادَ  
الْمُنَحَرِفُونَ إِجْرَامًا ، إِذْ أَصْبَحَتِ الْجَرَائِمُ عَلَيْهِمْ سَهْلَةً بَعْدَ  
فَعْلَتِهِمُ الَّتِي فَعَلُوهَا .

## مَعَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ

بَايَعَ طَلْحَةَ عَلِيًّا وَرُبَّمَا كَانَ الْمُتَحَرِّفُونَ يُلْزِمُونَ النَّاسَ عَلَى  
الْبَيْعَةِ لِإِنْهَاءِ الْوَضْعِ بِسُرْعَةٍ عَلَيْهِ تَطْوَى صَفْحَةُ جَرِيمَتِهِمْ .  
بَايَعَ طَلْحَةَ حُبًّا وَتَأْيِيدًا وَتَقْدِيرًا لِعَلِيٍّ وَاعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ  
سَاءَ تَصَرُّفُ الْمُتَحَرِّفِينَ . وَكَذَا بَايَعَ الزُّبَيْرُ وَوَجَدَ مَا وَجَدَ  
طَلْحَةَ ، فَأَحْبَبَا أَنْ يَتَّعِدَا عَنْ جَوِّ الْمَدِينَةِ الْمُتْعِبِ .

اسْتَأْذَنَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ الْخَلِيفَةَ لِإِدَاءِ الْعُمْرَةِ ، فَأَذِنَ لَهُمَا ،  
فَسَارَا إِلَى مَكَّةَ ، فَوَجَدَاهَا مَكَانًا لاجْتِمَاعِ كَثِيرِينَ مِنْ عَزَلِ  
مِنَ الْوُلَاةِ ، وَمِنْ اعْتَزَلَ الْفِتْنَةِ . . . وَأَنَّ الْجَوَّ فِيهَا غَيْرُ  
مُسَاعِدٍ لِلْعِبَادَةِ ، وَغَيْرُ مُهِمٍّ لِلرَّاحَةِ ، لِكَثْرَةِ الْحَدِيثِ عَنْ أَخْبَارِ  
الْمُجْتَمَعِ وَمَا سَرَى فِيهِ مِنَ الْفَوْضَى ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ طَلَبَ  
الرِّزْقِ فِيهَا غَيْرُ مُتَوَفِّرٍ ، وَأَنَّ التِّجَارَةَ الَّتِي اعْتَادُوا عَلَيْهَا قَدْ  
انْقَضَتْ أَيَّامُهَا ، لِذَا فَقَدْ اتَّجَهَتْ أَنْظَارُهُمْ لِلسَّيْرِ إِلَى الْبَصْرَةِ  
فَرُبَّمَا كَانَتْ أَكْثَرُ مَلَاءَمَةٍ ، فَقَرَّرُوا التَّوَجُّهَ نَحْوَهَا ، وَأَقْنَعُوا  
عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّيْرِ مَعَهُمْ ، وَكَادَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ  
أَنْ تَخْرُجَ مَعَهُمْ لَوْلَا أَنْ مَنَعَهَا أَخُوها عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ .

سَارَ الْمَوَكِبُ بِاتِّجَاهِ الْبَصْرَةِ ، وَفِيهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، وَأُمُّ  
الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ وَكِبَارُ الْقَوْمِ أَمْشَالِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ

عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ وَالِيًا عَلَى مَكَّةَ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ  
وَعُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، وَيَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، وَجَدِيرٌ بِهَذَا  
الرَّكْبِ أَنْ تَتَّبِعَهُ أَعْدَادُ، وَأَنْ يُرَافِقَهُ كَثِيرُونَ، وَأَنْ يَسِيرَ فِي  
رِكَابِهِ الرَّجَالُ.

تَحَرَّكَ هَذَا الرَّكْبُ وَعَدَّدَ أَفْرَادَهُ يَزِيدُ عَلَى السَّبْعِمِائَةِ، وَإِذَا  
قَدْ رَجَعَ عَدَدُ مِنْهُ فِي الطَّرِيقِ أَمْثَالِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ،  
وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ إِلَّا أَنَّ  
أَعْدَادًا مِنَ الْأَعْرَابِ قَدْ تَبِعَتْهُمْ أَثْنَاءَ السَّيْرِ، حَتَّى وَصَلَ الْعَدَدُ  
إِلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ.

لَمْ يَنْتَبِهْ قَادَةُ الرَّكْبِ إِلَى خَطَرِ هَذَا التَّجْمُعِ وَآثَرِ هَذَا  
السَّيْرِ، فَهُمْ يَسِيرُونَ إِلَى غَايَةِ نَبِيلَةٍ، وَلَا يُعَادُونَ أَحَدًا، وَلَا  
يُفَكِّرُونَ بِالْخُرُوجِ عَلَى الْخَلِيفَةِ، فَبَيَعَتْهُمْ قَدْ أَعْطَوْهَا،  
وَأَخَذُوا الْإِذْنَ مِنَ الْإِمَامِ قَبْلَ الْخُرُوجِ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ فِي  
الْوَاقِعِ انْشِقَاقًا فِي الصَّفِّ، وَرُبَّمَا كَانَ أَوَّلُ انْشِقَاقٍ.

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَعِدُّ لِلْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ لِأَخْذِ الْبَيْعَةِ  
إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالرَّضَا فَبِالْقُوَّةِ، وَأَرْسَلَ إِلَى وُلَاةِ الْأَمْصَارِ لِيُؤَافُوهُ  
بِالْحَرَكَةِ إِلَى الشَّامِ، فِي هَذَا الْوَقْتِ سَمِعَ بِسَيْرِ رَكْبٍ طُلَحَ

وَالزُّبَيْرِ وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَ إِلَى الرَّبَذَةِ يُرِيدُ أَنْ يَحُولَ دُونَ انْطِلَاقِهِمْ إِلَى الْبَصْرَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ فَاتُوهُ ، فَسَارَ هُوَ أَيْضًا ، وَوَصَلَ إِلَى ذِي قَارٍ وَعَسْكَرَ هُنَاكَ ، وَجَاءَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ .

وَصَلَ الرَّكْبُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَدَخَلَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ وَإِلَيْهَا الْقَدِيمُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَتَهَيَّأَ عَامِلُهَا عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ مِنْ قِبَلِ الْخَلِيفَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَادَ الْقِتَالُ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ، إِلَّا أَنَّ جَمَاعَةَ ابْنِ حُنَيْفٍ قَدْ تَخَاذَلُوا وَاخْتَلَفَتْ آرَاؤُهُمْ ، وَلَا عَلاَقَةَ لِلْقِتَالِ بِالْأُمُورِ الْعَامَّةِ ، وَإِنَّمَا لِلْإِذْنِ بِدُخُولِ الْمَدِينَةِ ، وَتَسْلُمِ الْإِمْرَةِ .

التقى الطرفان بالمربد وتكلم طلحة والزبير، وردَّ عليهم ابنُ حنيفة، وكادَ الناسُ يقتلُون، ثمَّ تكلمت أمُّ المؤمنين عائشة، فمالَ إليها بعضُ البصريين، وأنشَبَ القتالَ حكيمُ بنُ جبلةَ العبديُّ قائِدُ خيلِ البصرة، وهو أحدُ الغوغائيين، ثمَّ تصالَحَ الطرفانِ إذْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا خِلَافٌ فِي الْعَقِيدَةِ أَوْ فِي الْفِكْرِ وَإِنَّمَا تَبَايُنٌ فِي وُجْهَاتِ النَّظَرِ فِي أُمُورٍ مَعَاشِيَّةٍ أَوْ اجْتِهَادٌ فِي الرَّأْيِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمَا يَنْظُرُ إِلَى الْآخِرِ نَظْرَةَ حَقْدٍ أَوْ عِدَاءٍ وَإِنَّمَا



نَظَرَةُ أُخُوَّةٍ وَتَبَايَنَتْ وَجْهَهُ نَظَرِيهِمَا ، وَكَانَ لِلْعَوْغَاثِيِّينَ دَوْرٌ فِي زِيَادَةِ بُعْدِ الشُّقَّةِ بَيْنَ الْجَانِيَيْنِ .

اتَّفَقَ الطَّرَفَانِ عَلَى أَنْ يَبْعَثَا رَسُولًا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَنْظُرَ هَلْ بَايَعَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مَكْرَهَيْنِ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَخْلَى عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ لَهُمَا الْبَصْرَةَ ، وَإِنْ كَانَا قَدْ بَايَعَا عَنْ رِضَى خَرَجَا مِنَ الْبَصْرَةِ . وَيَبْقَى كُلُّ فَرِيقٍ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ حَتَّى يَعُودَ الرَّسُولُ ، وَيَنْزِلُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ حَيْثُمَا شَاءَا وَمَنْ مَعَهُمَا ، وَيَصْلِي عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ بِالنَّاسِ ، وَيَبْقَى بَيْتُ الْمَالِ تَحْتَ يَدِهِ وَلَهُ أَمْرُ الْبَصْرَةِ .

ذَهَبَ الرَّسُولُ وَهُوَ كَعْبُ بْنُ ثَوْرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فَسَأَلَ أَهْلَهَا عَنْ بَيْعَةِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، وَأَجَابَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَنَّهُمَا بَايَعَا مَكْرَهَيْنِ ، وَكَادَتْ تَحْدُثُ مُشْكِلَةٌ لِهَذَا الْجَوَابِ . وَرَجَعَ كَعْبُ بْنُ ثَوْرٍ بِالْخَبَرِ ، فَقُلَّ أَنْصَارُ ابْنِ حُنَيْفٍ ، وَعَاتَبَهُ الْخَلِيفَةُ عَلَى تَصَرُّفِهِ ، وَأَنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ لَمْ يُجْبِرْهُمَا أَحَدٌ عَلَى الْبَيْعَةِ وَإِنَّمَا خَافَا الْفِرْقَةَ .

وَأَلْقَى أَهْلُ الْفِتْنَةِ الْقَبْضَ عَلَى ابْنِ حُنَيْفٍ وَأَوْدَعُوهُ السِّجْنَ ، وَتَنَفَّوْا لِحَيْتِهِ وَحَاجَبِيهِ ثُمَّ تَرَكَوْهُ فَسَارَ إِلَى الْخَلِيفَةِ

حَيْثُ كَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَى ذِي قَارٍ وَعَسْكَرَ هُنَاكَ . وَنَظَرُ إِلَى تَرْكِ  
 ابْنِ حُثَيْفٍ فَنَرَى أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ عَدَاوَةٌ بَيْنَ الْجَائِيَيْنِ وَإِنَّمَا  
 خِلَافٌ فِي وَجْهِهِ النَّظَرِ فَقَطُّ فَلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ عَدَاوَةٌ لَقَتَلُوا ابْنَ  
 حُثَيْفٍ أَوْ لَأَخَذُوهُ أَسِيرًا عَلَى الْأَقْلِّ فَهُوَ رَأْسُ  
 أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ . وَبَخْرُوجِ ابْنِ حُثَيْفٍ مِنَ الْبَصْرَةِ غَدَتْ  
 بِأَمْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ الَّذِي يَسِيرُ بِرَأْيِ طَلْحَةَ  
 وَالزُّبَيْرِ، فَقَتَلَ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ أَصْحَابِ الْفِتْنَةِ الَّذِينَ  
 حَاصَرُوا عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي الدَّارِ،  
 وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سِوَى حُرْقُوصِ بْنِ زُهَيْرِ الْعَبْدِيِّ . كَمَا قُتِلَ  
 حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ الْعَبْدِيُّ الَّذِي كَانَ مِنَ الْغَوْغَائِيِّينَ، وَعَلَى  
 رَأْسِ خَيْلِ الْبَصْرَةِ، وَقَدْ أَشْعَلَ نَارَ الْفِتْنَةِ، وَحَرَّكَ نَارَ  
 الْحَرْبِ، وَبِهَذَا الْقَتْلِ انْدَلَعَتْ شَرَارَةُ الْخِلَافَاتِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ .  
 أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو  
 التَّمِيمِيَّ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَكَلَّمَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَأَمَّ الْمُؤْمِنِينَ  
 عَائِشَةَ فَوَافَقُوا عَلَى الصُّلْحِ وَجَمَعَ الْكَلِمَةَ إِنْ وَاَفَقَ الْخَلِيفَةُ،  
 وَرَجَعَ الْقَعْقَاعُ وَحَدَّثَ عَلِيًّا فَوَافَقَ وَسُرَّ بِذَلِكَ . وَذَهَبَتْ  
 الْوُقُودُ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مُعَسَّكَرِ الْخَلِيفَةِ، وَأَوْشَكَ الْخِلَافُ عَلَى  
 الْإِنْتِهَاءِ، وَأَرَادَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَرْتَحِلَ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ أَعَانَ عَلَى  
 عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَلَا يَرْتَحِلُ مَعَنَا .

شَعَرَ الْمُنْحَرِفُونَ أَنَّ الصَّلَحَ سَيَدُورُ عَلَيْهِمْ ، وَسَتَنَالُهُمُ الْعُقُوبَةُ ، فَتَسَاءَلُوا لِمَذَا تُبْرِمُهُ عَلَى أَنْفُسِنَا؟ وَتَدَاوَلُوا الرَّأْيَ وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ سَبَا لَا يُعْجِبُهُ رَأْيٌ حَتَّى تَوْصَلُوا إِلَى ضَرُورَةٍ إِشْعَالِ نَارِ الْفِتْنَةِ فِيمَا إِذَا اقْتَرَبَ الطَّرَفَانِ بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ . وَأَرْسَلَ عَلِيُّ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ابْنِ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَرْسَلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ إِلَى عَلِيٍّ وَلَدَ طَلْحَةَ مُحَمَّدًا ، وَتَحَدَّثُوا فِيمَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ .

رَحَلَ الْخَلِيفَةُ بِمَنْ مَعَهُ وَبِأَهْلِ الْكُوفَةِ مِنْ ذِي قَارٍ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَعَسَكَرَ بِجَانِبِ مُعَسْكَرِ أَهْلِهَا ، وَأَنْشَبَ الْمُنْحَرِفُونَ وَالغَوَاثِيُونَ الْقِتَالَ بِأَسْبَابٍ بَسِيطَةٍ ، وَخَرَجَ الْأَمْرُ مِنْ يَدِ الْخَلِيفَةِ وَكِبَارِ رِجَالِهِ ، وَمِنْ يَدِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَكِبَارِ مَنْ مَعَهُمَا .

### مَقْتَلُ طَلْحَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

خَرَجَ الْخَلِيفَةُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ، وَنَادَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ فَكَلَّمَهُمَا ، وَقَالَ لِلزُّبَيْرِ أَتَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَكَ : « . . . وَلِكِنَّكَ سَتَقَاتِلُهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ » ، قَالَ : تَذَكَّرْتُ ذَلِكَ ، وَلَوْ كُنْتُ أَذْكُرُ مَا خَرَجْتُ . وَأَرَادَ الْاِعْتَزَالَ وَخَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى وَادِي السَّبَاعِ غَدَرَ بِهِ ابْنُ جُرْمُوزٍ وَقَتَلَهُ .

وَاسْتَطَاعَتِ السَّيِّئَةُ أَنْ تُنْشِبَ الْقِتَالَ إِذْ لَاحَظَتْ أَنَّ التَّأْخِيرَ  
يُؤَدِّي إِلَى التَّفَاهُمِ ، وَالتَّقَى الْجَانِبَانِ فِي الْمَعْرَكَةِ فِي مُنْتَصَفِ  
جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ عَامِ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ . وَاشْتَدَّتْ  
الْمَعْرَكَةُ أَمَامَ الْجَمَلِ الَّذِي عَلَيْهِ هَوْدَجُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ،  
وَعِنْدَمَا عَقَرَ الْجَمَلُ انْفَرَجَتِ الْمَعْرَكَةُ وَهَزِمَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ .

وَأُصِيبَ طَلْحَةُ ، وَجُرِحَ جُرْحًا بَلِيغًا بَدَأَ يَنْزِفُ مِنْهُ الدَّمَ ،  
وَاسْتَمَرَّ فِي الْقِتَالِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو التَّمِيمِيُّ - وَهُوَ مِنْ  
قَادَةِ خُصُومِهِ - : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّكَ جَرِيحٌ وَحَبْدًا لَوْ دَخَلْتَ أَحَدَ  
الْبُيُوتَاتِ .

وَكَانَ مَقْتُلُ طَلْحَةَ فِي الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى  
الْآخِرَةِ سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ ، كَمَا قُتِلَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ  
ابْنُهُ مُحَمَّدٌ .

اسْتَمَرَّتِ الْمَعْرَكَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، أُعْطِيَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بَعْدَهَا  
الْبَيْعَةَ لِلْخَلِيفَةِ ، فَوَلَّى عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَسَارَ هُوَ  
إِلَى الْكُوفَةِ لِيَسْتَعِدَّ لِلْسَّيْرِ إِلَى الشَّامِ .

قَالَ عُلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيُّ : رَأَيْتُ طَلْحَةَ ، وَأَحَبُّ  
الْمَجَالِسِ إِلَيْهِ أَخْلَاهَا ، وَهُوَ ضَارِبٌ بِلَحْيَتِهِ عَلَى زُورِهِ ،  
فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنِّي أَرَاكَ وَأَحَبُّ الْمَجَالِسِ إِلَيْكَ

أَخْلَاهَا، إِنْ كُنْتَ تَكْرَهُ هَذَا الْأَمْرَ فَدَعُهُ، فَقَالَ: يَا عَلْقَمَةُ، لَا تَلْمَنِي، كُنَّا بِالْأَمْسِ يَدًا وَاحِدَةً عَلَى مَنْ سِوَانَا، فَأَصْبَحْنَا الْيَوْمَ جَبَلَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ، يَزْحَفُ أَحَدُنَا إِلَى صَاحِبِهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنِّي شَيْءٌ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ<sup>(١)</sup>، مِمَّا لَا أَرَى كَفَّارَتَهُ إِلَّا سَفَكَ دَمِي، وَطَلَبَ دَمِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَرُوِيَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَأَى طَلْحَةَ فِي وَادٍ مُلْقَى، فَتَنَزَّلَ، فَمَسَحَ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: عَزِيزُ عَلِيٍّ أَبَا مُحَمَّدٍ أَنْ أَرَاكَ مُجَدَّلًا فِي الْأُودِيَةِ تَحْتَ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عُجْرِي وَبُجْرِي.

وَرُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا انْتَهَى إِلَى طَلْحَةَ وَقَدْ مَاتَ، فَتَنَزَّلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَأَجْلَسَهُ، وَمَسَحَ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَهُوَ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بَعِشْرِينَ سَنَةً.

رَوَى أَبُو حَبِيبَةَ مَوْلَى طَلْحَةَ فَقَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ مَعَ عِمْرَانَ بْنِ طَلْحَةَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ الْجَمَلِ، فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَنِي اللَّهُ وَأَبَاكَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ

(١) كان طلحة يلوم عثمان على لینه ویاخذ علیه ذلك.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/ ٣٧٢.

مُتَقَابِلِينَ ﴿١﴾ . فَقَالَ رَجُلَانِ جَالِسَانِ أَحَدُهُمَا الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ: اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَقْبَلَهُمْ وَيَكُونُوا إِخْوَانًا فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: قُومًا أَبْعَدُ أَرْضٍ وَأَسْحَقَهَا، فَمَنْ هُوَ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَنَا وَطَلْحَةَ! يَا ابْنَ أَخِي: إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَأَيِّتْنَا (٢) .

وَحَدَّثَ رَبِيعِيُّ بْنُ حِرَاشٍ قَالَ: إِنِّي لَعِنْدَ عَلِيٍّ جَالِسٌ إِذْ جَاءَ ابْنُ طَلْحَةَ فَسَلَّمَ عَلَى عَلِيٍّ، فَرَحَّبَ بِهِ عَلِيٌّ، فَقَالَ: تَرْحَبُ بِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ قَتَلْتَ وَالِدِي وَأَخَذْتَ مَالِي؟ قَالَ: أَمَّا مَالُكَ فَهُوَ مَعْرُوفٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَأَعْذُ إِلَى مَالِكَ فَخُذْهُ، وَأَمَّا قَوْلُكَ قَتَلْتَ أَبِي فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَبُوكَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ أَعْوَرٌ، اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَصَاحَ عَلِيٌّ صَبِيحَةً تَدَاوَى لَهَا الْقَصْرُ، قَالَ: فَمَنْ ذَاكَ إِذَا لَمْ نَكُنْ نَحْنُ مِنْ أَوْلِيكَ؟ .

وَقَالَ أَبُو حُمَيْدَةَ عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّاعِنِيُّ: لَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ الْكُوفَةَ أَرْسَلَ إِلَى ابْنِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُمَا: يَا ابْنَي أَخِي انْطَلِقَا إِلَى أَرْضِكُمَا فَاقْبِضَاَهَا، فَإِنِّي إِنَّمَا قَبَضْتُهَا

(١) سورة الحجر الآية ١٥ .

(٢) ذكره ابن سعد، والطبري في تفسيره، وابن كثير في تفسيره .

لِنَلَّا يَتَخَطَّفَهَا النَّاسُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَبُوكُمَا مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾. قَالَ الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ الهمداني: اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَخَذَ عَلَيَّ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ وَقَالَ: فَمَنْ، لَا أُمَّ لَكَ.

وَرُوي أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: بَشِّرُوا قَاتِلَ طَلْحَةَ بِالنَّارِ.

### شَخْصِيَّةُ طَلْحَةَ

كَانَ رَجُلًا آدَمَ<sup>(١)</sup> كَثِيرَ الشَّعْرِ، لَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا بِالسَّبْطِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، دَقِيقَ الْعَرْنَيْنِ<sup>(٢)</sup>، إِذَا مَشَى أَسْرَعَ، وَكَانَ لَا يُعَيِّرُ شَعْرَهُ.

كَانَ يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْمَصْبُوغَةَ، وَيُحِبُّ مَا كَانَ مِنْهَا بِلَوْنِ الْعُصْفَرِ، وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ أَبْصَرَ طَلْحَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا طَلْحَةُ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا هُوَ مَدْرٌ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ أَئِمَّةٌ يُقْتَدَى بِكُمْ، وَلَوْ رَأَى أَحَدٌ جَاهِلٌ قَالَ طَلْحَةَ يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْمَصْبُغَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَإِنَّ أَحْسَنَ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ الْبَيَاضَ، فَلَا تَلْبِسُوا عَلَى النَّاسِ.

(١) آدم: أسمر.

(٢) العرنين: الأنف.

وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ وَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ يُنْفِقُ الْكَثِيرَ مِنْهُ عَلَى أَهْلِهِ، وَقَوْمِهِ وَالْمُسْلِمِينَ. وَأَكْثَرَ أَمْوَالِهِ بِالْعِرَاقِ، وَبِالسَّرَّاءِ، وَبِأَرْضِ قَنَاةَ. وَلَا يَدْعُ أَحَدًا مِنْ بَنِي تَيْمٍ عَائِلًا إِلَّا كَفَاهُ مَوْنَتَهُ وَمَوْنَةَ عِيَالِهِ، وَزَوْجَ أَيَّامَاهُمْ، وَأَخْدَمَ عَائِلَهُمْ، وَقَضَى دَيْنَ غَارِمِهِمْ، وَلَقَدْ كَانَ يُرْسِلُ إِلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ.

تَقُولُ زَوْجُهُ سَعْدَى بِنْتُ عَوْفِ الْمُرِّيَّةِ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى طَلْحَةَ وَهُوَ حَائِرٌ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ؟ أَرَأَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَنِعْمَ حَلِيلَةُ الْمُسْلِمِ أَنْتِ، وَلَكِنْ مَالٌ عِنْدِي أَغْمِي، فَقُلْتُ: مَا يَغْنَمُكَ؟ عَلَيْكَ بِقَوْمِكَ، قَالَ: يَا غَلَامُ! ادْعُ لِي قَوْمِي، فَقَسَّمَهُ فِيهِمْ، فَسَأَلْتُ الْخَازِنَ: كَمْ أُعْطِيَ؟ قَالَ: أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ.

وَبَاعَ طَلْحَةُ أَرْضًا لَهُ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ بِهَا قَالَ: إِنَّ رَجُلًا تَبَيَّنْتُ عِنْدَهُ هَذِهِ فِي بَيْتِهِ لَا يَدْرِي مَا يَطْرُقُهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَبَاتَ وَرُسُلُهُ تَخْتَلِفُ بِهَا فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ حَتَّى أَسْحَرَ وَمَا عِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ وَاحِدٌ.

وَكَانَ يُغَلُّ كُلَّ سَنَةٍ مِنَ الْعِرَاقِ مِائَةَ أَلْفِ سِوَى غَلَّاتِهِ مِنَ السَّرَّاءِ وَغَيْرِهَا، وَلَقَدْ كَانَ يُدْخِلُ قُوَّةَ أَهْلِهِ بِالْمَدِينَةِ سِتِّهِمْ مِنْ



مَزْرَعَةٍ بِقَنَاةٍ كَانَ يَزْرَعُ فِيهَا عَلَى عِشْرِينَ نَاصِحًا، وَأَوَّلَ مَنْ  
زَرَعَ الْقَمْحَ بِقَنَاةٍ هُوَ.

قَالَ قُبَيْصَةُ بْنُ جَابِرٍ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أُعْطِيَ لِجَزِيلٍ مَالٍ مِنْ  
غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مِنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ.

وَقَالَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ: صَحِبْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي  
السَّفَرِ وَالْحَضَرِ فَلَمْ أُخْبَرْ أَحَدًا أَعَمَّ سَخَاءً عَلَى الدَّرْهِمِ  
وَالثُّوبِ وَالطَّعَامِ مِنْ طَلْحَةَ.

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ: عَاشَ طَلْحَةُ حَمِيدًا سَخِيًّا  
شَرِيفًا وَقَتِلَ فَقِيرًا.

وَعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ  
سَمَّاهُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَلْحَةَ الْخَيْرِ، وَفِي غَزْوَةِ  
الْعَشِيرَةِ طَلْحَةَ الْفَيَاضِ، وَيَوْمُ خَيْرِ طَلْحَةَ الْجُودِ.

وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى طَلْحَةَ يَسْأَلُهُ، فَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِرَحِمٍ فَقَالَ:  
إِنَّ هَذِهِ لَرَحِمٌ مَا سَأَلَنِي بِهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ، إِنَّ لِي أَرْضًا قَدْ  
أَعْطَانِي بِهَا عُثْمَانُ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ، فَأَقْبِضْهَا، وَإِنْ شِئْتَ بَعْتُهَا  
مِنْ عُثْمَانَ، وَدَفَعْتُ إِلَيْكَ الثَّمَنَ، فَقَالَ: الثَّمَنُ. فَأَعْطَاهُ.

رَوَى طَلْحَةُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. وَلَهُ عِدَّةُ أَحَادِيثَ عَنْ

النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لَهُ حَدِيثَانِ اتَّفَقَ عَلَيْهِمَا  
الشَّيْخَانِ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ لَهُ بِحَدِيثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِثَلَاثَةِ  
أَحَادِيثَ. وَلَهُ فِي مُسْنَدِ بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ ثَمَانِيَةٌ وَثَلَاثُونَ حَدِيثًا.  
وَيَعُدُّ طَلْحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ حُلَمَاءِ قُرَيْشٍ.

بُـنَاة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٣٩

أَبُو طَاهِرٍ

زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



## أَسْرَتُهُ

هُوَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ حَرَامٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ مِنَ الْخَزْرَجِ . فَهُوَ أَحَدُ سَادَاتِ الْخَزْرَجِ وَأَشْرَافِ بَنِي النَّجَّارِ ، وَيَعُدُّ بَنُو النَّجَّارِ أَوَّلَ بَطُونِ الْخَزْرَجِ شَرَفًا ، وَيَكْنِيهِمْ مَكْرَمَةً أَنَّهُمْ أَخْوَالُ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ أَنَّ أُمَّ جَدِّهِ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ مِنْهُمْ وَهِيَ سَلَمَى بِنْتُ عَمْرِو النَّجَّارِيَّةُ .

وَأُمُّهُ عَبَادَةُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ عَدِيِّ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ أَيْضًا .

وَزَوْجُهُ هِيَ أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ أَيْضًا ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي اسْمِهَا ، فَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ : اسْمُهَا سَهْلَةٌ ، وَيُقَالُ رُمَيْلَةٌ ، وَيُقَالُ رُمَيْشَةٌ ، وَيُقَالُ أَنْيْثَةٌ ، وَيُقَالُ مُلَيْكَةٌ . كَمَا وَرَدَ اسْمُهَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي حَدِيثِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ بِالرُّمَيْصَاءِ ، وَالْحَدِيثُ ، قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ». كَمَا وَرَدَ الْغُمَيْصَاءُ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً<sup>(١)</sup>، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ<sup>(٢)</sup>». وَقَدْ أُسْلِمَتْ مُنْذُ أَخَذَ الْإِسْلَامُ طَرِيقَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَعَرَضَتْ عَلَى زَوْجِهَا مَالِكِ بْنِ النُّضْرِ الْإِسْلَامَ فَأَبَى وَغَاضَبَهَا وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَهَلَكَ، فَتَزَوَّجَتْ أَبَا طَلْحَةَ بِشَرْطِ أَنْ يُسْلِمَ فَأُسْلِمَ وَذَلِكَ بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَى وَقَبْلَ الثَّانِيَةِ أَوْ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ.

وَأَوْلَادُهُ: عَبْدُ اللَّهِ، وَأَبُو عُمَيْرٍ، وَأُمُهُمَا أُمُّ سَلِيمٍ، وَيَرْوِي أَنَسُ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى أَبِي طَلْحَةَ فَرَأَى ابْنًا لَهُ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ حَزِينًا - قَالَ: وَكَانَ إِذَا رَأَاهُ مَازَحَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: فَقَالَ: مَا لِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ حَزِينًا؟ قَالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُعْرَهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ. قَالَ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: أَبَا

(١) خشفة: صوت المشي.

(٢) المشهور أَنَّ اختها أُم حَرَامٍ زَوْجَ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ هِيَ الَّتِي تَسْمَى الرَّمَيْصَاءَ.

عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ .

## إِسْلَامُ أَبِي طَلْحَةَ

أَسْلَمَ أَبُو طَلْحَةَ عِنْدَمَا تَزَوَّجَ أُمُّ سُلَيْمٍ ، وَيُرْوَى لَنَا ابْنُهَا  
أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ قِصَّةَ ذَلِكَ الزَّوْاجِ . أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ  
أَنْسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ  
أُمَّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ :

أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ إِلَهَكَ الَّذِي تَعْبُدُ نَبَتٌ مِنَ الْأَرْضِ ؟ .

قَالَ : بَلَى .

قَالَتْ : أَفَلَا تَسْتَحْيِي تَعْبُدُ شَجَرَةً ؟

إِنْ أَسْلَمْتَ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ مِنْكَ صِدَاقًا غَيْرَهُ .

قَالَ : حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِي .

فَذَهَبَ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا  
رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَتْ : يَا أَنْسُ زَوْجُ أَبَا طَلْحَةَ . فَرَوَّجَهَا .

وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ عَنْ أَنْسٍ قَالَ : خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ  
سُلَيْمٍ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ  
كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ ، فَإِنْ تُسْلِمَ

فَذَاكَ مَهْرِي، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا. قَالَ ثَابِتٌ  
فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ،  
الْإِسْلَامُ، فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ<sup>(١)</sup>.

وَجَاءَ مُوسِمٌ خُرُوجِ الْحُجَّاجِ إِلَى مَكَّةَ، وَسَارَ الرُّكْبُ  
الْمَدَنِيُّ، وَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ، وَالْمُشْرِكُونَ فِيهِ لَا  
يَعْرِفُونَهُمْ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَقَى الْمُسْلِمُونَ  
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مَنِىٍّ بِالْعَقَبَةِ،  
وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ مِمَّنْ شَهِدَ هَذَا.

وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ  
وَبَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ<sup>(٢)</sup>. وَفِي رِوَايَةٍ بَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ  
وَالْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ<sup>(٣)</sup>.

## الْجِهَادُ

شَهِدَ أَبُو طَلْحَةَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ شَهِدَ بَذْرًا، وَأَبْلَى الْبَلَاءَ الْحَسَنَ.

(١) باب التزويج على الإسلام ٣٣٤١.

(٢) صحيح مسلم.

(٣) طبقات ابن سعد.



وَحَضَرَ أَحَدًا، وَكَانَ يَرْمِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ خَلْفَهُ يَتَرَسُّ بِهِ، وَكَانَ رَامِيًا. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَمَى أَبُو طَلْحَةَ، رَفَعَ بَصَرَهُ يَنْظُرُ أَيْنَ يَقَعُ سَهْمُهُ. فَكَانَ يَدْفَعُ صَدْرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هكَذَا لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ، انْهَزَمَ نَاسٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُجَوِّبًا<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ<sup>(٣)</sup>، وَكَانَ رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمِيذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً. وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجُعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اِثْرَهَا لِأَبِي طَلْحَةَ». ثُمَّ يُشْرِفُ عَلَى الْقَوْمِ. فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، لَا تُشْرِفْ، لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ.

قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشْمَرَاتٍ،

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٨٦، وابن سعد في الطبقات ٣/ ٥٠٦.

(٢) مجوباً: واقفاً دونه.

(٣) الحجفة: الترس من الجلد.

أَرَى خَدَمَ<sup>(١)</sup> سُوقِهِمَا، تَنْقُزَانِ<sup>(٢)</sup> الْقَرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا،  
وَتَفَرِّغَانِيَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، وَتَرْجَعَانِ قَتْمَلَانِيَا. فَلَقَدْ وَقَعَ  
السَّيْفُ مِنْ يَدِ أَبِي طَلْحَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا مِنَ النَّعَاسِ<sup>(٣)</sup>.

وَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أَحَدٍ فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ وَمَا  
مِنْهُمْ يَوْمِيذٍ أَحَدٌ إِلَّا يَمِيدُ تَحْتَ حَجَفَتِهِ مِنَ النَّعَاسِ<sup>(٤)</sup>.

وَشَهِدَ الْخَنْدَقَ، وَالْحُدَيْيَّةَ، وَخَيْبَرَ، وَالْفَتْحَ.

وَرَوَى أَنَسُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ  
يَوْمَ حُنَيْنَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ» فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمِيذٍ  
عِشْرِينَ رَجُلًا، وَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ<sup>(٥)</sup>.

وَلَقِيَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَ حُنَيْنَ زَوْجَهُ أُمَّ سُلَيْمٍ وَمَعَهَا خَنْجَرٌ،  
فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي مَعَكَ؟ قَالَتْ: أَرَدْتُ وَاللَّهِ  
إِنْ دَنَا مِنِّي بَعْضُهُمْ أَنْ أَبْعَجَ بِهِ بَطْنَهُ، فَأَخْبَرَ أَبُو طَلْحَةَ بِذَلِكَ  
رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) خدم السوق: موضع الخلخال.

(٢) تنقزان: تثبتان.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٨/٧، ٢٧٩.

(٤) أخرجه البخاري، والنسائي، وابن ماجه.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٧١٨ في باب الجهاد، والدارمي ٢/٢٢٩.

وَتُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ  
رَاضٍ.

وَاسْتَمَرَّ فِي الْجِهَادِ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَرَادَ الْجِهَادَ أَيَّامَ  
عُثْمَانَ بَعْدَ أَنْ قَرَأَ سُورَةَ التَّوْبَةِ وَفِيهَا: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا  
وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ  
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فَقَالَ: أَرَى رَبِّي يَسْتَفِزُّنِي شَابًا  
وَشَيْخًا، وَطَلَبَ مِنْ أَتْنَائِهِ أَنْ يُجَهِّزُوهُ، فَقَالُوا: غَزَوْتَ مَعَ  
رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى قُبِضَ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ  
وَعُمَرُ، وَالْآنَ نَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ، قَالَ: جَهِّزُونِي فَرَكِبَ الْبَحْرَ  
فَمَاتَ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً لِيَدْفِنُوهُ إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَلَمْ  
يَتَغَيَّرْ.

وَعِنْدَمَا عَيَّنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رِجَالَ  
الشُّوْرَى بَعْدَ أَنْ طُعِنَ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ وَقَالَ لَهُ: كُنْ فِي  
خَمْسِينَ مِنْ قَوْمِكَ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَصْحَابِ الشُّوْرَى  
فَإِنَّهُمْ فِيمَا أَحْسَبُ سَيَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ أَحَدِهِمْ فَقُسمَ عَلَى  
الْبَابِ بِأَصْحَابِكَ، فَلَا تَتْرُكْ أَحَدًا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَتْرُكُهُمْ  
يَمْضِي الْيَوْمُ الثَّالِثُ حَتَّى يُؤْمَرُوا أَحَدُهُمْ، وَقُسمَ عَلَى

(١) سورة التوبة الآية ٤٣.

رُؤُوسِهِمْ، فَإِنْ اجْتَمَعَ خَمْسَةٌ وَرَضُوا رَجُلًا وَأَبَى وَاحِدٌ  
فَاشْدَخَ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ وَرَضُوا رَجُلًا مِنْهُمْ  
وَأَبَى اثْنَانِ فَاضْرِبْ رُؤُوسَهُمَا، فَإِنْ رَضِيَ ثَلَاثَةٌ رَجُلًا مِنْهُمْ  
وَثَلَاثَةٌ رَجُلًا فَحَكِّمُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ حَكَمَ لَهُ  
فَلْيَخْتَارُوا رَجُلًا مِنْهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
عُمَرَ فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَاقْتُلُوا  
الْبَاقِينَ إِنْ رَغِبُوا عَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَلَا يَحْضُرُ الْيَوْمَ  
الرَّابِعُ إِلَّا وَعَلَيْكُمْ أَمِيرُكُمْ، اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلِيفَتِي فِيهِمْ. وَقَدْ  
لَزِمَ أَبُو طَلْحَةَ أَصْحَابَ الشُّورَى بَعْدَ دَفْنِ عُمَرَ حَتَّى بُويعَ  
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

وَهَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى مَكَانَةِ أَبِي طَلْحَةَ إِذْ جَعَلَهُ عُمَرُ عَلَى  
رِجَالِ الشُّورَى وَهُمْ صَفْوَةُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

### شَخْصِيَّةُ أَبِي طَلْحَةَ

وُلِدَ أَبُو طَلْحَةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسِتٍّ وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَهُوَ إِذَنْ أَصْغَرُ  
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِسَبْعِ عَشْرَةِ سَنَةً.  
كَانَ آدَمَ مَرْبُوعًا لَا يُغَيِّرُ شَيْئَهُ.

كَانَ صَيِّتًا، وَقَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
«صَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ».

كَانَ رَامِيًا مَاهِرًا، وَإِذَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: نَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفِدَاءُ، وَوَجْهِي لَوَجْهِكَ الْوَقَاءُ. وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

أَنَا أَبُو طَلْحَةَ وَاسْمِي زَيْدٌ  
وَكُلُّ يَوْمٍ فِي سِلَاحِي صَيْدٌ

وَكَانَ ثَرِيًّا كَرِيمًا، وَيُعَدُّ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ نَحْلًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذَخَرَهَا، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. فَقَالَ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ».

وَكَانَ جَلْدًا يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي جَلْدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَجَّهْنِي فِي حَوَائِجِكَ، وَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ.

وَكَانَ رَجُلًا عَابِدًا، فَقَدْ أَمْضَى حَيَاتُهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَائِمًا، لَا يَفْطُرُ إِلَّا فِي مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ، وَفِي عِيدَيِ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى.

وَكَانَ يَخْشَى اللَّهَ كَثِيرًا، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ أُمُّ سُلَيْمٍ صَالِحَةً  
تُسَاعِدُهُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ أَنَسُ: مَاتَ ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ  
سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِإِيبِهِ حَتَّى أَكُونَ  
أَنَا أَحَدُهُ قَالَ: فَجَاءَ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً، فَأَكَلَ وَشَرِبَ.  
فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعْتَ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ  
بِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ  
أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ ثُمَّ طَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ  
أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ لَا. قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ.

قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: تَرَكْتَنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي  
بِإِيبِي؟.

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ  
بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَارَكَ اللَّهُ  
لَكُمْ فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا».

قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي سَفَرٍ،  
وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ فِي الرُّكْبِ، وَمَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ سُلَيْمٍ. وَكَانَ  
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ  
لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا<sup>(١)</sup>، فَدَنُّوا مِنَ الْمَدِينَةِ فَضْرَبَ أُمُّ سُلَيْمٍ

(١) لا يطرُقها طروقاً: لا يدخلها في الليل.

الْمَخَاضُ<sup>(١)</sup>، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ  
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَقُولُ:  
 إِنَّكَ تَعْلَمُ يَا رَبُّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ  
 وَأَدْخَلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى. قَالَ: فَتَقُولُ لَهُ  
 أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجْدُ الَّذِي كُنْتُ أَجْدُ. انْطَلَقَ  
 فَانْطَلَقْنَا، قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا الْمَدِينَةَ. فَقَالَتْ  
 لِي أُمِّي: يَا أَنْسُ لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَى رَسُولِ  
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا احْتَمَلَتْهُ فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مَيْسِمٌ<sup>(٢)</sup>. فَلَمَّا رَأَى  
 قَالَ: «لَعَلَّ أُمُّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ». قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ  
 فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
 بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلَاكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ، ثُمَّ قَذَفَهَا  
 فِي فِي الصَّبِيِّ. فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ  
 اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا حُبَّ الْأَنْصَارِ التَّمَرِ».   
 قَالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَاءَهُ عَبْدُ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

(١) المخاض: ألم الوضع.

(٢) الميسم: أداة يَكْوَى بها الحيوان.

(٣) أخرجه مسلم. وبارك الله في هذا المولود فكان له عشرة أولاد كلهم أهل  
 علم.

رَوَى عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثِيْفًا وَعِشْرِينَ  
حَدِيثًا: مِنْهَا حَدِيثَانِ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَتَفَرَّدَ الْبُخَارِيُّ  
بِحَدِيثٍ، وَمُسْلِمٌ بِحَدِيثٍ.

وَرَوَى عَنْهُ رَبِيبُهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَزَيْدُ بْنُ  
خَالِدٍ الْجُهَنِيُّ، وَابْنَةُ أَبُو إِسْحَاقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَلْحَةَ.

وَتُوفِيَ فِي الْمَدِينَةِ عَامَ ٣٤ هـ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعُمُرُهُ يَوْمَ ذَلِكَ سَبْعُونَ عَامًا، وَهُنَاكَ رِوَايَةٌ  
أَنَّهُ تُوفِيَ فِي الْبَحْرِ - كَمَا سَبَقَ أَنْ أَلْمَحْنَا - وَهِيَ رِوَايَةٌ  
مَرْجُوحَةٌ، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ اخْتِلَافًا فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ.



بُناة دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ

٤٠

أَبُو حَمَّادٍ

سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



## أُسْرَتُهُ

هُوَ سِمَاكُ بْنُ خَرِشَةَ بْنِ لَوْذَانَ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ زَيْدِ  
السَّاعِدِيِّ الْخَزْرَجِيِّ. وَأُمُّهُ حَزْمَةُ بِنْتُ حَزْمَلَةَ مِنْ بَنِي زُعْبِ  
مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بْنِ مَنْصُورٍ.

تَزَوَّجَ أَمِنَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ الْأَجَشِّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، وَأَنْجَبَتْ  
لَهُ وَلَدَهُ خَالِدًا.

## إِسْلَامُهُ

أَسْلَمَ أَبُو دُجَانَةَ مُنْذُ أَنْ أَخَذَ الْإِسْلَامَ طَرِيقَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ  
بَعْدَ بَيْعَةِ الْعُقَبَةِ الْأُولَى.

وَعِنْدَمَا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآخَى  
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَخَى بَيْنَ أَبِي دُجَانَةَ وَبَيْنَ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ.

## جِهَادُهُ

شَهِدَ أَبُو دُجَانَةَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ يُعَلِّمُ بِالزُّخُوفِ بِعِصَابَةِ حُمْرَاءَ. وَكَانَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ بَدْرٍ.

وَحَضَرَ أُحُدًا، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَيْفًا قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ، وَقَالَ: مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ، فَأَمْسَكُوهُ عَنْهُمْ حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرِشَةَ، فَقَالَ: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: أَنْ تَضْرِبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِي، قَالَ: أَنَا آخُذُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. فَلَمَّا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ الْحُمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، وَجَعَلَ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ الصَّفِّينِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ رَأَى أَبُو دُجَانَةَ يَتَبَخَّرُ: «إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يَبْغِضُهَا اللَّهُ، إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ». فَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتَّى أَمْعَنَ فِي النَّاسِ.

وَرَوَى أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ قَالَ: وَجِدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السَّيْفَ فَمَنْعَنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ، وَقُلْتُ: أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، وَمِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِي،

وَاللَّهُ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ؛ فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمَرَاءَ،  
فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ  
الْمَوْتِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إِذَا تَعَصَّبَ بِهَا. فَخَرَجَ وَهُوَ  
يَقُولُ:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي  
وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ  
أَلَّا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكُيُولِ<sup>(١)</sup>  
أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ، وَكَانَ فِي الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا  
يَدْعُ لَنَا جَرِيحًا إِلَّا ذَفَفَ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ، فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْنُو  
مِنْ صَاحِبِهِ. فَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَالْتَقِيَا فَاخْتَلَفَا  
ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبَ الْمُشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ، فَأَتَقَاهُ بِدَرْقَتِهِ، فَعَضَّتْ  
بِسَيْفِهِ، وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ  
عَلَى مَفْرِقِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفُ عَنْهَا قَالَ الزُّبَيْرُ:  
فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ: رَأَيْتُ إِنْسَانًا يَخْمِشُ النَّاسَ خَمَشًا

(١) الكيول: آخر الصفوف في الحرب.

(٢) ذفف عليه: أجهز عليه.

شَدِيدًا، فَصَمَدَتْ لَهُ، فَلَمَّا حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَلَوْلَ، فَإِذَا  
امْرَأَةً، فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ  
أُضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً<sup>(١)</sup>.

وَتَرَسَ أَبُو دُجَانَةَ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ وَلَّى النَّاسُ دُونَ رَسُولِ  
اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِنَفْسِهِ، يَقَعُ النَّبْلُ عَلَى ظَهْرِهِ،  
وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ، حَتَّى كَثُرَ النَّبْلُ فِيهِ.

وَانْتَهَتْ مَعْرَكَةُ أُحُدٍ، وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى أَهْلِهِ نَاولَ سَيْفَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: اغْسِلِي  
عَنْ هَذَا دَمَهُ يَا بِنْتِي، فَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ. وَنَاولَهَا  
عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيْفَهُ، وَقَالَ: وَهَذَا أَيْضًا، فَاعْسِلِي عَنْهُ  
دَمَهُ، فَوَاللَّهِ صَدَقَنِي الْيَوْمَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ: لَيْتَنِي كُنْتُ صَدَقْتُ الْقِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ سَهْلُ بْنُ  
حَنِيفٍ وَأَبُو دُجَانَةَ.

وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا. وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى حَجَّةِ الْوَدَاعِ، جَعَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي  
إِحْدَى الرُّوَايَاتِ أَبَا دُجَانَةَ. وَهَذَا مَا يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى عُلُوِّ

(١) سيرة ابن هشام.

مَنْزِلَتِهِ بَيْنَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.  
وَتُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ  
رَاضٍ.

وَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ فَارْتَدَّتْ أَكْثَرُ الْعَرَبِ، فَجَهَّزَ  
الصَّدِيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَهُمُ الْجِيُوشَ، وَسَارَ الْمُجَاهِدُونَ  
إِلَى كُلِّ جِهَةٍ قَامَتْ فِيهَا رِدَّةٌ، وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ مِمَّنْ سَارَ إِلَى  
الْيَمَامَةِ لِقِتَالِ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنْ  
تَبِعَهُ.

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ الْيَمَامَةِ مَعْرَكَةً طَاحِنَةً، وَكَادَ الْكُفَّارُ أَنْ  
يَحْصُلُوا عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ حَمَلُوا حَمْلَةً صَادِقَةً  
دَحَرُوا فِيهَا الْعَدُوَّ وَالْجَوُودَ إِلَى حَدِيقَةِ الْمَوْتِ، وَفِيهَا عَدُوُّ  
اللَّهِ مُسَيْلَمَةُ، وَأَغْلَقَ الْكُفَّارُ عَلَيْهِمُ الْحَدِيقَةَ، وَأَحَاطَ بِهِمْ  
الصَّحَابَةُ، وَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ الْقَوْنِي  
عَلَيْهِمْ فِي الْحَدِيقَةِ، فَاحْتَمَلُوهُ فَوْقَ الْحَجَفِ<sup>(١)</sup> وَرَفَعُوهَا  
بِالرَّمَاكِ حَتَّى أَلْقَوْهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ سُوْرِهَا، فَلَمْ يَزَلْ  
يُقَاتِلُهُمْ دُونَ بَابِهَا حَتَّى فَتَحَهُ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الْحَدِيقَةَ مِنْ

(١) الحجف: التروس من الجلد.

بَابَهَا وَمِنْ حَيْطَانِهَا يُقَاتِلُونَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُرْتَدَّةِ مِنْ أَهْلِ  
الْيَمَامَةِ . وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ قَدْ تَسَلَّقَ الْجِدَارَ وَنَزَلَ إِلَى الْحَدِيقَةِ  
فَكَسِرَتْ رِجْلُهُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ يُبَالِي وَرُبَّمَا لَمْ يَشْعُرْ بِالْأَلَمِ  
الَّذِي أَصَابَهُ إِذْ كَانَ تَفْكِيرُهُ مُنْصَبًّا عَلَى الْقَضَاءِ عَلَى أَهْلِ  
الرَّدَّةِ لِلتَّمَكِينِ لِلْإِسْلَامِ ، وَلِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ،  
وَهَذِهِ مُهِمَّةُ الْمُسْلِمِ فِي الْحَيَاةِ ، ثُمَّ كَانَ حَرِيصًا عَلَى  
الشَّهَادَةِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَنَسِيَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَلَمِ ،  
وَاسْتَمَرَّ يُقَاتِلُ حَتَّى خَلَصَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مُسَيْلَمَةَ - لَعَنَهُ  
اللَّهُ - وَكَانَ وَاقِعًا فِي ثُلْمَةِ جِدَارٍ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَخَشِيَ - قَاتِلُ  
حَمْزَةَ - فَرَمَاهُ بِحَرَبَتِهِ فَلَمْ يُخْطِئْهُ فَأَصَابَتْهُ وَخَرَجَتْ مِنْ  
الْجَانِبِ الْآخِرِ ، وَسَارَعَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ  
فَسَقَطَ .

وَشَعَرَ أَبُو دُجَانَةَ بِالنَّصْرِ إِذْ حَقَّقَ أَوَّلَ هَدَفٍ وَهُوَ إِعْلَاءُ كَلِمَةِ  
اللَّهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ مُسَيْلَمَةَ . وَمَا دَامَ النَّصْرُ قَدْ تَمَّ فَإِنَّ  
الشَّهَادَةَ يُسَعَى إِلَيْهَا - وَقَدْ أَصْبَحَ قَرِيبًا مِنْهَا إِذْ كُسِرَتْ رِجْلُهُ  
وَلَمْ يَعُدْ بِإِمْكَانِهِ مُقَارَعَةَ الْأَبْطَالِ الَّذِينَ يُحِيطُونَ بِهِ فَاسْتَمَرَّ  
فِي الْقِتَالِ حَتَّى سَقَطَ شَهِيدًا فِي السَّاحَةِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي  
سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ .



## شَخْصِيَّةُ أَبِي دُجَانَةَ

كَانَ أَبُو دُجَانَةَ امْرَأً قَلِيلَ الْمَالِ غَنِيَّ النَّفْسِ . وَلَمَّا سَأَلَ بَنُو  
النُّضَيْرِ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُجْلِيَهُمْ، وَأَنْ  
يَكْفَ عَنْ دِمَائِهِمْ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنَ الْأَمْوَالِ  
إِلَّا السَّلَاحَ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ،  
فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ تَرَكُوا بَعْدَ أَنْ  
أَجْلَوْا أَمْوَالًا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ خَاصَّةً بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ. وَذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا مِنْ  
الْفَيْءِ أُخِذَتْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ  
فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ  
عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى  
رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى  
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ كَمَا لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ  
مِنْكُمْ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا،  
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١)</sup>. فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْأَمْوَالَ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ دُونَ  
الْأَنْصَارِ. إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ وَأَبَا دُجَانَةَ لِمَا كَانَا

(١) سورة الحشر الآيتان ٦ و ٧.

عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ.

وَكَانَ قَلِيلَ الْكَلَامِ لَا يَتَحَدَّثُ إِلَّا إِذَا سُئِلَ أَوْ إِذَا دَعَتْ  
الْحَاجَّةُ إِلَى الْكَلَامِ ، وَكَانَ يُرِيدُ الْخَيْرَ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً ،  
لَيْسَ فِي صَدْرِهِ شَيْءٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ . قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ :  
دُخِلَ عَلَى أَبِي دُجَانَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ ، وَكَانَ وَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ ، فَقِيلَ  
لَهُ : مَا لَوْجُحُكَ يَتَهَلَّلُ ؟ فَقَالَ : مَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أَوْثَقُ عِنْدِي  
مِنْ اثْنَتَيْنِ : كُنْتُ لَا أَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يُعْنِينِي وَالْأُخْرَى فَكَانَ  
قَلْبِي لِلْمُسْلِمِينَ سَلِيمًا .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

# المحتوى

الموضوع	الصفحة
٣١ - مصعب بن عمير رضي الله عنه .....	٣
٣٢ - كعب بن مالك رضي الله عنه .....	٣٥
٣٣ - خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه .....	٨٧
٣٤ - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .....	١٠١
٣٥ - الحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .....	١٦٩
٣٦ - عاصم بن ثابت رضي الله عنه .....	٢٠١
٣٧ - عبد الله بن عبد الله رضي الله عنه .....	٢١٣
٣٨ - طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .....	٢٣٣
٣٩ - زيد بن سهل رضي الله عنه .....	٢٦٧
٤٠ - سماك بن خرشة رضي الله عنه .....	٢٨١



# كتب المؤلف

---

## ١. بناء دولة الاسلام

---

- |                                 |                           |
|---------------------------------|---------------------------|
| المجموعة الأولى ١ - ١٠          | المجموعة الثانية ١١ - ٢٠  |
| ١ - أبو سبرة بن أبي رهم.        | ١١ - الفضل بن العباس.     |
| ٢ - أبو سلمة عبد الله المخزومي. | ١٢ - جعفر بن أبي طالب.    |
| ٣ - عبد الله بن جحش.            | ١٣ - عبد الله بن الزبير.  |
| ٤ - الزبير بن العوام.           | ١٤ - عبد الله بن حذافة.   |
| ٥ - زهير بن أبي أمية.           | ١٥ - المقداد بن عمرو.     |
| ٦ - سهيل بن عمرو.               | ١٦ - عقيل بن أبي طالب.    |
| ٧ - سعد بن معاذ.                | ١٧ - صخر بن حرب.          |
| ٨ - عباد بن بشر.                | ١٨ - زيد بن حارثة.        |
| ٩ - محمد بن مسلمة.              | ١٩ - أبو العاص بن الربيع. |
| ١٠ - أسيد بن الحضير.            | ٢٠ - ثابت بن قيس.         |

## المجموعة الثالثة ٢١ - ٣٠

- |                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| ٢١ - العباس بن عبد المطلب . | ٢٦ - سالم مولى أبي حذيفة . |
| ٢٢ - سعد بن الربيع .        | ٢٧ - أبو عبيدة بن الجراح . |
| ٢٣ - عبادة بن الصامت .      | ٢٨ - سعيد بن زيد .         |
| ٢٤ - عبد الله بن رواحة .    | ٢٩ - سعد بن عبادة .        |
| ٢٥ - أبو حذيفة بن عتبة .    | ٣٠ - قيس بن سعد .          |

---

## ٢. مواطن الشعوب الاسلامية

---

### في آسيا

- |                         |                        |
|-------------------------|------------------------|
| ١ - تركستان الغربية .   | ١١ - أفغانستان .       |
| ٢ - تركستان الشرقية .   | ١٢ - تركيا .           |
| ٣ - قفقاسيا .           | ١٣ - إيران .           |
| ٤ - باكستان .           | ١٤ - شبه جزيرة العرب . |
| ٥ - أندونيسيا .         | - عسير                 |
| ٦ - إتحاد ماليزيا .     | - نجد                  |
| ٧ - فطاني .             | - الحجاز               |
| ٨ - المسلمون في قبرص .  | - البحرين والاحساء     |
| ٩ - المسلمون في الفلبين | والكويت وقطر .         |
| ودولة مورو .            | ١٥ - المسلمون في الهند |
| ١٠ - جزر المالديف .     | الصينية .              |
|                         | ١٦ - خراسان .          |

## في إفريقية

- |                      |                          |
|----------------------|--------------------------|
| ١ - غينيا.           | ٨ - السنغال.             |
| ٢ - نيجيريا.         | ٩ - أوغندا.              |
| ٣ - الصومال.         | ١٠ - ليبيا.              |
| ٤ - موريتانيا.       | ١١ - السودان.            |
| ٥ - أرتيريا والحبشة. | ١٢ - جزائر القمر.        |
| ٦ - تشاد.            | ١٣ - المسلمون في بورندي. |
| ٧ - تانزانيا.        | ١٤ - مالي.               |
|                      | ١٥ - سيراليون.           |

---

## ٣. كتب تاريخية

---

- |                                   |  |
|-----------------------------------|--|
| التاريخ الاسلامي                  | ٨ - العهد العثماني.                    |
| ١ - قبل البعثة.                   | ٩ - مفاهيم حول الحكم الاسلامي.         |
| ٢ - السيرة.                       | ٢١ - المسلمون في الامبراطورية الروسية. |
| ٣ - الخلفاء الراشدون.             | ٢٢ - الأقليات الإسلامية.               |
| ٤ - العهد الأموي.                 |  |
| ٥ - الدولة العباسية الجزء الأول.  |  |
| ٦ - الدولة العباسية الجزء الثاني. |  |
| ٧ - العهد المملوكي.               |  |

---

## ٤. كتب جغرافية

---

- الكشف الجغرافية .
- العالم الإسلامي (المنطقة العربية - وادي النيل) .
- العالم الإسلامي .
- سكان العالم الإسلامي .
- العالم الإسلامي (المنطقة العربية - بلاد الشام) .
- اقتصاديات العالم الإسلامي .
- جغرافية البيئات .

---

## ٥. كتب ثقافية

---

- العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه .
- المسلمون تحت السيطرة الرأسالية .
- المسلمون تحت السيطرة الجماعات البدائية .
- الشيوعية .
- التوجيه والتقويم خلال مع الهجرة إلى الحبشة .
- التاريخ الإسلامي .
- ميدان معركة اليرموك .